

ISSN 0258 - 1094



مركز بحوث اللغة العربية والدراسات

# مجلة مجمع اللغة العربية ببادكوب



السنة السابعة والعشرون

العدد ٦٥

# مجلة مجتمع اللغة العربية الأردني

( مجلة متخصصة محكمة )

تصدر مرتين في السنة

- \* البحوث التي ترسل إلى المجلة تكون خاصة بها ، ولم يسبق أن نشرت في مكان آخر ، وأن تتوفر فيها شرائط البحث العلمي .
- \* يرسل كل بحث إلى ثلاثة محكمين مختصين ، وفي ضوء تقاريرهم تقرر هيئة التحرير نشر البحث أو الاعتذار عن عدم نشره .
- \* البحوث غير المجازة لا ترد إلى أصحابها .
- \* يخضع ترتيب البحوث في المجلة لاعتبارات فنية .
- \* تقبل للنشر مراجعات الكتب إذا كانت قيمة .
- \* يجوز للباحث أن ينشر بحثه في مكان آخر ، بعد نشره في مجلة المجمع ، شريطة أن يشير إلى ذلك .

## الاشتراكات

في الأردن

خمسة دنانير سنوياً

في البلاد العربية والأجنبية

اثنا عشر دولاراً سنوياً أو ما يعادلها

تضاف أجرة البريد الجوي لمن يشاء ذلك من المشتركين



مركز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

ISSN 0258 - 1094



# مجلة مجمع اللغة العربية بBaghdad

مركز بحوث وتقنية المعلومات

السنة السابعة والعشرون

العدد ٦٥

تموز - كانون الأول ٢٠٠٣

جمادى الأولى - شوال ١٤٢٤هـ

مجلة مجمع اللغة العربية الأردني

ص.ب ١٣٢٦٨ عمان - ١١٩٤٢ - الأردن

الفاكس (٥٣٥٧٠٦٤)

البريد الإلكتروني: [Jaa@Ju.edu.jo](mailto:Jaa@Ju.edu.jo)

موقع المجمع على شبكة (الانترنت) [www.majma.org.jo](http://www.majma.org.jo)

رقم الإجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر ٢٠٠٣/٤/٧٦٣

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية: ٢٠٠٣/٧٢٥/د



مركز بحوث وتطوير علوم عربي

## هيئة تحرير المجلة

رئيس التحرير: الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة  
رئيس المجمع

### الأعضاء

الأستاذ الدكتور محمود السمره نائب رئيس المجمع  
الأستاذ الدكتور سعيد السنتل  
الأستاذ الدكتور إسحق أحمد فرحان  
الأستاذ الدكتور عبد العزيز الدوري  
الأستاذ الدكتور فهد نديل شاكر  
الأستاذ الدكتور عبد المجيد نصير  
الأستاذ الدكتور إبراهيم زيد الكيلاني  
الأستاذ الدكتور عبد اللطيف عريبات  
الأستاذ الدكتور همام غصيب  
الأستاذ الدكتور أحمد شيخ السروجية  
الأستاذ الدكتور محمد عدنان البخيت  
الأستاذ الدكتور عيد الجليل عبدالمهدي  
الأستاذ الدكتور إسماعيل عمارة

الفهرس

رقم الصفحة	الموضوع
٩	البحوث .....
	١- أصناف التراجمة في ديوان
١١	الإشياء المملوكي ..... د. سمير الدروبي
	٢- الأسس النظرية للمنهج التعليمي في
٤٥	بلاغة ابن سنان الخفاجي ..... د. عبد الكريم الحيارى
	٣- الوظائف النحوية بين المركزي
٨٩	والهامشي "مثل من وظيفة الحال" ..... د. لطيفة إبراهيم النجار
	٤- امرؤ القيس بن حجر
	رحلته إلى الشرق أو إلى الغرب؟ ..... د. ليلى العمري
١١٩	"القسم الأول"
١٧١	مع الكتب .....
١٧٣	اللباب في علل البناء والإعراب للعكبري ..... د. علاء الدين حموية

٢٣٥ ..... تعليقات ومناقشات

٢٣٧ د. أبو القاسم سعد الله ..... تقریظ للمفتي ابن عمار: ظروفه ونصه

٢٥٥ ..... أخبار جمعية



مركز تحقیقات کپیوٹر علوم اسلامی

البحوث



## أصناف التراجمة في ديوان الإنشاء المملوكي

أ.د. سمير الدروبي

جامعة مؤتة - قسم اللغة العربية

لقد خدم حركة الترجمة والتعريب في ديوان الإنشاء<sup>(١)</sup> في العصر المملوكي الممتد قرابة ثلاثمئة عام تقريباً عدد كبير من التراجمة من مختلف الطوائف والأجناس، ويمكن تصنيفهم إلى ما يأتي:

- كتاب ديوان الإنشاء:

أدى ديوان الإنشاء دوراً كبيراً وخطيراً في إدارة الدولة المملوكية وتسيير أمورها، وامتدت صلاحيات صاحبه المسمى بكاتب السر أو صاحب الدواوين الشريفة أو كاتم السر إلى أكثر الجوانب أهمية في تصريف شؤون الحكم سواء أكانت مدنية أم دينية أم سياسية أم عسكرية أم اقتصادية.

فديوان الإنشاء ولا سيما كاتب سره مسؤول عن التعرف على أخبار الممالك المختلفة وعرضها على السلطان، وهو القائم بكتابة التعيينات لكبار موظفي الدولة من مدنيين وعسكريين، وهو الراسم لحدود صلاحياتهم في وصاياه التي ترفق بتفاليدهم أو تواقعهم أو مناشيرهم.

وفسوق ذلك، فإنه كان مسؤولاً عن نشاط جهاز البريد وتنظيمه تنظيمياً دقيقاً براً وبحراً وجواً، وكذلك عرض ما يحصل عليه البريدية من أخبار<sup>(٢)</sup>، أو يأتون به من رسائل على السلطان، بل إن صلاحياته تجاوزت الإدارة الداخلية إلى تنظيم العلاقات الدبلوماسية مع الدول الأخرى عن طريق

١. انظر: الدروبي، "حركة الترجمة والتعريب في ديوان الإنشاء المملوكي"، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني

ع ٦٢، ٢٠٠٢م، ص ١١-٧٣.

٢. انظر: الشيباني، رسالة رصف الفريد في وصف البريد: ٦-٧ (مقدمة المحقق: سمير الدروبي).

مخاطباتهم وتلقي رسائلهم، واستقبال سفرائهم ، وتنظيم إقامتهم ومقابلتهم للسلطان<sup>(١)</sup> .

وبناء على ما ذكر من مهام الديوان وواجباته، فإن صاحبه يحتاج إلى عدد كبير من الكتاب الممثلين بالعربية وغيرها من اللغات السائدة في ذلك الوقت، ولذا فإننا نجد في مصادر ذلك العصر ما يشير بوضوح إلى أولئك الكتاب المترجمة الذين يحسنون العربية وغيرها من اللغات.

ولو وقفنا على العصر الأيوبي الذي كان العصر المملوكي امتداداً له لوجدنا كاتباً كبيراً يلي القاضي الفاضل أهمية في دولة صلاح الدين، وهو العماد الأصفهاني(ت٥٩٧هـ/١٢٠٠م) الذي ذكر لنا في ترجمته أنه كان ينشئ الكتب بالعجمية<sup>(٢)</sup> .

وقبل أقول نجم الإمارات الأيوبية وبداية الزحف المغولي إلى بلاد الشام نجد أن أمراء الأيوبيين بدمشق ومصر قد استخدموا في ديوان الإنشاء واحداً من الكتاب الأعاجم وهو المؤيد بن الموفق بن محمد الدقترخوان الحنفي الذي قدم إلى دمشق في أيام الناصر صلاح الدين داوود (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، ثم باشر العمل في ديوان الإنشاء بمصر أيام نجم الدين أيوب الذي حكم بين سنتي ٦٣٧-٦٤٧هـ/ ١٢٣٩-١٢٤٩م، وكان المؤيد: "يكتب خطأ حسناً، وينظم وينثر بالعجمي والعربي، وكان قدومه في أيام الناصر صاحب الشام، فاستخدم في ديوان الإنشاء لأجل كتب التتار فإنها كانت في تلك الأيام ترد بعضها عجمي، فاستخدم لتعريبها وكتابة الأجوبة عنها"<sup>(٣)</sup>.

أما في العصر المملوكي الذي كان أكثر إيغالاً في العجمة؛ لغلبة العناصر المملوكية من تركية وجركسية ورومية ومغولية وفرنجية على الحكم، فإن الحاجة إلى المترجمين كانت أكثر إلحاحاً، وقد وضع لنا

١ . انظر: العمري: التعريف بالمصطلح الشريف: ١٥٥-١٥٨؛ القلقشندي، صبح الأعشى: ٩٢/١١-٩٣.

٢ . الصفدي، الوافي بالوفيات: ١/١٣٣.

٣ . الصفدي، الوافي بالوفيات: ج٢٠، ورقة ١٦٠ ظ-١٦١ و.

الحكم، فإن الحاجة إلى المترجمين كانت أكثر إلحاحاً، وقد وضح لنا القلقشندي - مؤرخ ديوان الإنشاء وكاتب أضخم وأجمع دستور له - ذلك قائلاً: "فإن الشخص يميل إلى من يخاطبه بلسانه لا سيما إذا كان من غير جنسه، كما تميل نفوس ملوك الديار المصرية وأمرائها وجندها لمن يتكلم بالتركية: من العلماء والكتاب ومن في معناهم على ما هو معلوم مشاهد"<sup>(١)</sup>.

وقول القلقشندي الأنف الذكر يفسر لنا كثرة التراجمة في الديوان من ناحية، وإقبال بعض كتاب السر على تعلم اللغة التركية أو غيرها من اللغات لما ذلك من أهمية في إدارة شؤون الدولة، وخير مثال على ذلك علاء الدين علي بن أحمد بن الأثير (ت ٧٣٠/١٣٢٩م) وهو من أبناء أشهر العائلات الكتابية في العصر المملوكي، وكان علاء الدين مقرباً من الناصر محمد بن قلاوون حيث عهد له بصحابة ديوان الإنشاء بالديار المصرية سنة ٧١١هـ/١٣١١م، واستمر في منصبه حتى وفاته، وبلغ من المكانة والعظمة في الدولة المملوكية مبلغاً كبيراً حتى أصبح يقلد أمراء المماليك في أثناء أدائه لعمله في الديوان، وكان كما صورته الصفدي: "يركب بستة عشر مملوكاً من الأتراك، فيهم من هو بعشرة آلاف درهم وأكثر، وكان أخيراً يقف هؤلاء المماليك في خدمته بالديوان سماطين، ولا يتكلم إلا بالتركي، ومماليكه يُعربون كلامه للناس..... وأصل في الديوان كلما كثيرة"<sup>(٢)</sup>.

ولعل في قول الصفدي السالف "وأصل في الديوان كلما كثيرة" ما يدل على أن علاء الدين بن الأثير قد أدخل كثيراً من المصطلحات والألفاظ والرسوم السائدة في دواوين المغول والترك والفرس، في مكاتبات ديوان الإنشاء المملوكي وبخاصة إذا عرفنا أنه كان يقرب الأدباء والحكماء الوافدين على دولة المماليك من بلاد العجم، مثل عبد اللطيف العجمي (ت ٧٣١هـ/١٣٣٠م) الذي وصف بالفصاحة بالتركي والعجمي<sup>(٣)</sup>.

ومن كتاب السر المجيدين للغة التركية أبو بكر بن محمد بن محمد المعروف بابن مزهر (ت ٨٩٣هـ/٤٨٧م) الذي وصفه لنا عصره الساخاوي في أكثر من مصدر بأنه قد "جوّد اللسان الذي لا يستغنى عنه في مخاطبة الأتراك"<sup>(٤)</sup>.

١ . القلقشندي، صبح الأعشى: ١٦٦-١٦٧.

٢ . الصفدي، أعيان العصر وأعيان النصر: ١٥٦-١٥٧.

٣ . انظر : المصدر السابق: ١١٧-١١٨.

٤ . الساخاوي، النيل على رفح الإصر: ٤٧٧؛ الضوء اللامع: ٨٨/١١.

والعبارة السابقة موجية لنا بأنه لم يقتصر على التعلم فحسب، بل وصف بالتجويد للغة التركية والبراعة فيها، الأمر الذي يفسر لنا الألقاب التي أطلقت على كتاب السر مثل "لسان الممالك" و"لسان ملوك الأمصار"، والمعنى كما فسره القلقشندي بأنه " يتكلم بلسان ملوك الممالك"<sup>(١)</sup>.

ويعدّ شيرزاد بن ممدود بن شيرزاد بن علي شرف الدين الرومي (ت ٧٠٧هـ/ ١٣٠٧م) مثلاً على التراجمة والكتاب الذين عملوا في دواوين الإنشاء العربية وغير العربية، فقد كان والده كما ذكر ابن حجر من بعلبك، ثم تحول إلى دمشق، وسمع بها من ابن عبد الدايم وحدث عنه: "ثم سافر إلى الروم صحبة الطواشي صواب الأوحدي، فأقام نحو عشر سنين وولي بها الإنشاء، وترسل إلى الملوك، ثم توجه في البحر إلى مصر، وتقرر ترجماناً للدولة للكتب التي تردّ من بلاد العجم في سلطنة قطز إلى أن مات في ثاني المحرم سنة ٧٠٧/١٣٠٧م بالقاهرة"<sup>(٢)</sup>.

فالنص السالف يكشف لنا عن مصدر تعلم شيرزاد بن ممدود للغة الرومية(التركية)، وإن تعيينه ترجماناً في الديوان بني علي خبرة سابقة تمثلت في خدمته في أكثر من ديوان من دواوين الإنشاء في إمارات الأتراك ببلاد الأناضول التي كانت تعرف آنذاك ببلاد الروم أو البلاد الرومية، مما يجعل من هذا الترجمان الكاتب خبيراً بأحوال تلك الإمارات حين الحاجة إلى مخاطبتهم من ديوان الإنشاء المملوكي.

وتمدنا المصادر بطائفة من أسماء الكتاب الذين عرفوا أكثر من لغة، وتكلموا بعدة أسنة كمحمد بن شريف بن يوسف الزرعي المولود بدمشق، والمتوفى في سنة (٧١١هـ/ ١٣١١م)، الذي قال عنه المقرئزي بأنه: "كان يكتب في التوقيع، وله معرفة بالإنشاء... ويعرف عدة لغات"<sup>(٣)</sup>، ووصف بأنه "تعانى الخط المنسوب، وسافر إلى بعلبك، وتعلم من ياقوت وغيره،

١ . القلقشندي، صبح الأعشى: ٦٨/٦.

٢ . ابن حجر، الدرر الكامنة: ٢/٢٩٤-٢٩٥؛ وانظر: ابن حبيب، تذكرة النبيه: ٢٨٤/١.

٣ . المقرئزي، السلوك، ج ٢، ص ١١٣؛ وانظر: الصفدي، أعيان العصر: ٢١/٣.

وكان تام الشكل حسن البرّة، متأنقاً في أمره، يتكلم بعدة ألسن، واتصل بخدمة بيبرس الجاشنكير قبل السلطة، ثم أثابه الجاشنكير بإدخاله ديوان الإنشاء<sup>(١)</sup>.

ويبدو أن دولة المماليك كانت جاذبة للكتاب والعلماء والحكماء، ومن هؤلاء الوافدين نظام الدين يحيى بن عبد الرحمن (ت ٧٦١هـ/١٣٥٩م) وكان كاتباً مجوداً وموسيقاراً بارعاً، قدم إلى دولة المماليك، وكان مقرباً من أمرائهم، ثم طلب العودة إلى بغداد، حيث قام بكتابة مراسلات حكام بغداد إلى المماليك، يقول الصفدي: "وكان (كذا) الكتب ترد عن حكام بغداد إلى ديوان الإنشاء بخطه، وكان والده النور حكيماً، يطب ملوك المغل وغيرهم، وكان نظام الدين يكتب المنسوب، ويضع الكوفي والمغلي على أحسن ما يكون"<sup>(٢)</sup>.

ومن التراجمة الذين أسندت إليهم كتابة السر في دولة المماليك الجراكسة بدر الدين محمود بن عبدالله الكلستاني، وقد عُرف بالكلستاني لكثرة قراءته لكتاب الشاعر العجمي السعدي المسمى بـ"كلستان" التي تعني بالتركي حديقة الورد، وقد قدم من بغداد إلى دمشق، واتصل بنائبها الطنبغا الجوباني، ثم وفد على مصر فولّي تدريسي الشيخونية والصرغتمشية، وقد نعت بأنه: "يتكلم بالعربي والفارسي والتركي وهو لسانه"<sup>(٣)</sup>.

أما سبب تعيينه كاتباً للسر فإنه بينما كان السلطان المملوكي متوجهاً إلى حلب في سنة ٧٩٦هـ/١٣٩٣م للقاء اللنك (تمرنك أو تيمور لنك) ورد عليه "كستاب تمرنك" بعبارة تركية على منزلة الصالحية، فطلب من يكتب جوابه بالتركية، وذلك لعجز بدر الدين بن فضل الله كاتب السر الشريف، فقيل له عن بدر الدين محمود السرامي<sup>(٤)</sup> الذي قرأ الكتاب، وأجاد الإجابة

١. الصفدي، أعيان العصر: ٢١/٣-٢٢.

٢. الصفدي، أعيان العصر وأعيان النصر: ٣٢٢-٣٢١/٣.

٣. الصيرفي، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان: ٢١/٢.

٤. المصدر السابق: ٢٣/٢-٢٤.

عليه، فأمر السلطان برقوق أن يكون بصحبة الدوادار قَلْمَطَاي، ثم توفي كاتب السر بدر الدين بن فضل الله العمري في السنة نفسها، فعين الكلستاني كاتباً للسر في الدولة المملوكية، واستمر الكلستاني كاتباً للسر حتى وفاته في سنة ٨٠١هـ/١٣٩٨م<sup>(١)</sup>.

ويُعد إبراهيم بن عبد الرازق بن غراب القبطي (ت ٨٠٨هـ/٤٠٥م) من أشهر التراجمة في عصر المماليك الجراكسة، وأصله من أبناء الكتبة القبط بالاسكندرية، وجدّه غراب هو أول من أسلم من آبائه، واتهم بأنه ممن دلّ الفرنج على عورات المسلمين بالإسكندرية عندما قاموا بغارتهم المشهورة عليها في سنة ٧٦٧هـ/١٣٦٥م. وقد تعلم إبراهيم "لسان الترك حتى حدق فيه"، وتولى عدة وظائف هامة في الدولة المملوكية أهمها: وظيفة ناظر الخاص التي يقوم صاحبها في التحدث فيما هو خاص بمال السلطان ووظيفته ناظر الجيش، وكاتب السر، إلا أنه ترفع عن وظيفه كاتب السر لمكانته عند السلطان المملوكي الناصر ناصر الدين الدين فرج بن برقوق الذي حكم بن سنتي (٨٠١-٨٠٨هـ/١٣٩٨-٤٠٥م)<sup>(٢)</sup>.

أما أكثر التراجمة جولاناً في الأفاق، وطوافاً في الأرض، فهو أحمد بن محمد المعروف بابن عريشاه (ت ٨٥٤هـ/٤٥٠م) الذي اقتاده تيمور لنك أسيراً من دمشق وهو فتى في الثالثة عشرة من عمره تقريباً، وذلك في سنة (٨٠٣هـ/٤٠٠م)، فتعلم الفارسية والتركية وبرع فيهما، ودخل بلاد الخطا طلباً للعلم، وهو يفيض لنا في سيرته الذاتية في إجازته لتلميذه يوسف بن تغري بردي قائلاً: "واستقدت اللسان الفارسي والخط الموغولي وأتقنتهما، واجتمعت في بلاد المغل بالشيخ برهان الدين الأندكاني والقاضي جلال الدين السّيرامي، وأخذت عنهما، وقرأت النحو على مولانا حاجي تلميذ السيد الشريف.

١. انظر: ابن حجر، إنباء الغمر بأبناء العمر: ٨٨/٢-٩٠؛ السخاوي، الضوء اللامع: ١٢٦/١٠-١٢٧؛

ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ١٧٥/١٤.

٢. انظر: المقريزي، درر العقود الفريدة: ١٠١/١-١١٤؛ السخاوي، الضوء اللامع: ٦٥/١-٦٧.

ثم توجهنا إلى خوارزم فأخذت عن مولانا نور الله. ومولانا أحمد الواعظ السرائي بن شمس الأئمة، وكان يقال له ملك الكلام فارسياً وتركياً وعربياً، ثم توجهنا إلى بلاد الدشت وسراي... واجتمعت في قيريم أيضاً بمولانا محمود البلغاري، ومولانا محمد اللبّ أبي، وعبد المجيد الشاعر الأديب صاحب قصة يوسف المسماة بمونس العشاق بالتركي وهي من أطراف ما صنّف.

ثم قطعت بحر الروم إلى مملكة ابن عثمان فأقمت بها نحواً من عشر سنين، فترجمت للملك غياث الدين أبي الفتح محمد بن أبي يزيد بن مراد بن أدرخان بن عثمان رحمه الله تعالى كتاب "جامع الحكايات ولامع الروايات" من الفارسي إلى التركي في نحو ست مجلدات، وتفسير الإمام أبي الليث السمرقندي وتعبير القادري بالتركي نظماً، ثم باشرت عنده الإنشاء، فكتبته عنه إلى ملوك الأطراف عربياً وفارسياً وتركياً<sup>(١)</sup>

ويجعل ابن عريشاه وفاة السلطان ابن عثمان حداً فاصلاً لإقامته في بلاد الترك التي أقفل عنها متوجهاً إلى وطنه القديم الشام، فدخل حلب في سنة ٨٢٤هـ/١٤٢١م، ثم تحول عنها بعد أربعة أشهر إلى دمشق ثم أدى الحج، وسافر في سنة ٨٤٠هـ/١٤٣٦م إلى القاهرة واتصل بالسلطان جقمق، واتخذ من عاصمة المماليك دار إقامة عاكفاً على الترجمة والتأليف حتى وافته المنية في سنة ٨٥٤هـ/١٤٥٠م<sup>(٢)</sup>.

ومما يدل على أهمية معرفة اللغات لكاتب السر أنه نعت بـ"لسان ملوك الأمصار" و"لسان الممالك" أي أنه يتكلم بلسان ملوك الممالك كما يقول الفلقشندي<sup>(٣)</sup>، ويعضد ذلك أن واحداً من كتّاب السر بالقاهرة ثم دمشق وهو شهاب الدين أحمد بن يحيى العمري (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م) قد أبدى ملاحظات لغوية عن اللغتين التركية والمغولية ربما دلت على معرفته بهاتين اللغتين<sup>(٤)</sup>.

١ . ابن تغري بردي، المنهل الصافي: ١٤١/٢-١٤٣.

٢ . انظر: المصدر السابق: ١٤١/٢-١٤٤؛ بروكلمان، تاريخ الأدب العربي: القسم السادس (١٠-١١)، ص ١٠٤.

٣ . الفلقشندي، صبح الأعشى: ٦/٦٨.

٤ . انظر: العمري، مسالك الأبصار: ٣/٥٧، ٨١، ٩٧، ٩٩.

وعلاوة على ذلك فإن معرفة اللغات الأعجمية لم تقتصر على كتاب ديوان الإنشاء، بل نجد أن بعضاً من الكتبة في الدواوين الأخرى حدقوا اللغة التركية، فسلیمان بن إبراهيم (ت ٧٤٤هـ/ ٣٤٣م) وصف بأنه: "يتكلم فصيحاً باللغة التركية"<sup>(١)</sup>.

#### - المهندارية:

وهم "جمع مهندار، وهو فارسي معرب وأصله مهنم ومعناه الضيف، والثاني دار ومعناه ممسك الضيف"<sup>(٢)</sup> كما يقول الخالدي العمري، أما السبكي فقد عرّف المهّندار بأنه: "اسم لمن يقوم بأمور قصّاد الملوك ورسلمهم"<sup>(٣)</sup>، وأما القلقشندي فإنه جعل المهندارية من وظائف أرباب السيوف، ويقوم صاحب هذه الوظيفة بتلقي الرسل الواردين وأمراء العُربان وغيرهم<sup>(٤)</sup>.

ويكون المهندار تابعاً لكاتم السر أي صاحب ديوان الإنشاء، وبشروط فيه أن يكون: "عاقلاً ذكياً يقظاً فطناً أميناً ناهضاً فصيحاً في اللغتين"<sup>(٥)</sup>.

ويبدو لنا أن مهمة المهندار ومساعديه كانت على درجة كبيرة من الأهمية؛ لأنه أول رجال الدولة الذين يستقبلون القُصاد والرسل ويقومون بأمر ضيافتهم، ويتكلمون معهم بألسنتهم ولغاتهم، وينزلونهم في أماكن إقامتهم اللانقة بهم، ومن ثمّ فإن المهندار يترك الانطباعات الأولية في نفوس الرسل عن الدولة المضيفة لهم، ولذلك فإن السبكي في كتابه "معيد النعم" الذي يُعد من كتب الإصلاح السياسي والإداري في الدولة المملوكية اشترط على المهندار: "أن يعتمد مصلحة الإسلام، ويُرهب القُصاد، ويوهمهم قوة المسلمين وشدة بأسهم، وعظيم

١. ابن تغري بردي، المنهل الصافي: ١٧/٥.

٢. الخالدي العمري، المقصد الرفيع المنشأ: ورقة ١٠٣.

٣. السبكي، معيد النعم ومبيد النقم: ٣١.

٤. القلقشندي، صبح الأعشى: ٢٢/٤.

٥. الخالدي العمري، المقصد الرفيع المنشأ: ورقة ١٠٣.

سطوتهم، واتفق كلمتهم، وقيامهم في حوزة الدين وذنبهم عن حريم الملة الإسلامية وحفظ النظام، وأن يُنهي أمور القُصاد إلى الملك بمقدار ما يكون فيه المصلحة، ورُبّ من يتعين عليه المبادرة إلى إكرامه، ومن يتعين عليه الكف عن إعظامه، بحسب ما تقتضيه الحال<sup>(١)</sup>.

ومن مهام المهندار أن يتعرف على سبب مجيء الرسل وقصدهم من سفاراتهم، ويقوم بإبلاغ كاتب السر بذلك، ثم يقوم بإحضارهم بين يدي السلطان للاطلاع على رسالتهم وغرض قدومهم<sup>(٢)</sup>، ثم هو ملزم "بعدم إقامتهم بعد تناول أجوبتهم اليوم الواحد"<sup>(٣)</sup>.

ويفهم مما أوردته المصادر بشأن المهندار ومساعديه بأنهم يقومون بالترجمة الشفوية التي يقصد منها معرفة غايات القُصاد من زيارتهم لبلاط الدولة المملوكية، ثم تنظيم مراسيم إقامتهم واستقبالهم وسفرهم.

#### - أمراء المماليك:

يرجع المماليك في نشأة دولتهم إلى أيام الأيوبيين، وعلى وجه الخصوص أيام الصالح نجم الدين أيوب الذي حكم من (٦٣٧-٦٤٧هـ/١٢٣٩-١٢٤٩م)، فقد أكثر نجم الدين من استجلاب المماليك الأتراك وكون منهم فرقة في جيشه تعرف بالمماليك البحرية<sup>(٤)</sup> الذين كانوا نواة الجيش المملوكي فيما بعد، ومعظم المماليك الأتراك من قبيلة القَبْجاق وهي إحدى القبائل التركية التي تسكن منطقة آسيا الوسطى حول بحر قزوين<sup>(٥)</sup>.

١. السبكي، معيد النعم ومبيد النقم: ٣١-٣٢.

٢. انظر: . De. Jean. Thnaud , Lc Voyage D'Outremer (Paris, 1884), P. 180, 190-191.

٣. الخالدي العمري، المقصد الرفيع المنشأ: ١٠٣ظ.

٤. ابن واصل، مفرج الكروب: ٢٧٤/٥-٢٧٥، ٢٧٨.

٥. انظر: العيني، السيف المهند: ١٩-٢٠، عبد المنعم ماجد، نظم دولة سلاطين المماليك: ١/١٠١.

وعلاوة على الجنس التركي فإن الجركس<sup>(١)</sup> هم العنصر الثاني في الجيش المملوكي إضافة إلى ما ضم إلى هذا الجيش من تتر<sup>(٢)</sup>، وروم جاءوا من أصول تركية وأوروبية<sup>(٣)</sup>.

وبناء على ما تقدم فإن هؤلاء المماليك ينتمون إلى جنسيات متعددة ذات لغات مختلفة، نقلوها معهم إلى موطنهم الجديد الذي تم تعريفهم فيه.

وتمدنا كتب تراجم العصر المملوكي وتواريخه وحولياته بأسماء عدد كبير من المماليك ثنائيي اللغة، ولا غرو في ذلك فإن بعضهم جاء إلى دولة المماليك طلباً للحماية، وفراراً من تسلط التتار ووحشيتهم في التعامل مع الناس<sup>(٤)</sup>.

فأياز بن عبدالله الصالحي (ت ٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م) أحد حجاب الظاهر بيبرس كان واحداً من التراجمة الذين يتقن بهم بيبرس ويعتمد عليهم، وقد أرسله بيبرس سفيراً إلى أبغا بن هولاقو في سنة ٦٧٠هـ/ ١٢٧١م، وذكر ابن الفرات في ترجمته: "وترسل عنه إلى أبغا ملك التتار وإلى غيره... وكانت الملوك تعتمد عليه في المهمات الجلية"<sup>(٥)</sup>.

ولا ويمكن أن يفهم من عبارة: "وترسل عنه" أنه كتب إليه بالعربية؛ لأن كبار الكتاب العرب في ديوان الإنشاء كانوا يضطلعون بذلك.

ويمكن الاستدلال من ترجمة أقطاي فارس الدين الصالحي المعروف بالمستعرب (ت ٦٧٢هـ/ ١٢٧٣م)، وهو من كبار الأمراء في دولة الظاهر بيبرس، بأنه كان عارفاً باللسان الإفرنجي وذلك لقيامه بمهمة السفارة بين

١. سعيد عاشور، مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك: ٢٢٣.

٢. ابن عبد الظاهر، الروض الزاهر: ١٠٥-١٠٦، ١٣٧، ١٣٨.

٣. ابن إياس، بدائع الزهور: ٢-٣٠٤، ٣٦٤، ٤١٦.

٤. انظر: ابن حبيب، تذكرة النبيه: ٨٥/١؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار: ٢٢/٢.

٥. ابن الفرات، تاريخ: ٨: ٧٤؛ وانظر: ابن شداد، تاريخ الملك الظاهر: ٣٤.

السلطان المنصور علي (حكم من سنة ٦٥٥-٦٥٧هـ/١٢٥٧-١٢٥٩م) وبين الفرنج وذلك عندما رأى منه المعز: "ذكاءً وفطنة ورأياً سديداً، فندبه إلى مواصلة الفرنج فسعى [بينهم] وبين الملك المعز إلى أن أصلح له الفرنج، وأطلق جماعة من أسر الفرنج بسفارته، وكذلك من المسلمين"<sup>(١)</sup>.

ومن هؤلاء الذين جمعوا بين العربية والمغولية قبجق المنصوري الذي كان نائباً للشام، وهو من الفرسان المعروفين بالباس والشدة، حكى عنه صلاح الدين الصفدي قائلاً: " ويجيد الكلام والخط باللغة المغولية، وحكى لوالدي عن نفسه أنه كان كاتباً لحسن تقو أحد نويذات المغول، وأن أباه كان رأساً من رؤوس الكتابة بالمغولية، مجيداً في الترسل فيها، وقال له: مثل ما عندكم كلام جيد وكلام ردي هكذا عندنا"<sup>(٢)</sup>.

ومن الأمراء التراجمة أوتامش الأشرفي<sup>(٣)</sup> (ت ٧٣٧هـ/١٣٣٦م)، ويُذكر في بعض المصادر بلفظة أيتمش<sup>(٤)</sup>، وكان في الأصل مملوكاً للسلطان الأشراف صلاح خليل بن قلاوون (ت ٦٩٣هـ/١٢٩٣م)، ثم ولاء الملك الناصر محمد بن قلاوون (ت ٧٤١هـ/١٣٤٠م) نيابة الكرك، وكان مقرباً من الناصر الذي أرسله غير مرة سفيراً للقان بوسعيد ملك التتار الإلخانيين في العراق وفارس، ووصف بأنه: " يعرف بالمغلي لساناً وكتابه، ويدرب آداب المغل، ويحكم في بيت السلطان بالياسة واليسق الذي قرره جنكزخان، ويطالعها ويراجعها، ويعرف بيوت المغل وأنسابهم وأصولهم، ويستحضر تواريخهم ووقائعهم، وكان إذا جاء من تلك البلاد كتاب إلى السلطان بالمغلي يكتب هو الجواب عنه"<sup>(٥)</sup>.

وفي مقاله كاشفة للمستشرق ليتل Little يتبين لنا الدور الدبلوماسي الكبير الذي أداه هذا الترجمان في توطيد العلاقات، وحل الخلافات القائمة بين السلطان

١. ابن شداد، تاريخ الملك الظاهر: ١١٢-١١٣.

٢. الصفدي، الوافي بالوفيات: ١٧٨/٢٤.

٣. الصفدي، أعيان العصر وأعيان النصر: ٢٠٩/١.

٤. ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة: ٤٥٣/١.

٥. الصفدي، أعيان العصر وأعيان النصر: ٢٠٩/١.

الناصر محمد، وبين ملك الإلخانيين بوسعيد، وذلك في ثلاث رحلات سفارية قام بها في السنوات: ٧٢٢هـ/١٣٢٢م، ٧٢٦هـ/١٣٢٥م، ٧٢٨هـ/١٣٢٧م، وذلك لما تمتع به من معرفة تامة باللغة المغولية، وبما له من مؤهلات شخصية مكنته من أداء هذه السفارات الناجحة<sup>(١)</sup>.

ومن التراجمة الأمراء: الأمير ظهر بغا أو ظهير بغا المغلي أو طاير بغا (ت٧٣٨هـ/١٣٢٧م) وكان بُغا قد حضر إلى دولة المماليك في سنة (٧٢٦هـ/١٣٢٥م)، في عهد الناصر محمد بن قلاوون الذي قرّب بغا وجعله أميراً، وكان يقرأ على السلطان كتب بوسعيد التي ترد بالمغلي ويكتب الأجوبة، وكان يفد عليه من أقاربه على مدى الأيام من عشرة إلى مائة فيبرهم، ويصلهم، فمنهم من يقيم بالقاهرة، ومنهم من يرجع<sup>(٢)</sup>.

ويبدو من المعلومات المتوافرة لدينا أن بعضاً من أمراء المماليك كان يعرف أكثر من لسان، فلبان الرومي كان يترسل عن السلطان إلى أكثر من دولة<sup>(٣)</sup>.

والأمير منكلي بغا الصلاحي الحاجب كان يكتب خطأ حسناً ويتكلم بالعجمية والتركية الخالصة<sup>(٤)</sup>، وأياز بن عبدالله كان يترسل عن السلطان إلى ملوك التتار وملوك الإفرنج<sup>(٥)</sup>، ومنكلي بغا الصلاحي الظاهري المعروف بالعجمي (ت٨٣٦هـ/١٤٣٢م)، أرسل سفيراً إلى تيمورلنك خلال حكم الناصر فرج، وكان قهسياً: "ويذاكر بالشعر باللغات الثلاث: العربية والعجمية والتركية، ويكتب

١. Donald p. Little, "Notes On Aitamis a Mongol Mamluk", Die Islamischen Welt Zwischen Mittelalter und Neuzeit, Feutschrift fur Hans Robert Roemer zum 65.

Geburtstag, cd. Ulrich Haarmann & Peter Bachmann, (Beirutre Texte und Studien, 22). Wiesbaden: Franz Steiner Verlage, 1979, PP.387-401.

٢. انظر: الصفدي، أعيان العصر: ٢/٢٨؛ ابن حجر، الدرر الكامنة: ٢/٣٣٧؛ ابن تغري بردي، المنهل الصافي ٢/٢٩٣.

٣. الصفدي، الوافي بالوفيات: ٢٤/٣٩١.

٤. العيني، عقد الجمان: ٤٣٨.

٥. ابن تغري بردي، المنهل الصافي: ٣/١٢١-١٢٢.

الخط المنسوب" (١)، فأرساله سفيراً وإنشاده للشعر باللغات: العربية والعجمية والتركية، دليل على تمكن هذا الأمير من هذه اللغات.

وعندما أصدر السلطان قانصوه الغوري بتاريخ ٩١٥هـ/١٥٠٩م مرسوماً يمنح فيه امتيازات تجارية لطائفة الفرنتيين (الفلورنسيين)، ذكر فيه أحد كبار المترجمين في نهاية العصر المملوك وهو الأمير تغري بردي الترجمان، ونص الوثيقة: "... وبرز أمرنا الشريف يكتب أمان شريف للقنصل والتجار وما سأل فيه حضرة الملك وجهز ذلك إليه، ورسماً للمجلس العالي الأميري الكبرى المجاهدي المؤيدي الذخري النصري الأوحدي الأكملّي الأعزي الأحضي السيفي عمدة الملوك والسلاطين تغري بردي أحد أعيان الأمراء العشرات بالديار المصرية، والترجمان بأبوابنا الشريفة-أدام الله سعده- بأن يكتب إلى حضرة الملك بما فيه إطابة خواطر التجار بما سيعلم حضرة الملك بأمر تجاره وجماعته بالحضور إلى ثغر الإسكندرية المحروس...". (٢).

ويبدو أن تغري بردي الترجمان واطب على القيام بواجباته ومهامه الكبيرة والخطيرة (٣) إلى أن قبض عليه السلطان في شهر محرم من سنة ٩١٧هـ/١٥١١م، متهما إياه بمخاطبة ملوك الإفرنج وإطلاعهم على بعض أسرار الدولة، فبقيت وظيفة ترجمان الإفرنج خالية قرابة ثلاث سنوات، ثم عين أحد المماليك ترجماناً ويدعى يونس الترجمان الذي كان نائباً لتغري بردي في محرم من سنة ٩٢٠هـ/١٥١٤م (٤).

ومما يدل على كثرة المماليك الذين يجيدون اللغات الأعجمية وبخاصة التركية والمغليّة ما ذكر القلقشندي عن ترجمة كتب بعض القانات من ملوك الشرق: "يتولى ترجمتها من يوثق به من أخصاء الدولة: من الأمراء أو

١. ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة: ١٥/١٧٩.

٢. M. Amari, I diplomi Arabi del R Archivio Fiorentino. (Firenze, 1863), P. 224.

٣. انظر: Thnaud, Le Voyage Douremer P. XLVI.

٤. انظر: ابن إياس، بدائع الزهور: ٤/٢١٠، ٢٦١-٢٦٢.

الخاصكية ونحوهم، ممن يعرف ذلك اللسان، ثم يقرأ ترجمته على السلطان، ويعتمد ما يأمر به في جوابه ليكتب به"<sup>(١)</sup>.

ويروي لنا اليوسفي خيراً عن أحد ممالك الأمير برصبغا أو برسبغا الحاجب الناصري (ت ٧٤٢هـ / ١٣٤١م) عند حديثه عن قتل أحد أمراء المغول في حمى الدولة المملوكية في سنة ٧٣٤هـ / ١٣٣٢م، فيقول: "وبلغني من بعض ممالك برصبغا، كان يعرف بلسان المغل، أنهم لما وقع بينهم وبين برصبغا المفاوضة قال لهم الرجل أمير ركب العراق بلسان المغل..."<sup>(٢)</sup>.

#### - العلماء والأدباء:

أدى العلماء دوراً مهماً إبان العصر المملوكي، وقد تجلّى ذلك الدور في تعليم الناس، وفي الوقوف في وجه الظلم، وفي شحذ همم الأمة ونفوسها؛ لتقف صخرة قوية في وجه ما يتهدها من أخطار عظيمة تجلت في سيول التتار الجارفة التي لا تنقطع، وفي غارات الصليبيين وحملاتهم المتواصلة على السواحل الشامية والمصرية، وسواحل الجزيرة العربية في أخريات أيام الدولة المملوكية.

وكانت الترجمة من اللغات الأعجمية إلى العربية، أو من العربية إلى اللغات الأعجمية مما اضطلع به نفر من علماء ذلك العصر سواء أكانوا من الفقهاء أم المتصوفة أم المؤرخين أم الحكماء والفلاسفة، مقدمين خبراتهم العلمية والمعرفية سائغة لديوان الإنشاء المركزي في القاهرة، أو للدواوين الفرعية التي نسجت على غراره في النيابات الأخرى كدمشق وحلب وطرابلس وصفد وغزّة والكرك.

١. القلقشندي، صبح الأعشى: ٢١٦/٦.

٢. اليوسفي، نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر: ١٧٥.

ومن الفقهاء المترجمين: فخر الدين محمد بن مصطفى بن زكريا بن خوجا المولود بدورك ببلاد الروم سنة ٦٣١هـ/—١٢٣٣م، والمتوفى سنة ٧١٣هـ/—١٣١٣م، ويروي صلاح الدين الصفدي عن شيخه أبي حيان الأندلسي (ت ٧٢٥هـ/—١٣٢٤م) سيرة هذا الترجمان، قائلاً: "كان شيخاً فاضلاً عنده أدب وله نظم ونثر وقد نظم "القدوري في الفقه" نظماً فصيحاً سهلاً جامعاً، ونظم قصيدة في النحو تضمنت أكثر "الحاجبية"، وفخر الدين هذا كتبنا عنه لسان الترك ولسان الفرس، وكان عالماً باللسانين يعرفهما إفراداً وتركيباً أعانه على ذلك مشاركته في علم العربية، وله قصائد كثيرة منها "قصيدة في قواعد لسان الترك" ونظم كثير في غير فن. ودرس بالحسامية الفقه على مذهب أبي حنيفة، وكان قديماً قد تولى الحسبة بغزة وكان بارع الخط... وقد أدب بقلعة الجبل بعض أولاد الملوك"<sup>(١)</sup>. وما رواه لنا الصفدي عن أبي حيان الأندلسي في غاية الأهمية؛ لأنه يكشف لنا عن المصدر الأساسي الذي استقى منه أبو حيان مادته في معجمه الموسوم بـ "الإدراك إلى لسان الأتراك" من ناحية، ويكشف لنا عن شخصية عالم مترجم مختص باللغات: العربية والفارسية والتركية من ناحية أخرى.

ومن الأدباء المترجمة: عبد اللطيف بن خليفة العجمي (ت ٧٣١هـ/—١٣٣٠م)، وكان أخوه كحال غازان ملك التتار، هاجر إلى الدولة المملوكية، إلا أننا لم نستطع تحديد تاريخ وفوده عليها، وصف بأنه "كان أدبياً فاضلاً لبيباً عاقلاً على ذهنه غوامض من العربية... يترسل بغير سجع... وخطه قوى إلى الغاية من تعليق العجم... يتحدث بالتركي العجمي فصيحاً"<sup>(٢)</sup>.

وكان العجمي متصلاً بالسلطان المملوكي الناصر محمد بن قلاوون وبغيره من كبار الأمراء، وجعل له راتب في جملة المماليك السلطانية، وعرف بأنه كان خبيراً بأخلاق الملوك ومخاطباتهم وسياساتهم، وعارفاً بأخبار وقائع المغول،

١. الصفدي، الوافي بالوفيات: ٣١/٥؛ وانظر: ابن حجر العسقلاني، الدرر الكامنة: ٢٨/٥؛ السيوطي، بغية الوعاة: ٢٤٦/١-٢٤٧.

٢. الصفدي، أعيان العصر: ١١٧/٢-١١٨.

ومستحضرأ لكلام الحكماء، وقد قرّبه القاضي علاء الدين بن الأثير كاتب السر وكانت له به خصوصية<sup>(١)</sup>، ويبدو أن السبب في ذلك هو الانتفاع بمعرفته للغتين التركية والفارسية.

أما المترجمون من المتصوفة، فإن علي بن محمود بن حمد القونوي (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م) خير من يمثل هذا النوع من المترجمين، فقد كان القونوي مدرساً بدمشق في المدرسة القلجية التي أقرى الطلبة فيها منهاج البيضاوي، والحاوي الصغير، ومختصر ابن الحاجب، ثم تولى مشيخة الشيوخ فيها بدلاً من قاضي القضاة شرف الدين المالكي بحكم وفاته، وفوق هذا فإنه عُرف بورعه وتديته وتواضعه<sup>(٢)</sup>.

أما صلته ودوره في ديوان الإنشاء، فإن إقامته بدمشق قد جعلت منه قريباً من ديوان إنشائها الذي كان يلي في أهميته ديوان القاهرة، ولذلك فإن الصفدي يصفه مرة بأنه: "كان يُعرب الكتب الواردة على ديوان الإنشاء باللغة العجمية"<sup>(٣)</sup> وينعته مرة أخرى بأنه: "كان يُعرب لديوان الإنشاء الكتب التي ترد عليه بالعجمية من البلاد الشرقية"<sup>(٤)</sup>.

ومعلوم لدينا بأن الصفدي قد ألف كتابه "الوافي بالوفيات" الذي هو مصدرنا في قوله الأول قبل كتابه "أعيان العصر" الذي اشتمل على عبارته الثانية، الأمر الذي يوحى بأن الصفدي أراد بالزيادة الواردة في قوله: الثاني إزالة ما اعترى عبارته الأولى من ليس وغموض في قوله: "اللغة العجمية" التي لا يدري ما هي، هل هي اللغة الفارسية أو المغولية.

ومن العلماء المترجمين محمود بن عبد الرحمن الأصبهاني (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م)، الذي كان بارعاً في علوم الأوائل والعقليات والشرعيات، وقد ورد على دمشق سنة ٧٢٥هـ/١٣٢٤م بعد أدائه لفريضة الحج وزيارته للقدس

١. الصفدي، المصدر السابق: ١١٧/٢-١١٩.

٢. الصفدي، المصدر السابق: ٢٥٧/٢.

٣. الصفدي، الوافي بالوفيات: ١٨٩/٢٢.

٤. الصفدي، أعيان العصر: ٢٥٧/٢.

الشريف، وسمع منه ابن تيمية، وقال في حقه: "اسكتوا حتى يسمع كلام هذا الفاضل الذي ما دخل البلاد مثله"<sup>(١)</sup>، ثم طلبه السلطان محمد بن قلاوون في سنة ٧٣٢هـ/١٣٣١م وقربيه، وكان: "ما يعرف اللغة التركية فقعد به ذلك، إلا أنه راج باللغة العجمية عند الأمير سيف الدين قوصون"<sup>(٢)</sup>.

ويورد لنا بدر الدين العيني في حوлиاته خبراً بخصوص أحد المتصوفة العجم وهو نصر الله بن عبد الله بن إسماعيل العجمي (ت ٨٣٣هـ/١٤٢٩م) الذي طاف بلاداً كثيرة، ثم قدم إلى مصر، فعرض السلطان عليه كتابه السر ولكنه أبى ذلك<sup>(٣)</sup>. وخبر العيني المتقدم يدل بجلاء على أن معرفة هذا المتصوف للغة أعجمية أو أكثر هي التي أهلتة لمنصب خطير كمنصب كاتب السر من جانب، وتدل على تراجع في مصطلح ديوان الإنشاء الذي يقصر هذه الوظيفة على بلغاء الكتاب وكبرائهم من العرب من جانب آخر.

أما الفلاسفة والحكماء الذين نمت الترجمة وترعرعت في رحابهم، ونهضوا بأعبائها، وخاضوا عبابها في العصر العباسي كحنين بن إسحاق وحبش الأعمش وقسطا بن لوقا وغيرهم فإن العناية باللغات الأعجمية كانت من شأنهم وديينهم<sup>(٤)</sup>.

وخير من يمثل الحكماء الترجمة في العصر المملوكي محمد بن إبراهيم المعروف بابن الأكفاني (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م) الذي ولد بسنجار ونشأ بها، ثم هاجر إلى مصر وتوفى فيها، وقد برع في الطب والهندسة، والحساب والمنطق والفلسفة، علاوة على الأدب والتاريخ، وحفظ أشعار العرب من جاهليين ومولدين ومحدثين ومتأخرين<sup>(٥)</sup>.

ويبدو أن نشأته وذكاءه، وسعة دائرة اهتماماته، قد مكنته من اكتساب أكثر من لغة وبخاصة المغولية والفارسية، ويتضح ذلك من خلال رواية فتح الدين بن سيد الناس اليعمرى (ت ٧٣٤هـ/١٣٣٣م) المهاجر الأندلسي إلى مصر، والتي أوردها الصفدي: "... وأما أحوال الشرق ومتجددات التتار في بلادهم في أوقاتها

١. الصفدي، أعيان العصر: ٣/٢٦٢.

٢. المصدر السابق: ٣/٢٦٢.

٣. العيني، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (تحقيق: عبد الرزاق الطنطاوي القرموط): ٣٨٥-٣٨٧.

٤. انظر: سمير الدروبي: "منهجية المسلمين في الترجمة في العصر العباسي"، مجلة ترجمان، جامعة عبد الملك السعدي، ع ١ ص ٥١-٩٣، ١٩٩٩م.

٥. الصفدي، الوافي بالوفيات: ٢/٢٥-٢٦.

فكانما كانت القُصاد تجيء إليه، والملطفات تنلي عليه بحيث أنني كنت أسمع منه ما لم أطلع عليه من الديوان"<sup>(١)</sup>.

#### - الأسرى:

لم تهدأ الحرب بين المسلمين والفرنجة حتى بعد طردهم على أيدي المماليك من الساحل الشامي في نهاية القرن السابع الهجري، بل استمرت غاراتهم على الشواطئ المصرية والشامية، وغزاهم المماليك في مواقعهم الجديدة كقبرص ورودس وغيرها، وفي أثناء ذلك وقع بأيدي المسلمين أسرى كثيرون. ومن هذا النوع من التراجمة الأسرى: ابن تغري بردي الذي روى قصة أسره واعتاقه الإسلام لبدروا مارتيرد انجلاريا سفير الملكين الكاثوليكيين فرناندو وايزابيلا في سنة ٩٠٧هـ/١٥٠١م.

فيذكر لنا انجلاريا: أنه عندما وصل إلى القاهرة استقبله الترجمان، فسأل انجلاريا ابن تغري بردي الترجمان عن اسمه، والبلد التي أتى منها، وكيف صار إلى ما هو عليه؟ فقال له الترجمان: "إنه ابن رجل من بلنسية يسمى لويس دبرات Luis de Prate، وإنه ولد في قرية مجاورة لبلنسية تسمى مونبلانش Monblanch، وعندما شب عمل بحاراً، فأرادت المقادير أن تلقى سفينته، عاصفة هوجاء على مقربة من الساحل المصري، وتحطمت السفينة وألقت الأمواج بركابها على الشاطئ، فأخذه الناس فيما أخذوه إلى السلطان؛ لأن عُرف البلاد يقضي بأن حطام السفن الغارقة أو الجانحة وكل ما فيها يعتبر ملكاً للسلطان ويساق إليه، إلا إذا كانت السفينة لتجار معروفين، أو ثبت أنها لتجار يحملون صلحاً أمان.

١. المصدر السابق: ٢/٢٦.

وقد قال هذا الرجل: إنهم سجنوه وعذبوه ثلاث سنوات حتى اضطر إلي اعتناق الإسلام بلسانه خلاصاً لنفسه، وأما قلبه فظل مسيحياً مخلصاً. وقد خنتوه على كبر، واختار هو من الأسماء الإسلامية -في رؤية- تغري بردي<sup>(١)</sup>.

ومن الأسرى الذين عملوا تراجمة بلبان الجنوبي الذي يمكننا أن نعرف عنه وعن دوره في الترجمة من خلال ما ذكره لنا أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م) الذي كان نائباً لوالده رئيس ديوان الإنشاء في أيام الناصر محمد بن قلاوون، ولكن أحمد العمري اختلف مع السلطان فأودع السجن، ويذكر أنه تعرف في السجن على بلبان الجنوبي الذي أمده بأوثق المعلومات عن الإمارات التركية الإسلامية في بلاد الأناضول، وعن الممالك الرومية (اليونانية) مثل القسطنطينية وطرابزون.

وحكى لنا العمري قصة الترجمان بلبان الجنوبي قائلاً: "بلبان الجنوبي عتيق الأمير الكبير بهادر المعزي، وهو ممن له الخبرة التامة بما يحكيه، وهو الذي أفاد كيفية تصوير هذه البلاد، واسم هذا بلبان في بلاده دومانوكين دورياً بن بادا دورياً، وهو من بيت حكم في جنوة، اتفق أنه جمعت بيني وبينه المقادير في الاعتقال وعنه أخذت ما قال"<sup>(٢)</sup>.

والناظر في مسالك الأبصار يجد أن هذا الترجمان قد أمد العمري بمعلومات وافرة وقيمة تتعلق بـ: حدود وعملة واقتصاد وسكان وجيوش وأمراء وجغرافية جميع الإمارات التركية الواقعة في آسيا الصغرى والتي كانت تربطها علاقات ودية مع المماليك، ومن هذه الإمارات التي عرفها بلبان وتحدث عنها: كصطمونية وقاوييا وبرسا واكيرا ونيف ومغنيسيا ومرمرا وبركي وفوكه، وانطاليا وقراصار وأرمناك وكرمينان وطنغزلو وتوزا وعميدلي<sup>(٣)</sup>.

١. حسين مؤنس، سفارة بدرو مارتيرو أنجلاريا سفير الملكين الكاثوليكين إلى السلطان الغوري

(ديسمبر ١٥٠١-فبراير ١٥٠٢)، ضمن: أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة مارس-أبريل

١٩٦٩: ٤٦٠/١-٤٦١.

٢. العمري، مسالك الأبصار، ١٦٤/٣.

٣. المصدر السابق: ١٥٤/٣-١٧٩ وانظر: العمري، التعريف بالمصطلح الشريف: ٥١-٥٥.

وفوق ذلك فإن هذا الترجمان المدعو بيلبان الجنوبي كان المصدر الأساسي الذي استقى منه العمري مادة رسالته الموسومة بـ "ممالك عباد الصليب" وهي رسالة طريفة عن الممالك الأوروبية، ونظام الحكم فيها، وملوكها وأرضها وسكانها ونظمها الإدارية وجيوشها ومناخها... الخ.

## - التجار الأوروبيون من بنادقة وجنويين وفلورنسيين وإسبان ومسلمين وغيرهم:

عمل سلاطين المماليك على استجلاب التجار من كل الملل والأجناس تنشيطاً لحركة التجارة التي أصبحت مصدراً هاماً من مصادر خزيرنتهم، ولذا فإنه من الطبيعي وجود أعداد كبيرة من الأجانب في أكثر الحواضر المملوكية كالقاهرة ودمشق والقدس، والإسكندرية وحلب وبيروت وعكا وإفا وطرابلس وعجلون وعمان وغيرها من المدن.

فقد لاحظ الرحالة الأوروبي اليهودي عوبديا: "أن المرء يقابل في القاهرة أعداداً لا تحصى من الأجانب من كل أمة، ويتحدثون بكل لسان"<sup>(١)</sup>، وبدهي أن بعضهم قد تعلم العربية نتيجة لمخالطته أهلها وإقامته الطويلة بين ظهرانيتهم، علاوة على أن بعض العائلات الإيطالية قد تخصصت في التجارة مع المشرق، منها: بيت الإخوة موروسيني Morosini الذين ذاع صيتهم في القرن الرابع عشر الميلادي/ الثامن الهجري، وكانوا يتجرون في بلاد الشرق وبخاصة في حلب، وكان لهم فرع هام يقيم في دمشق وبيروت<sup>(٢)</sup>، كما أن بعضاً من الأسر البندقية اتخذت دمشق مركزاً لأعمالها التجارية مثل: أسرة كويريفي وأسرة باباريجو وأسرة واستورلادو<sup>(٣)</sup>.

١. قاسم عبده قاسم، اليهود في مصر: ٦٧.

٢. ديل، البندقية: ٦٥.

٣. هايد، تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى: ٣/٣٣٨.

ومن الإشارات الواضحة التي تدل على معرفة تجار الفرنج للغة العربية، واستخدام الدولة المملوكية لهم أحياناً تراجمة يقومون بمهام دبلوماسية أو يترجمون بعض النصوص، أن السلطان المملوكي قام باعتقال جميع الفرنجة في دولته بعد غارة ملك قبرس وأعوانه من الفرنج على الإسكندرية في سنة ٧٦٧هـ/١٣٦٥م، وبقي تجار الفرنجة في الأسر حتى سنة ٧٧٢هـ/١٣٧٠م حتى قدمت سفن الفرنج للإسكندرية طلباً لافتكاكهم: " فلما سمعت أسارى الفرنج بقدمهم استغاثوا، فسمع السلطان استغاثتهم، فسئلوا عن ذلك، فقالوا: نريد أن يسافر منا اثنان إلى أرض الفرنج، يكلمون الباب\* والملوك في إيقاع الصلح، والطاعة لمولانا السلطان، ونعد مولانا السلطان بأن كليين منا قد هلكا إذا لم يرجعا، فرسم السلطان بذلك، فأرسلوا أرناط بن مرك البندقي وآخر معه<sup>(١)</sup>. وقد غاب التاجران نحواً من عشرة أشهر، وعادا بصحبة رسل البنادقة والجنوية والروادسة والقبارسية، ثم جرت مفاوضات الصلح بين الطرفين سوى القبارسية والروادسة. ويسرى جروسية أن بعضاً من البنادقة الذين أتقنوا العربية كانوا يعملون تراجمة في مفاوضات المعاهدات التجارية بين المماليك والبنادقة<sup>(٢)</sup>.

ومن التجار التراجمة الذين تحدث عنهم المصادر التاجر الإيطالي برتراندو دي ميجنانلي الذي ولد في إيطاليا سنة ٧٧٢هـ/١٣٧٠م، في أسرة من طبقة النبلاء، ثم غادر إيطاليا متجولاً في بلاد الشرق إلى أن استقر به المقام في دمشق التي أصبح بها من رجال المال والأعمال، وكما قال هو عن نفسه: وجدت هناك الثروة الوفيرة والشرف العظيم، لكن ذلك كان يقابله الكثير من الجهد والمخاطر الجمة.

وقد تعلم دي ميجنانلي خلال إقامته في دمشق اللغة العربية، وتمكن من العمل بالترجمة التحريرية والشفوية للسلطان المملوكي الظاهر برقوق

\* المقصود به " البابا "

١. النويري، الإمام: ٦/٤٠٤-٤٠٥.

٢. عفاف السيد صيره، العلاقات بين الشرق والغرب: ٢٥٢.

ت ٨٠١هـ / ١٣٩٨م) وذلك عند وصول يعقوب دي كروز Jacob de Croze  
سفيراً لدوق ميلان جيوفاني جاليزو Giovanni Galcazo .

وكان السفير قد حمل رسالة من الدوق يطلب بمقتضاها الإذن من السلطان  
برقوق لإصلاح الباسيليكا في بيت لحم بفلسطين، كما يطلب حماية الآباء في  
جبل صهيون.

وقد ترجم دي ميغانللي خطابات الدوق إلى اللغة العربية ورد السلطان  
عليها إلى اللغة اللاتينية<sup>(١)</sup>.

وعلاوة على ذلك فإن بعضاً من كبار التجار الأعاجم قد قاموا بمهام السفارة  
بين دولة المماليك وغيرها من الدول، وقد أطلق عليهم اسم " الخواجية " <sup>(٢)</sup>  
وواحدهم " الخواجا " الذي كان من ألقابه في ديوان الإنشاء: " السفيري " الذي  
يفسره القلقشندي بقوله: " لسفارتهم بين الملوك وترددهم في الممالك لجلب  
المماليك والجواري ونحو ذلك، وهو منسوب إلى السفير: وهو الرسول والمصلح  
بين القوم نسبة مبالغة، ولم يستعمله الكتاب مجرداً عن الياء " <sup>(٣)</sup>

ولا يخفى أن من يقوم بمهام السفارة بين الملوك لا بد له من معرفة لغة  
البلاد المرسل إليها، لما تحتاج إليه الدبلوماسية الناجحة من قدرة على أداء  
الرسالة، توسلاً لتحقيق الغرض المرجو منها، ولذلك خصّ السفراء والخواجية  
بالقب: "تقة الدول" <sup>(٤)</sup>.

---

١. أحمد عبد الكريم سليمان، تيمورلنك ودولة المماليك الجراكسة مع ترجمة مقال الكاتب اللاتيني دي  
ميغانللي عن حياة تيمور لنك: القسم الثاني: ٣.

٢. يقول القلقشندي، صبح الأعشى: ١٢/٦: " الخواجا من ألقاب أكابر التجار الأعاجم من الفرس  
ونحوهم وهو لفظ فارسي، ومعناه السيد، والخواجيُّ بزيادة كاف نسبة إليه للمبالغة، كأن الكاف  
تدخل في لغتهم مع ياء النسب" .

٣. المصدر السابق: ١٥/٦.

٤. المصدر السابق: ٤٢/٦.

## - القناصل:

لقد كان من النتائج الإيجابية لحركة التجارة النشطة بين دولة المماليك وجنوة والبندقية وفلورنسا وغيرها من المدن الإيطالية والممالك الأوروبية وجود عدد من القناصل الذين يراعون المصالح التجارية لهذه الدول، ولاشك أن اختيارهم كان بناءً على معرفتهم بأحوال الشرق العربي ولغته، الأمر الذي يحتم عليهم إقامة طويلة في الشرق واحتكاك وثيق بأهله.

ولدينا من النصوص ما يثبت معرفة القناصل للعربية، وقدرتهم على نقل مراسيم السلطان التي يصدرها بشأن رعاياهم إلى لغاتهم، فقد حدث خلاف بين مسلمي الإسكندرية وتجار الفرنج بشأن أسرى المسلمين وذلك في سنة ٧٦٩هـ/١٣٦٧م، فما كان من نائب الإسكندرية إلا أن دعا قناصل الإفرنج المقيمين في المدينة، وقرأ عليهم كتاب السلطان المتضمن منع سائر الفرنج من السفر ما لم يردوا الأسرى: "فلما سمعت القناصلة والتجار ذلك كتبوا كتاباً بالخط الرومي ودخل به رجل من المسلمين البحر، وجعله بعقب رمح وغرز سنانه بقاع البحر ورجع إلي البر، فأتى قارب من مراكب الإفرنج أخذه ورجع به إلى المراكب، فلما قرأوه تيقنوا أن أصحابهم مأسورون"<sup>(١)</sup>.

## - رجال الدين المسيحي:

نجم عن تسامح الدولة المملوكية تجاه النصارى ومنهم رجال الدين خاصة، وجود عدد كبير منهم في مختلف الأماكن المقدسة الموجودة على أرض الدولة المملوكية في القدس وبيت لحم وسيناء والناصرية وطور سيناء وغيرها من الأماكن المقدسة.

وتشير المصادر إلى أن رجال الدين المسيحي المقيمين على أرض الدولة المملوكية كانوا يمثلون مختلف الطوائف المسيحية من: روم وسريان وأرمن وكرج وأقباط وأحباش وفرنسيسكان<sup>(٢)</sup>، وكانت لهم أديرتهم وكنائسهم التي يتمتعون فيها بأتم الحماية والرعاية من الدولة وفقاً لما تذكره وثائق هذه الطوائف الصادرة إليهم من ديوان الإنشاء المملوكي<sup>(٣)</sup>.

١. النويري، الإمام: ١٩٢/٥-١٩٣.

٢. انظر: علي السيد حسن، القدس في العصر المملوكي: ٨٢-٨٧.

٣. انظر: Risani; Documenti E. Firmani, PP. 6-170. Ernst., Die Mamlukischen Sultansurkunden des Sinai - Klosters, PP. 4-255.

وفوق ذلك فإن الإسكندرية كانت مركزاً لكرسي بطرك اليعاقبة الذي يتبع مذهبه نصارى النوبة والحبشة<sup>(١)</sup>.

ولما كان رجال الدين المسيحي يمثلون مختلف الطوائف النصرانية فإنهم كانوا يعرفون لغاتها، ولذلك فإن الدولة المملوكية كانت تستعين بهم في أعمال الترجمة عند الحاجة، ويتضح ذلك من خلال:

أ- المشاركة والتصديق على الهدن بين المماليك والفرنج، فقد وقع المنصور قلاوون في سنة ٦٨٩هـ/١٢٩٠م هدنة مع الجنوبية، وجاء رسل الفرنج إلى القاهرة لتوقيع الهدنة، فشهد عليها بطرس أسقف مصر وميخائيل الراهب من دير طور سيناء<sup>(٢)</sup>.

ب- تعريب الكتب الواردة إليهم ورفعها إلى السلطان المملوكي فيما إذا كانت متعلقة به<sup>(٣)</sup>.

ج- القيام بمهمة السفارة للسلطان المملوكي، وحمل رسائله إلى ملوك الغرب المسيحي، حيث استتجد صاحب الأندلس بالسلطان المملوكي في سنة ٨٩٢هـ/١٤٨٦م طالباً منه النصر على الفرنج الذين أشرفوا على أخذ غرناطة، فبعث السلطان قايتباي إلى: "القسوس الذين بالقيامة التي بالقدس، بأن يرسلوا كتاباً على يد قسيس من أعيانهم إلى ملك الفرنج صاحب نابل، بأن يكاتب صاحب قشتالية، بأن يحل عن أهل الأندلس ويرحل عنهم، وإلا يشوش السلطان على أهل القيامة، ويقبض على أعيانهم، ويمنع جميع طوائف الفرنج من دخول القيامة..."<sup>(٤)</sup>.

- اليهود:

مما اتسمت به المجتمعات الإسلامية منذ عهد الرسول وفيما تلاه من العصور تسامحها مع اليهود، والقبول بوجودهم في إطار الدولة الإسلامية كأهل

١. انظر: صبح الأعشى: ٣٠٨/٥. وانظر: . Suriano, Treatise On The Holy Land, P. 90.

٢. ابن عبد الظاهر، تشریف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور: ١٦٦-١٦٩.

٣. انظر: المصدر السابق: ١٧٢-١٧٣.

٤. ابن إياس، بدائع الزهور: ٢٤٤/٣-٢٤٥.

ذمة خلافاً لما كان عليه حال يهود من اضطهاد وتقتيل في المجتمعات الأوروبية.

وانطلاقاً من قاعدة التسامح فإنه سمح لليهود بممارسة التجارة وجوب الآفاق بحثاً عن الثراء مما مكنهم من معرفة عدد من اللغات التي يتواصلون بها مع شعوب الأرض المختلفة، كما سمح لهم بالإقامة للعبادة في الأماكن المقدسة<sup>(١)</sup>.

وبناءً على ما تقدم فإن عدداً منهم قد برعوا في الترجمة وإتقان اللغات المختلفة، كما برعوا في التجارة والطب والصرافة وغيرها من المهن المهمة آنذاك.

فقد ذكر الرحالة اليهودي ميشولام أن مترجم السلطان المملوكي كان يهودياً من أصل أسباني، وكان عارفاً بسبع لغات هي العربية والإيطالية والتركية والألمانية والفرنسية إلى جانب اللغة العبرية<sup>(٢)</sup>.

ويحدثنا الرحالة الأوروبي بيرو طافور الذي شرع في رحلته إلى الشرق سنة ٨٣٩هـ/١٤٣٥م- وكان، تاجراً وسفيراً أرسل لبلاط السلطان المملوكي- أن تترجم السلطان من أصل يهودي لكنه أسلك فيما بعد، يقول: " فتلقاني المترجم بالترحاب العظيم وأنزلي في داره، فبقيت به يومين قبل أن أتمكن من رؤية السلطان، وأخذ المترجم طوال هذه الفترة في محادثتي، فسألني الكثير عن نفسي، ولما عرف مني أنني قشتالي الأصل، أشبيلي المولد، امتلأت نفسه غبطة لسماعه هذا النبأ، فقد ولد هو الآخر بها، ودرج طفلاً على ترابها، إلا أنه حمل صغيراً إلى بيت المقدس مع أبيه وكان يهودياً، لكنه أسلم حين مات أبوه، وكان

١. انظر: F.f Suriano Treatise On The Holy Land . (Jerusalem, 1949), PP. 101-102.

٢. قاسم عبده قاسم، اليهود في مصر: ٦٤.

اسمه في بداية الأمر "حايم" أما الآن فيدعى "صايم" وقد أراد أن يعرف من أكون ومن أين جئت؟ فلم أكتف عنه شيئاً من خبري لأنتفع بخدماته ونصحاته"<sup>(١)</sup>.

وجاء في إحدى الوثائق المؤرخة في ٢٩ من صفر ٨٢٦هـ/ ١١ من فبراير ٤٢٣م، وذكر لخمسة من التراجمة المسلمين المعتمدين لدى الدولة المملوكية وهم: شمس الدين محمد بن العادل، وتقي الدين محمد بن الأسيوطي وشمس الدين محمد بن عمر ومحمد بن حمزة ومحمد بن علي بن كندك، ومترجم يهودي اسمه مردوخ بن شموال<sup>(٢)</sup>.

١. طافور، رحلة طافور في عالم القرن الخامس عشر الميلادي: ٦٤-٦٥.

٢. صبحي لبيب، "الفندق ظاهرة سياسية، اقتصادية، قانونية: ٢٩٦ ضمن كتاب: مصر وعالم البحر المتوسط. ويبدو أن عائلات يهودية قد تخصصت في موضوع الترجمة من العربية إلى اللغات الأوروبية من قبل العصر المملوكي ومن بعده. ففي ملخص لدراسة بعنوان "المترجمون إلى اللغة العربية في وهران في القرن ١٦" وهي من إعداد شانثال دي لافيرون من المركز الوطني للبحث العلمي بباريس مانصه: "عند البحث في الأرشيف العام بسيمنكا (إسبانيا) حول موضوع وهران أثناء الاحتلال الإسباني لاحظنا غياب وثائق الإدارة الإسبانية فيما بين ١٦٥٢-١٦٦٨ إلا أننا عثرنا على هذه الوثائق في لندن وجوناف. وتبين لنا أن أغلبها تتناول العائلات اليهودية الرئيسية في وهران والتي من بينها عائلات تتمتع بامتياز المناصب الرسمية للمترجمين إلى العربية ومن بين هذه العائلات توجد عائلة كانسينو، وقد مكنتنا وثائق المتحف البريطاني والمكتبة الجامعية بجوناف من تتبع حياة وسير بعض أعضائها المترجمين إلى العربية لدى حكام وهران. وبالإضافة إلى كانسينو توجد عائلات زابورتاس والألبو التي تعتبر من ضمن العائلات السبعة التي سمح لها الأسبان بالإقامة بوهران. إن الوثائق المذكورة أعلاه تتحدث عنها في عدة مناسبات وتشير إلى أن بعض أعضائها كانوا مترجمين إلى العربية، انظر: (المجلة التاريخية المغربية، السنة ١٧، العدد ٥٩-٦٠، سنة ١٩٩٠).

## فهرست المصادر والمراجع

أحمد عبد الكريم سليمان:

- تيمورنك ودولة المماليك الجراكسة. ط ١، دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٥م.

ابن إياس، محمد بن أحمد (ت ٩٣٠هـ / ١٥٥٣م).

- بدائع الزهور في وقائع الدهور. تحقيق: محمد مصطفى، ط ٣، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٨٤.

بروكلمان، كارل:

- تاريخ الأدب العربي، القسم السادس (١٠-١١). نقله إلى العربية: حسن محمود إسماعيل، الهيئة المصرية، القاهرة، ١٩٩٥م.

ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ / ١٤٦٩م).

- المنهل الصافي والمستوفى على الوافي (١-٦). تحقيق: أحمد يوسف نجاتي وآخرون، ط ١، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٥٦-١٩٩٠م.

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. وزارة الثقافة، القاهرة، ١٩٦٣-١٩٧٢م.

ابن حبيب، حسن بن عمر بن الحسين (ت ٧٧٩هـ / ١٣٧٧م):

- تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه. تحقيق: محمد أمين، ط ١، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٦-١٩٨٦م.

ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين أحمد (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م):

- إنباء الغمر بأنباء أبناء العمر. تحقيق: حسن حبشي، ط ١، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة.

- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة. تحقيق: محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ١٩٦٦م.

حسين مؤنس:

- "سفارة بدرو مارتيرد أنجلاريا"، ضمن كتاب: أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٠م.

الخالدي العمري، محمد بن لطف الله (ت ٩هـ/١٥م):

- المقصد الرفيع المنشأ الهادي إلى ديوان الإنشاء. مخطوط المكتبة الوطنية بباريس رقم (٤٤٣٩).

الدروبي، سمير:

- "حركة التعريب في ديوان الإنشاء المملوكي"، مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، ٦٢ع، ص ١١-٧٣، ١٤٢٣هـ/ ٢٠٠٢ن.

- "منهجية المسلمين في الترجمة في العصر العباسي"، مجلة ترجمان، جامعة عبد الملك السعودي، مدرسة الملك فهد العليا للترجمة بطنجة، ع ١، مجلد ٨، سنة ١٩٩٩م.

ديل، شارل:

- البندقية جمهورية أرستقراطية. ترجمة: أحمد عزت عبد الكريم وتوفيق إسكندر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٤٩م.

السبكي، تاج الدين عبد الوهاب (ت ٧٧١هـ/١٣٦٩م):

- معيد النعم ومبيد النقم. ط ١، دار الحدائق، بيروت، ١٩٨٣م.

السخاوي، شمس الدين عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ/١٤٩٦م):

- الذيل على رفع الإصر. تحقيق: جودة هلال ومحمد محمود صبح، الدار المصرية للتأليف والترجمة، القاهرة، بلا تاريخ.

- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع. مكتبة القدسي، القاهرة، ١٣٥٥هـ.

سعید عبد الفتاح عاشور:

- مصر والشام في عصر الإيوبيين والمماليك. دار النهضة، بيروت، بلا تاريخ.

السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن (ت ٩١١هـ/١٥٠٥م):

- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط ١، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، ١٩٦٤م.

ابن شداد، عز الدين محمد بن علي بن إبراهيم (ت ٦٨٤هـ/١٢٨٠م).

- تاريخ الملك الظاهر، تحقيق: أحمد حطيظ، فرانز شتاينر بفيسدان، ١٩٨٣م.

الشيبياني، أحمد بن أبي الفتح (ت ٧٠٢هـ/١٣٠٢م)

- رسالة رصف الفريد في وصف البريد، دراسة وتحقيق: سمير الدروبي، دار البشير، عمان، ٢٠٠٢م.

صبحي لبيب:

- "الفندق: ظاهرة سياسية، اقتصادية، قانونية". ضمن كتاب: مصر وعالم البحر المتوسط، إعداد وتقديم: رؤوف عباس، ط ١، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة - باريس، ١٩٨٦م.

الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (٦٧٣هـ/١٣٦٧م):

- أعيان العصر وأعوان النصر. مكتبة السليمانية، مجموعة عاطف أفندي رقم (١٨٠٩)، منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، فرانكفورت، ١٩٩٠م.

- الوافي بالوفيات. تحقيق: هلموت ريتز وأخرون، فرانز شتاينر بفيسبادن، ١٩٦١-١٩٩٦.

الصيرفي، علي بن داود (ت ٨٧٩هـ/٤٧٤م):

- نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان. تحقيق: حسن حبشي، مطبعة دار الكتب، القاهرة، ١٩٧٠-١٩٧٣م.

طافور:

- رحلة طافور في عالم القرن الخامس عشر الميلادي. ترجمة وتقديم: حسن حبشي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٨م.

ابن عبد الظاهر، محيي الدين عبدالله (ت ٦٩٢هـ/١٢٩٢م):

- تشریف الأيام والعصور في سيرة الملك المنصور. تحقيق: مراد كامل، ط ١، وزارة الثقافة والإرشاد، القاهرة، ١٩٦١م.

- الروض الزاهر في سيرة الملك الظاهر. تحقيق: عبد العزيز الخويطر، ط ١، الرياض، ١٩٧٦م.

عبد المنعم ماجد:

- نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر. ط ٢، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٩م.

## عفاف صبرة:

- العلاقات بين الشرق والغرب. دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٨٣م.
- العمري، أحمد بن يحيى بن فضل الله (ت ٧٤٩هـ/١٣٤٩م):
- التعريف بالمصطلح الشريف. دراسة وتحقيق: سمير الدروبي، جامعة مؤتة، الأردن، ١٩٩٢م.
- مسالك الأبصار في ممالك الأمصار. مخطوط أحمد الثالث، طوبقابوسراي، رقم (٢/٢٧٩٧) و (٣/٢٧٩٧).
- العيني، بدر الدين محمود (ت ٨٤٩هـ/١٤٥١م):
- السيف المهند في سيرة الملك المؤيد. تحقيق: فهمي محمد شلتوت، دار الكتاب العربي، القاهرة، ١٩٦٦-١٩٦٧م.
- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان ( حوادث وتراجم ٨١٥هـ-٨٢٤هـ). تحقيق: عبد الرازق القرموط، ط١، مطبعة علاء، القاهرة، ١٩٨٥م.
- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (حوادث وتراجم ٨٢٤هـ-٨٥٠هـ). تحقيق: عبد الرازق القرموط، ط١، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ١٩٨٩م.
- ابن الفرات، ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم (ت ٨٠٧هـ/١٤٠٤م):
- تاريخ ابن الفرات. عني بتحريير نصه: قسطنطين زريق، تاريخ ومكان النشر غير مذكورين.
- قاسم عبده قاسم:
- اليهود في مصر من الفتح العربي حتى الغزو العثماني، ط١، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة-باريس، ١٩٨٧م.

القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م):

- صبح الأعشى في صناعة الإنشا. مصورة المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة عن المطبعة الأميرية. بلا تاريخ.

المقريزي، أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م):

- إغاثة الأمة بكشف الغمة. نشر: محمد مصطفى زيادة وجمال الدين الشيال، ط١، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٤٠م.

- درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة. تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٩٥م.

- السلوك لمعرفة دول الملوك. تصحيح: محمد مصطفى زيادة، ط٢، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٩٥٦م.

- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروفة بالخطط المقرزية. طبعة جديدة بالأوفست، دار صادر، بيروت، بلا تاريخ.

النويري، محمد بن القاسم (ت ٧٧٥هـ/١٣٧٣م):

- الإمام بالأعلام فيما جرت به الأحكام والأمور المقضية في وقعة الإسكندرية. تحقيق: عزيز سوريال عطية، ط١، حيدر آباد الدكن، الهند، ١٩٧٣م.

هايد، ف:

- تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى. عربي عن الترجمة الفرنسية: أحمد محمد رضا، ط١، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ١٩٨٥-١٩٩٤م.

ابن واصل الحموي، جمال الدين محمد بن سالم (ت ٦٩٧هـ / ١٢١٧م):

- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب. تحقيق: جمال الدين الشيال وحسن محمد ربيع، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ١٩٥٣-١٩٧٧م.

اليوسفي، موسى بن محمد بن يحيى (ت ٧٥٩هـ / ١٣٥٨م):

- نزهة الناظر في سيرة الملك الناصر. تحقيق ودراسة: أحمد حطيظ/ ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٦م.



## الأسس النظرية للمنهج التعليمي

### في بلاغة ابن سنان الخفاجي

الدكتور عبد الكريم الحيارى

الجامعة الأردنية

-١-

تسبب كتب التراجم إلى ابن سنان الخفاجي (-٤٦٦هـ) طائفة من المؤلفات لم يصل إلينا منها إلا كتابه "سرّ الفصاحة" وديوان شعره<sup>(١)</sup>. أما مؤلفاته الأخرى فإدنا أسماؤها ليس غير، إذ لا نعرف أحدا نقل عنها أو ذكر أنه أفاد منها، خلافاً لكتابه "سرّ الفصاحة" الذي كان له أثر واضح في تاريخ الفكر الأدبي عند العرب<sup>(٢)</sup>. وهكذا فإنك إذا تناولت ابن سنان مفكراً أو بلاغياً أو ناقداً فإنما تتحدث عما جاء به في هذا الكتاب على وجه التحديد<sup>(٣)</sup>. وهذا البحث محاولة للمشاركة في الجهود الرامية إلى إيضاح ما قدمه ابن سنان لنظرية الأدب عند العرب، مما لعله يساعد في بيان موقعه في تاريخ الفكر البلاغي والنقدي. وقد كنت ذهبت في موضع آخر إلى أن الرجل لم يحظ حتى الآن إلا بأقل مما هو جدير به من عناية الدارسين، ومن المؤمل أن تبين الصفحات القادمة أن ثمة جوانب في فكر ابن سنان ما زالت في حاجة إلى دراسة وتحليل.

أخترت ههنا أن أتناول تعليم البلاغة في رأي ابن سنان؛ فإن المسألة التعليمية هذه من أهم القضايا المتصلة بالبلاغة، بل لعلها تتقدم على كل مسألة غيرها؛ فالبلاغة علم تعليمي<sup>(٤)</sup> وليس مادة ثقافية، والبلاغيون (يفترض فيهم أنهم) معلمو البيان، والحملات التي تعرضت لها البلاغة قديماً وحديثاً إنما صدرت عن

١. انظر في مؤلفاته: صلاح الدين الصفدي، الوافي بالوفيات، ٥٠٥/١٧؛ وهذه المؤلفات نفسها يذكرها ابن

شاذان الكنتي، انظر: فوات الوفيات، ٢٢٢/٢، وقد طبع "سرّ الفصاحة" وديوان ابن سنان غير مرة.

٢. انظر في هذا الشأن: عبد العاطي علام، البلاغة العربية بين الناقدين الخالدين: عبد القاهر الجرجاني وابن

سنان الخفاجي، ص ٣٦٠-٣٧٢، ص ٣٧٩-٣٨٢.

٣. انظر في موضوعات الكتاب: عبد الرزاق أبو زيد، كتاب سرّ الفصاحة لابن سنان الخفاجي، دراسة

وتحليل، ص ٣٥ وما بعدها.

٤. انظر مثلاً ما يقوله عبد السلام المسدي من أن من أبرز ما يميز البلاغة (عن الأسلوبية التي هي "وليدة

البلاغة ووريثها المباشر" "أن البلاغة علم معياري يرسل الأحكام التقييمية ويرمي إلى "تعليم" مادته

وموضوعه: بلاغة البيان"، وأن البلاغة ترمي إلى خلق الإبداع بوصاياها التقييمية، الأسلوبية والأسلوب،

ص ٥٢-٥٣.

هذه المسألة التعليمية بعينها، فقد أخذ على البلاغيين إخفاقهم في تعليم هذا الفن، أي أن علمهم غير قادر على الوفاء بالغرض الذي يدعون أنه قد وجد أصلاً لتحقيقه<sup>(٥)</sup>. وللبحث في تعليم البلاغة عند ابن سنان بخاصة أهمية من وجه آخر؛ ذلك أن الناس وقد شغلهم النظر في وظيفة البلاغة في تعليم فن القول كادوا يغفلون عن أن هذا العلم يراد به أيضاً تعليم فن النقد. ولا أدل على ما في ذلك من جور على هذا الغرض النقدي من أنه هو نفسه، كما سيتبين فيما بعد، مقدّم في مذهب ابن سنان على غيره، بل يطغى على ما سواه عنده.

ويسترعي الانتباه حقاً في كتاب "سرّ الفصاحة" أن صاحبه يستوقفك بين حين وآخر ليُسمعك رأيه في أمر من الأمور المتصلة بتعليم البلاغة، وهذا ينبئك عن مدى اهتمامه بهذه المسألة، أو ربما مدى إلحاحها عليه. هذه الآراء قد تأتي على قدر ما من التفصيل حيناً، وربما جاءت موجزة شديدة الإيجاز حيناً آخر، كما أنها تتفاوت كذلك في مدى وضوحها. وغرضنا هنا تقصي ما دوتّه ابن سنان من آراء وملاحظات تتصل من تعليم البلاغة بسبب، وتناولها بالدراسة والتحليل ميوّبة وفق الجوانب المختلفة للمسألة التعليمية، وذلك بضمّ ما تألّف منها واتصل بجانب بعينه من تلك الجوانب بعضه إلى بعض، وتفصيل ما تركه ابن سنان مجملاً، وتوضيح ما يحتاج منها إلى شرح وبيان، واستخراج ما يتضمنه كلامه أو يستلزمه مما لم يصرّح به، مع عدم إغفال الاستعانة في أثناء ذلك بما جاء عند غيره من البلاغيين والنقاد إذا كان ذلك يساعد في إيضاح مقاصده، أو الإبانة عن قيمة آرائه، أو وضع أفكاره في سياق عام يتجاوز حدود كتابه.

والحديث عن تعليم البلاغة، أو علم الفصاحة في مصطلح ابن سنان، يتناول أموراً يمكن ردها في نهاية الأمر إلى أبواب أربعة:

١- الغرض من تعلّم البلاغة أو تعليمها.

٢- إمكانية تعليم البلاغة.

٣- مادة الدرس البلاغي.

٤- طريقة تقديمها للمتعلم.

٥. انظر مثلاً: أمين الخولي، بل هي ثورات على علوم البلاغة، مجلة الهلال، ٤٤/٤٤١-٥٤٥.

وسيصار فيما سيأتي من البحث إلى لم أشأت الملاحظات التي تناثرت في كتاب "سرّ الفصاحة"<sup>(٦)</sup> مما يتصل بكل باب من تلك الأبواب، بما يفضي إلى إعادة صياغة مذهب ابن سنان التعليمي على نحو مترابط، يتبين معه ما يتميز به هذا المذهب من وضوح واتساق وتماسك، أو ما يعتوره من أوجه الضعف وجوانب القصور.

#### ب-

رأى ابن سنان الناس مختلفين في مفهوم الفصاحة، يتداولون مصطلحاً لا يعرفون حقيقة معناه، ومن ثمّ فإنهم يختلفون في تمييز الكلام الفصيح من غيره، لأنهم لا يحسّون في ذلك إلى أصول مقرّرة ومعايير معلومة<sup>(٧)</sup>. ولذلك فإن بيان مفهوم الفصاحة وشروطها هي الغاية التي أراد ابن سنان بكتابه أن يصل إليها: "اعلم أن الغرض بهذا الكتاب معرفة حقيقة الفصاحة، والعلم بسرّها" (ص ١٣). ومن هنا اختار لكتابه عنوان "سرّ الفصاحة"؛ فإن في الفصاحة أسراراً تخفى على الناس ومفهومها يكتفه الغموض، وقد ألف كتابه لكشف تلك الأسرار وإزالة ذلك الغموض<sup>(٨)</sup>. ولكن ما الفائدة التي يجنيها المرء من معرفة الفصاحة؟ وما الغرض الذي وجد علم الفصاحة أصلاً للوفاء به؟ والإجابة عن ذلك ضرورية في نظر ابن سنان؛ فإن معرفة المتأدّب وجه الحاجة إلى هذا العلم مما يحمله على الإقبال عليه والعناية به، فكان "من الواجب أن نبين ثمرة ذلك (العلم) وفائدته، لتقع الرغبة فيه" (ص ١٣).

\*. الطبعة المستخدمة هنا هي الصادرة عن دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢. وقد أشرت في متن البحث إلى المواضيع المقتبسة بنصّها من "سرّ الفصاحة"، وإلى غيرها في الحواشي. والصفحات المذكورة في المتن جميعها تشير إلى مواضع من هذه الطبعة. وإذا أُشير في الحواشي إلى مصدر ما دون تحديده، فالمقصود هذه الطبعة من "سرّ الفصاحة".

٦. انظر: ص ١٣، قارن: ص ٦٣، ص ٢٨٥.

٧. انظر: ص ٢٣٤، ص ٢٩١.

يحرص ابن سنان على التنبيه على أهمية العلم بالفصاحة وعظيم خطره، وأن "الدواعي إلى معرفة ذلك قوية، والحاجة ماسة شديدة" (ص ١٤)؛ ذلك أن كلاً من طالب الأدب وطالب العلوم الشرعية جميعاً محتاج إليه<sup>(٨)</sup>: "أما العلوم الأدبية، فالأمر في تأثير هذا العلم فيها واضح، لأن الزبدة منها والنكتة نظم الكلام على اختلاف تأليفه ونقده ومعرفة ما يُختار منه مما يُكره. وكلا الأمرين (أي نظم الكلام ونقده) متعلق بالفصاحة، بل هو مقصور على المعرفة بها، فلا غنى للمنستحل الأدب عما نوضحه ونشرحه في هذا الباب" (ص ١٣-١٤).

علم الفصاحة يضع بين يدي طالب الأدب جملة من الأسس والمبادئ التي يهتدي بها في إنشاء كلام ينوي تأليفه، أو يستعين بها في الحكم على كلام أنشأه غيره. وهذا بعينه هو ما تسعى العلوم الأدبية كلها إلى تحقيقه: أن تساعد المتعلم على أن يصبح أديباً منشئاً، أو ناقداً يميز جيد الكلام من رديئه. علم الفصاحة وُجد أصلاً لتعليم فنّ الإنشاء وصناعة النقد، أي أن الغاية التي تطمح الدراسات الأدبية مجتمعة إلى الانتهاء إليها هي غرضه المباشر، ولذلك فإن منزلته بين علوم الأدب غير خافية، وحاجة المتأدبين إليه بادية ظاهرة.

ويحظى هذا العلم بأهمية كبيرة أيضاً بين العلوم الشرعية، وما ظنك بعلم يتصل من معجزة الإسلام ودليل نبوة الرسول -صلى الله عليه وسلم- بسبب وثيق؟ إنه أداة لا بدّ منها عند البحث فيما به كان القرآن معجزاً، ولا يستغني المرء عن هذا العلم مهما كان رأيه في وجه إعجاز القرآن وفصاحته، فهو عند ابن سنان أحد رجلين: رجل يُرجع عجز العرب عن معارضة القرآن إلى كون فصاحته خارفة للعادة، خارجة عن حدود الطاقة البشرية، وآخر يرى أن القرآن من جنس كلام العرب وأن فصاحته كانت قي مقدورهم، وإنما عجزوا عن معارضته لأن الله تعالى صرفهم عن ذلك وأفقدتهم القدرة عليه. والأمر في الحالين يعود بنا إلى موضوع الفصاحة، والقائل بأيّ من هذين المذهبين لا بدّ له

٨. انظر مثلاً ما يقوله أبو هلال العسكري في هذا الموضوع، كتاب الصناعتين، ص ١-٣.

من معرفة حقيقتها؛ فالأول ليس له "مندوحة عن بيان ما الفصاحة التي وقع التزايد فيها موقعاً خرج عن مقدور البشر... والثاني يجري مجرى الأوّل في الحاجة إلى تحقّق الفصاحة ما هي، ليقطع على أنها كانت في مقدورهم، ومن جنس فصاحتهم" (ص ١٤).

مفهوم الفصاحة ودرجاتها هو الموضوع الذي يفترق عنده أصحاب المذهبين: هل كانت الدرجة التي وصلت إليها فصاحة القرآن ممكنة للعرب لولا الصرف، أم أنها لم تكن ممكنة لهم على الإطلاق؟ وهذا يبيّن أهمية علم الفصاحة وخطره للباحث في موضوع الإعجاز. ولا يلتفت هنا إلى ما يروى من كلام مسيلمة الكذاب وغيره ممّن حاولوا معارضة القرآن الكريم، فهذا كلام يفتقر إلى الفصاحة التي هي موضوع التحدي أصلاً. وها هنا أيضاً نجد أنفسنا في حاجة إلى هذا العلم لكي "نعلم أن مسيلمة وغيره لم يأت بمعارضة على الحقيقة، لأن الكلام الذي أورده خالٍ من الفصاحة التي وقع التحدي بها" (ص ١٤).

على أن ابن سنان قد قنع بما قرّره ههنا في مطلع كتابه من وجه الحاجة إلى علم الفصاحة في بحث موضوع الإعجاز، ولا يكاد يعود إلى هذا الموضوع إلا لتأكيد إصراره على أنه من القائلين بمذهب الصرفة<sup>(٩)</sup>. الأغراض الأدبية لهذا العلم هي التي تستأثر باهتمام ابن سنان، على أننا هنا أيضاً نجد أن تعليم صناعة النقد يحظى بعنايته خلافاً للغرض الآخر الذي نصّ عليه أيضاً في مبتدأ كتابه، ذلك المتصل بتعليم فن الإنشاء. خطابه في العادة موجّه إلى من ينقد كلاماً مؤلفاً لا إلى من يريد أن يبتدئ كلاماً، وعندما عاد في موضع آخر<sup>(١٠)</sup> إلى بيان وجه الفائدة من علم الفصاحة اقتصر هناك على الجانب النقدي من المسألة، ولم يتلفت إلى ما سواه. وحقاً أنه قد ختم كتابه بفصل "فيما يحتاج مؤلف الكلام إلى معرفته"<sup>(١١)</sup>، وواضح أنه يخاطب فيه المنشئ بخاصة، إلا أن

٩. انظر: ص ٩٩- ص ١٠١، ص ٢٢٥ وانظر في مذهب الصرفة الذي اشتهر به أبو إسحق النظام:

وليد قصاب، التراث البلاغي والنقدي للمعتزلة، ص ٤٦- ص ٤٨، ص ٣١٥ وما بعده.

١٠. انظر: ص ٩٥- ص ٩٧.

١١. انظر: ص ٢٨٨- ص ٢٩١.

ذلك لا ينفي ما نقوله ههنا بل يؤيده، إذ لا تكاد تجد ذكراً لعلم الفصاحة في هذا الفصل، ونحن إنما نتحدث عن هذا العلم لا عن غيره.

ثمة أسباب قد نعلل بها ميل ابن سنان الواضح إلى صناعة النقد، منها إمكانية تعليمها مما سنتحدث عنه في حينه، أما هنا فنقول: لعل ابن سنان يرى أن الوظيفة النقدية هي الأصل وأن غيرها فرع عليها؛ ذلك أن ما يرمي إليه هذا العلم إنما هو تحديد أسس الجودة والرداءة في الكلام، فيعرف المرء عندئذ كيف يميّز مختار الكلام من مطرحة، فإذا كان منشئاً أصبحت هذه المعرفة (النقدية) أداة يستعين بها في تجويد كلامه وتخليصه من الرداءة وقد صار عارفاً بخصائص الجودة والرداءة، كما أنه يستند إلى هذه المعرفة إذا كان يبحث في إعجاز القرآن وبلاغته، فما هذا البحث إلا موازنة نقدية بين القرآن وكلام العرب للتوصل إلى أنه من جنس كلامهم (كما يرى ابن سنان وأصحاب الصرفة) أو أنه مباين له<sup>(١٢)</sup>.

#### -ج-

فائدة علم الفصاحة في جانبه أنه يهتئ المرء لأن يصبح ناقدًا، فمن أراد أن يلتحق بأهل هذه الصناعة وهو لا يعرف الفصاحة ابتداءً، ولا يقدر على الفرق بين جيد الكلام ورتيئه يستطيع أن يكتسب هذه المعرفة وتلك القدرة عند وقوفه على مبادئ هذا العلم ومعاييرها، فتكون حال طالب الفصاحة هنا كحال من لا يتكلم اللغة سليقة فيطلب علم النحو ليعرف وجه الصواب من الخطأ، وحال من ليس له ذوق في موسيقى الشعر فيستعين بعلم العروض للتمييز بين الصحيح والمختل في أوزان الشعر. على أن القادر على الفرق بين الحسن والقيح لا يزال هو أيضاً في حاجة إلى علم الفصاحة وإن بدا أنه مستغن عنها. هذا الصنف من المتأدبين يعرف الجيد من الرديء وليس كالطائفة السابقة التي تجهل ذلك، ولهذا فإن وجه انتفاع هذا الصنف بمبادئ الفصاحة يختلف عن وجه انتفاع تلك الطائفة بها. فائدة علم الفصاحة هنا ليست في تربية القدرة على

١٢. انظر آخر الفقرة "م" من هذا البحث.

التفريق بين الحسن والقبیح، فهذه القدرة موجودة عند المتعلم أصلاً، ولكنه لا يستطيع تعليل أحكامه فتظل تلك الأحكام مجرد انطباعات لا يقوى على توضيحها<sup>(١٣)</sup>، وتكون بمنزلة الدعوى التي لا تستند إلى دليل. هذا المتعلم تكسوّن لديه بطول صحبته للنصوص الأدبية ومخالطته أهل الأدب حساً أدبي جعله قادراً على أن يستحسن ويستقبح، ولكن دون أن يرجع في ذلك إلى أصول مقرّرة يعرف معها لمّ استحسن ما استحسن أو استرذل ما استرذل. وهنا يأتي علم الفصاحة بمبادئه ومعاييره لكي يضع لذلك الحسن الأدبي إطاراً منهجياً، إذا جاز التعبير، أو أساساً نظرية للاستحسان أو عدمه.

ما يقدّمه علم الفصاحة لمن لا يميّز الجيد من الرديء شبيه كما رأينا بما يقدمه علم النحو لمن لا سليلقه له، والعروض لمن ليس له ذوق في موسيقى الشعر، وأما من يعرف الحسن من القبیح فإن علم الفصاحة يقوم عنده مقام النحو لصاحب السليقة اللغوية والعروض لمن له ذوق في موسيقى الشعر. أن كل علم منها ليس من غرضه أن يوجد في متعلّمه ما هو موجود فيه قبلاً، بل المراد تمكينه من التعليل والتفسير والاستدلال، وأن ينقل معرفته من كونها مبنية على مجرد الطبع أو الذوق إلى أن تصبح معرفة منهجية اصطلاحية. وقد يحسن بنا أن نورد كلام ابن سنان -على طوله- لما فيه من جدّة وطرافة، يقول: "منزلة هذا الكتاب لمن لا يعرف البلاغة وطلاوة الكلام منزلة العروض لمن لا ذوق له يميّز به بين صحيح النظم وفاسده، والنحو لمن لا يُعرب<sup>(١٤)</sup> طبعاً وعادة، وإنما يتكلف ويتصنع... فأما من يفرق بين الكلام المختار وغيره، فإنه -إن كان غير مفتقر إلى كتابي هذا كافتقار العاري من هذه الصناعة، الراغب في اقتباسها- فهو محتاج إليه من وجه آخر، منزلته أيضاً منزلة العروض والنحو لصاحب الذوق والطبع؛

١٣. قسارن: الأمدي، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، ٣٩٤/١-٣٩٥، انظر أيضاً: (Pseudo) Cicero, Rhetorica Ad Herennium, P233. على أن ابن سنان، خلافاً لغيره لا يخرج

هؤلاء الذين لا يستطيعون التعليل والتفسير من دائرة النقد والنقاد.

١٤. في غير واحدة من الطبقات المتداولة من الكتاب: "لا يعرف"، والصواب ما أثبتته، بدليل قوله بعد بضعة أسطر من هذه الفقرة نفسها: "المعرب بطبعه وعادته".

لأن العالم بالفصاحة إذا قطع على فصاحة بيت من قصيدة أو فصل من رسالة أو كلمة أو ما أشبه ذلك، وفضله على غيره، لم يمكنه أن يبين من أين حكم، ولا لأي وجه فضل، بل إنما يفرع إلى مجرد دعواه ومحض قوله. فإذا عرف ما بينته وفصلته في هذا الكتاب علل واستدل، وذكر الوجوه والأسباب، كما أن العارف صحيح النظم بذوقه والمُعرب بطبعه وعادته إذا وقف على علم العروض والنحو علل في البيت الموزون والكلمة المعربة وقال: هذا إنما كان صحيح الوزن لأنه من الدائرة الفلانية والبحر الفلاني، وضربه كذا، وعروضه كذا، وعدد أجزاءه كذا، وذكر ما يحسن فيه من الزحاف ويقبح، وفصل ما يفصله العروضيون، وقال في الكلمة المعربة: إنما كانت مثلاً مرفوعة لأنها فاعلة، والفاعل في كلام العرب مرفوع، وما يجري هذا المجرى، وعلى مثل هذا النحو يقول في الفاسد الذي ينفر منه ذوقه أو يكرهه طبعه، ويعلله على حد هذا التعليل الذي ذكرته" (ص ٩٦-٩٧).

-٣-

علي أن ثمة سؤالاً لا مفرّ من مواجهته عند الحديث عن الغرض التعليمي (إنشائياً كان أو نقدياً) من علم الفصاحة: هل يمكن تعليم الفصاحة؟ والجواب عن هذا السؤال هو في حد ذاته جواب مسألة أخرى وهي جدوى تعليم الفصاحة؛ فالفائدة إنما تكون في تعليم ما يمكن تعلّمه واكتسابه. ولا بدّ لنا من أن نقسم حديثنا هنا قسمين يتناول كل منهما واحداً من غرضي هذا العلم: النقدي والإنشائي. وقد ذكرنا أن ابن سنان خصّ الجانب النقدي بعنايته واهتمامه، وتحدث في شيء من التفصيل عن وجه الفائدة من علم الفصاحة من هذه الناحية. ومن حديثه هذا يمكن استخلاص رأيه في إمكانية تعليم فن النقد، إذ إنه لم يخض في هذه المسألة على نحو مباشر.

ليس في كلام ابن سنان ما يدلّ على أنه يشترط توافر صفات بعينها كالذوق أو الموهبة فيمن أراد أن يكون ناقدًا، بل المفهوم من سياق كلامه أن باب النقد مفتوح لكل متأدّب؛ فأیما امرئ وقف على الأصول والمبادئ التي تضمّنتها كتاب "سرّ الفصاحة" وفهمها وأحسن تطبيقها يمكن أن يصبح ناقدًا، ولسان حاله

يقول (إذا استعرتنا ما علق به أحدهم على كتاب ماثيو أرنولد "مقالات في النقد"): لا عذر لأحد بعد قراءة هذا الكتاب في ألا يكون ناقداً<sup>(١٥)</sup>. صناعة النقد إذا لا تحتاج إلى قدرات خاصة توجد عند بعض الناس دون غيرهم، وإنما هي علم يُكتسب اكتساباً، وهي في متناول الإنسان العادي الذي لديه حظ مقبول من الذكاء والفتنة، ولديه رغبة في تحصيل هذا العلم، وهمّة تدفعه إلى الوقوف على أسرارهِ ودقائقهِ.

كلامنا هذا يصدق على نحو لا يُحوج إلى مزيد من الشرح والبيان على الطائفة الأولى من متعلمي النقد: أولئك الذين يجهلون الفرق بين مختار الكلام ومطرحه؛ فإن قدرتهم على النقد مكتسبة أولاً وأخيراً من علم الفصاحة الذي استحال به عجزهم إمكاناً ولولاه ما استطاعوا التمييز بين الجيد والردئ. والأمر بالنسبة إلى الصنف الآخر من المتعلمين، أي الذين لديهم ما سميناه حساً أدبياً في التفريق بين الحسن والقيح - قد يشكك بعض الإشكاليين، وبخاصة أن ابن سنان يقيس هؤلاء على أصحاب السليقة اللغوية وعلى من لهم طبع في موسيقى الشعر وأوزانه، مما قد يوحي بقدرة فطرية لا مكتسبة. وحقبة الأمر أن هذا الحس الأدبي في مذهب ابن سنان يكتسبه صاحبه بالدربة والتعلم، فهو "إنما حصل له ذلك بالمخالطة والمناشدة وتأمل الأشعار الكثيرة والكلام المؤلف على طول الوقت وتراخي الأزمنة" (ص ٩٦). وجدير بالملاحظة هنا أن ابن سنان - فيما يبدو - يختار ألفاظه بعناية في هذا السياق؛ ففي حين أنه يكرر الحديث عن المعرب "طبعاً" ومن له "ذوق" في موسيقى الشعر، فإنه حريص على الإشارة إلى "العالم بالفصاحة"، و "من له بها معرفة وسابق علم"، أو "له بها دربة"<sup>(١٦)</sup>، وكلها عبارات تدل على علم حادث مستأنف لا على صفة فطرية متأصلة.

١٥ - R. A. Scott-James, The Making of Literature, p.262

١٦ - انظر: ص ٩٦، انظر أيضاً قوله عن نفسه (ص ٩٣): "وإنما عرفته (يقصد العلم بالفصاحة والتقد) بالدربة وتأمل أشعار الناس". قارن ذلك بما يقوله Northrop Frye من أن الذوق النقدي يتبع دراسة الأدب ويتطور من خلالها، p.27. The Anatomy of Criticism

هـب الحس الأدبي هذا ذوقاً فطرياً، فإن المطلوب من علم الفصاحة عندئذ أن يقدّم لمن لديه ذلك الحس معرفة نظرية اصطلاحية لا أن يوجد الحس نفسه، وهذه المعرفة يمكن تحصيلها كسائر العلوم والمعارف، وبذلك يظلّ تعليم صناعة النقد بالقدر الذي يحتاج إليه هذا الصنف من المتعلمين أمراً ممكناً ومجدياً، حتى لو كان هذا الحس الأدبي عائداً إلى الفطرة والطبيعة، وهو عند ابن سنان ليس كذلك. النقد عنده صناعة يتقنها المرء بمعرفته صفات الجودة والرداءة في الكلام، ويأتي ذلك بالخبرة والممارسة، أو بالوقوف على مبادئ علم الفصاحة، أو بهما معاً. فإذا قسنا الأمر على صناعة النجارة مثلاً، كما يفعل ابن سنان وغيره<sup>(١٧)</sup>، قلنا: قد يتعلّم الفتى النجارة بالممارسة وملازمة أهلها، وقد يتعلمها في مدرسة مهنية، وقد يجمع بين الأمرين كليهما بأن يتعلمها بالممارسة ثم ينتظم في مدرسة يتعلم فيها هذه المهنة وأصولها على نحو منهجي.

-هـ-

يستطيع الجاهل بصناعة النقد أن يصبح ناقداً إذا عرف المعايير التي تميّز مستحسن الكلام من مرئوله، كما أن الذي لا يعرف شيئاً عن النجارة يمين أن يصبح نجّاراً إذا تعلّم مبادئ تلك الصناعة وتدرّب عليها؛ الأمر عائد في هذه وفي تلك إلى معرفة تكتسب اكتساباً. ولكن صناعة الإنشاء لها شأن آخر مختلف، فمعرفة أسرار الفصاحة ومبادئها، وإن كانت تمكن المرء من أن يكون ناقداً يميّز الجيّد من الرديء فيما ينشئه غيره، فإن هذه المعرفة في حدّ ذاتها لا تجعل منه منشئاً بليغاً؛ "لأن الإنسان قد يكون... عالماً بتمييز مختار الكلام من مطرّحه، وليس بينه وبين البلاغة سبب ولا نسب، ولا يمكنه أن يؤلّف ما يختاره (أي ما يستحسنه) من تأليف غيره" (ص ٩٥). وما ذلك إلا لأن الأدب عند ابن سنان يتميّز من بين سائر الصناعات في حاجة منشئه إلى موهبة تكون جزءاً من طبيعته التي فطر عليها، ولا سبيل إلى اكتسابها، ولهذا لا يمكن أحداً أن يتعلّم الشعر من لا طبع له وإن جهد في ذلك؛ لأن الآلة (أي الطبع أو

١٧. انظر: ص ٩٢-٩٥، قارن (مثلاً): قدامة بن جعفر، نقد الشعر، ص ١٧، ص ١٩.

الموهبة) التي يتوصل بها (لقول الشعر) غير مقدورة لمخلوق، ويمكن تعلم سائر الصناعات لوجود كل ما يحتاج إليه من آلاتها" (ص ٩٤) واختصاصه الشعر دون غيره من فنون الأدب بكونه لا يتعلم إنما هو على الأرجح من بسبب التمثيل، لا على سبيل الحصر؛ وذلك لأنه يرى أن الطبع (أي الموهبة) لا بد منه لناظم الكلام، شاعراً كان أم ناثراً، وعندما يتحدث عن "طبع هذا الناظم" (ص ٩٤)، فإنه يعني بالناظم المنشئ "الذي ينظم الكلام بعضه مع بعض كالشاعر والكاتب وغيرهما" (ص ٩٣)، وليس ناظم الشعر وحده<sup>(١٨)</sup>.

الأدب لا يُعلم في مذهب ابن سنان، وهذا هو قول عامة البلاغيين والنقاد، ولكننا نجده يقول في موضع آخر وقد ذكر "الإفصاح والبيان والبلاغة وحسن النطق": إن ذلك يستطيع أن يدركه المرء "باجتهاده إن كان لا دربة له، وتكلفه إن كان لا طبع عنده" (ص ٦١). ومعنى هذا أن الإنسان يستطيع بالتكلف والتدريب أن يكون بليغاً دونما حاجة إلى موهبة فطرية، خلافاً لما رأيناه من قبل من كون هذه الموهبة أمراً ضرورياً لا بد منه.

وإذا أردنا أن نوجه كلام ابن سنان على نحو يخلصه من شبهة التناقض فقد نقول إن كلامه في الموضوع الأخير عن التكلف لمن لا طبع له إنما جاء في معرض التفريق بين الإنسان والحيوان: لا يكفي عنده أن نعرف الإنسان بأنه حيوان ناطق؛ فإن الصمت أفضل من الكلام المطروح المرذول، فصار الكلام الحسن البليغ، لا مجرد النطق والكلام، هو في نظره الفارق الصحيح بين الإنسان والحيوان<sup>(١٩)</sup>. ولا بد لنا من أن نحمل حديثه عن "الإفصاح والبيان والبلاغة وحسن النطق" على أنه يقصد به القدر العادي من حسن الكلام وسداد المنطق؛ فإن هذا في متناول جمهور الناس، وليس حكراً على الموهوبين،

---

١٨. انظر أيضاً: إشارته إلى "ناظم الكلام" بمعنى المؤلف الذي ينظم الألفاظ بعضها مع بعض (ص ٩٥)، وقوله مخاطباً الشاعر والكاتب كليهما: "الوصية لهما ترك التكلف، والاسترسال مع الطبع" (ص ٢٩٠)، وحديثه عن البلاغة بعامة (لا بلاغة الشعر وحده)، وأنه لا يكفي فيها المعرفة بالجيد والرديء، بمعنى أنها تحتاج قبل ذلك إلى الموهبة (ص ٥٩).

١٩. انظر: ص ٦٠ - ص ٦١.

بخلاف الشعر والخطابة والكتابة التي يحتاج من يتعاطاها إلى أن يكون ذا موهبة ابتداءً وليست متاحة لكل إنسان. يؤيد ما قلناه هنا أن البلاغة هي فرق ما بين الإنسان والحيوان، ولا يمكن أن يكون ابن سنان قصد بالبلاغة في هذا الموضع الشعر وغيره من فنون الأدب؛ فمن غير المعقول أن الإنسانية عنده هي كون المرء كاتباً أو شاعراً أو خطيباً، لأن هذا يستلزم أن من لم يكن كذلك - كما هي حال أكثر الناس - لا يستحق أن يرتفع عن الحيوانية إلى مرتبة الإنسانية. وعلى ذلك فإن ما يريده ابن سنان هنا لا يتجاوز الحد المقبول من الإبانة والإفصاح وحسن العبارة مما لا يحتاج إلى موهبة خاصة، وإنما يمكن حصوله بالدربة والتكلف، وإن كانت الموهبة - إذا وجدت - تغني صاحبها عن ذلك.

وهكذا يتحصل لنا من مجموع ما ذكرناه أن فن القول عند ابن سنان على ضربين: ضرب يحتاج فيه القائل إلى أن يكون ذا موهبة واستعداد سابق، وهو الشعر قطعاً وسائر الفنون الأدبية على الأرجح، وضرب ثانٍ يمكن اكتسابه وهو الكلام الصواب الواقع في موقعه. ولعل ذلك يشبه ما يسميه أهل زماننا التعبير الإبداعي الوظيفي. ولما كان تعليم صناعة الإنشاء (بمعنى الأدب الإبداعي) لمن لا طبع له أمراً غير مقدور عليه، فإن من الواضح أن فائدة علم الفصاحة في الضرب الأول محدودة جداً، لأن غاية ما في وسع معلم الفصاحة أن يقدمه لهؤلاء - على قلتهم - أن يصقل مواهب موجودة لديهم، لا أن يوجد لها فيهم. أما في الضرب الآخر الوظيفي فإن فائدة علم الفصاحة تعمر ولا تخصص، فهو موجه هنا إلى الناس في جمهورهم، لا إلى فئة منهم، ينتفعون به في تحسين أدائهم اللغوي والبيان بمعرفتهم ما يستجد وما لا يستجد من ألفاظ اللغة وأساليب التعبير<sup>(20)</sup>.

على أن ابن سنان يقرر في وضوح أن "التعبير الإبداعي" هو موضوع بحثه وأنه إنما يتناول "المعاني التي تستعمل في صناعة تأليف الكلام المنظوم

20. انظر (مثلاً) آراء في هذه المسألة عند: أحمد الشايب، الأسلوب، ص 25-36؛  
Anthony C. Winkler and Jo Ray McCuen, Rhetoric Made plain, p. 7.

والمنثور" (ص ٢٣٤) و"الألفاظ المؤلفة المنظومة على طريقة الشعر والرسائل وما يجري مجراها فقط، إذ كان ذلك هو مقصودنا في هذا الكتاب" (ص ٢٣٥). أما ذلك الحد الأدنى من البيان الذي يرتفع به المرء عن الحيوانية إلى الإنسانية فهو باب من القول ساقه إليه الحديث عن أهمية البيان وفضيلته، وليس مقصوداً في نفسه. الأدب الإبداعي "على طريقة الشعر والرسائل وما يجري مجراها فقط" هو وحده موضوع علم الفصاحة عنده، وأهل الأدب هم بين منشي له وناقد؛ فأما الإنشاء فتعليمه غير ممكن، بينما يمكن لجمهور المتأدبين تعلم النقد واحترافه. وإيما علم أو فن ففائدة تعليمه تعتمد على إمكانية تعلمه واكتسابه، فالأمران (الفائدة وإمكانية التعليم) متلازمان، ووجود أحدهما (أو عدم وجوده) يقتضي وجود الثاني (أو عدم وجوده)، والحديث عن أيّ منهما يعني عن القول في الآخر. ولذلك اكتفى ابن سنان ببيان وجه الفائدة من علم الفصاحة في تعليم صناعة النقد، فذلك يعني قطعاً أن تعليم النقد ممكن، واقتصر في صناعة الإنشاء على القول إنها لا تُعلم، فلم يعد من مسوغ للخوض في جدوى تعليمها (١١).

وهكذا وجدنا ابن سنان عندما فصل القول في فائدة علم الفصاحة سكت عن وجه الانتفاع به في صناعة الإنشاء، بل إن صناعة الإنشاء بعامة لم تلق إلا اليسير من عنايته، ولعله قد أحسّ بذلك وهو يوشك على الفراغ من تأليف كتابه، ووجد أنه قد خالف سنة البلاغيين في احتفالهم بهذه الصناعة، فختم "سر الفصاحة" - كما ذكرنا آنفاً - بفصل "فيما يحتاج مؤلف الكلام إلى معرفته" يخاطب فيه الأديب المنشي بخاصة، ولكن مما له دلالة كبيرة في هذا السياق أنه تناول ههنا بشيء من التفصيل حاجة المنشي إلى علوم عددها (اللغة والنحو والصرف والعروض والقافية) ولم يكن علم الفصاحة واحداً منها.

٢١ . قارن مذهب ابن سنان هنا برأي Norlitrop Frye في أن تعليم الأدب غير ممكن، وأن نقد الأدب هو كل

ما يمكن تعليمه, pp.11,342, The Anatomy of Criticism,

لا تخلو نظرية ابن سنان من مواضع يتحدث فيها إلى الأدباء المنشئين، أو يمكن أن تؤول على أنها كذلك، كما ستجده فيما يأتي من هذا البحث، ولكنها مواضع قليلة، والنقد هو الغالب على كتابه، وكان تعليم النقد هو الموضوع الحقيقي لعلم الفصاحة في مذهبه؛ فأنت تتحدث ههنا عن تعليم ما تعلمه ممكن، وعن الغرض مما يحقق غرضاً، فضلاً عن أن الفائدة (المحدودة) التي يجنيها من علم الفصاحة من له طبع في صناعة الإنشاء متضمنة في ذلك الجانب النقدي منه بعينه؛ فإذا وقف الأديب على المعايير النقدية التي بها يتميز الجيد من الرديء في الكلام اهتدي بها فيما ينشئه هو نفسه، كما أشرنا سابقاً، فعندما يقول ابن سنان مثلاً إن الفنون البلاغية "إنما يحسن منها ما قلّ وجرى مجرى اللعة واللحة، فأما إذا تواتر وتكرّر فليس عند ذلك مرضياً" (ص ١٨٩) - فإنه يضع معياراً يحكم به الناقد على قصيدة قيلت ليرى مدى بعدها عنه أو قربها منه. وهذا المعيار النقدي يتضمّن في الوقت نفسه توجيهاً لمن أراد أن ينظم قصيدة في أن يقتصد في استعمال تلك الفنون لتحظى قصيدته بالقبول والاستحسان. وهكذا تكون وظيفة النقد مزدوجة.

- و -

وإذ قد عرفنا من علم الفصاحة والمتعلمين الذين يمكنهم الانتفاع به، فإن ثمة مسألة أخرى: ماذا نعلم؟ معلّم النقد، أو العالم بالفصاحة عند ابن سنان، يريد أن يضع بين يديك خلاصة تجربته ورحلته الطويلة في عوالم الأدب، ولكن ليس لك أن تتوقع منه أن يحدثك بالتفصيل عن كل ما رآه وسمعه في رحلته هذه التي امتدت عبر السنين، ولا أن تنتظر منه أن يقفك على جزئيات تجربته ودقائقها كلها، فذلك أمر خارج عن حدود الإمكان. لا يستطيع معلم النقد إلا أن يصوغ تلك التفصيلات والدقائق والجزئيات في هيئة مبادئ كلية وأسس عامة تطلعك على ما يستحسن أو يستقبح في عناصر النص الأدبي، وأنت بعد ذلك تعرض القطعة التي تنوي نقدها على تلك المبادئ والأسس فيبين لك مدى ما في تلك القطعة من حسن أو قبح، يقول ابن سنان: "الفصاحة عبارة عن حسن التأليف في الموضوع المختار، فإذا كنت قد ذكرت الموضوع، والوجه في اختياره، وعلى أي صفة يكون المرضي منه والمكروه بما فيه مقنع أو كفاية، ثم شرعت الآن في الكلام على التأليف بحسب ذلك، وبيّنت منه الوجوه التي بها يحسن أو يقبح - كان الكلام في معرفة الفصاحة وحقيقتها واضحاً جلياً، وأمكن

مَنْ لم تكن له بها دربة ولا معرفة الفرق بين فصيح الكلام وغيره باعتبار الصفات التي ذكرتها... وليس يمكن إيضاح الفصاحة لمن يجهلها إلا بهذا السبب وعلى هذا النحو، لأن من له بها معرفة وسابق علم إنما حصل له ذلك بالمخالطة والمناشدة وتأمل الأشعار الكثيرة والكلام المؤلف على طول الوقت وتراخي الأزمنة. وليس يمكنه أن يحضر لمن أراد تعليمه كل بيت سمعه، وفصل تأمله، ولفظة كرهها، ومعنى حكم بفساده أو بصحته؛ لأن هذا يحتاج إلى الزمان الطويل والأيام الكثيرة، بل ولا يمكن حصوله البتة<sup>(٢٢)</sup>، فلا طريق إلى العلم بما شرحته إلا من هذا النحو الذي قصدته، والطريق الذي سلكت فيه" (ص ٩٥-ص ٩٦).

علم الفصاحة، أو علم النقد، الذي يريد ابن سنان أن يؤسس لسه يتناول إذا المبادئ الكلية العامة. وهذه العمومية هي في حد ذاتها، أي حتى لو لم تكن الضرورة قد ألجأت إليها مطلب تعليمي؛ فإن المتعلم يضيق بكثرة الجزئيات والتفصيلات والتفريعات، وأصحاب المنهج التعليمي من أي علم أو بساب من المعرفة يختصرون مادة ذلك العلم في مبادئ أو "تعميمات" ينتظم كل منها كثيراً من التفصيلات، تيسيراً على المتعلم الذي يستدل بما عرفه على ما لم يعرفه من الأشباه والنظائر<sup>(٢٣)</sup>.

مبادئ علم الفصاحة عامة بالمعنى الذي تقدم، وهي عامة بمعنى آخر، وهو أنها لا تختص بنوع أدبي دون غيره؛" إن للكتب السلطانية من الطريقة ما لا يستعمل في الإخوانيات، وللتوقيعات من الأساليب ما لا يحسن في

---

٢٢. قارن ذلك بما يقوله الأمدى، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، ٣٩٣/١. ويكاد يكون من المؤكد أن ابن سنان قد انتفع هنا بما جاء به الأمدى، ولكن ابن سنان استخدم فكرة الأمدى للوصول إلى نتيجة مخالفة تماماً لتلك التي يريد بها صاحب الموازنة.

٢٣. وإذ ذلك تجد ابن سنان وهو يقرر أصوله ومبادئه يشير في غير موضع إلى أنها مما يستدل بها على غيرها، انظر: ص ٦٣، ص ٨٩، ص ٩٢، ص ١٤٥، ص ٢٧٨.

التقاليد" (٢٥٦)، وابن سنان إنما يتناول المعايير التي تصدق على كل نوع أدبي، يستوي عنده في ذلك منظوم الكلام ومنثور<sup>(٢٤)</sup>.

وهذه المبادئ عامة بمعنى ثالث، وهو أنه لا اعتداد عند صياغتها بما يرجع إلى الميول والأذواق المتقلبة التي تتغير بتغير الزمان وتبدل الأوقات، أو يعود إلى مواضع الناس واصطلاحاتهم في عصر بعينه. مبادئ النقد عند ابن سنان تتجه إلى ما هو ثابت لا يلحقه التغيير؛ دونك مثلاً قول البحرني يمدح الخليفة:  
لا العذل يردعه ولا التمس — عنيف عن كرم يصدّه

فإن هذا المدح لا يصلح للأئمة والخلفاء "ومن هو الذي يجسر على عذل الخليفة وتعنيفه؟! (ص ٢٥٧)، وهذا أمر لا يختص بزمن دون آخر، (ولا فرق بين أن يكون قد ورد في قصيدة أو رسالة أو خطبة)<sup>(٢٥)</sup>.

التأليف في النقد عند ابن سنان ينبغي أن يتعلّق بالثوابت، ويُعرض عن المتغيّرات. يقول بعد أن تحدث عن اختلاف المواضع والاصطلاحات بين فنون النثر من كتب سلطانية وإخوانيات وتوقيعات: "وهذا الباب، أعني المواضع والاصطلاح في الخطاب، يتغير بحسب تغير الأزمنة والدول؛ فإن العادة القديمة قد هُجرت ورُفضت، واستجدّ الناس عادة بعد عادة، حتى إن الذي يُستعمل اليوم في الكتب غير ما كان يُستعمل في أيام أبي إسحاق الصابي (-٣٨٤هـ)، مع قرب زمانه منا. وإذا كان الأمر على هذا جارياً، فليس يصحّ لنا أن نضع رسوماً نوجب اقتفاءها؛ لأننا نحن في هذا الزمان قد غيرنا الرسم المتقدّم لمن قبلنا، وكذلك ربما جرى الأمر فيما بعدنا"<sup>(٢٦)</sup>، ولكن أصول الأغراض في الأوصاف والمعاني مما لا تبدل ولا تتغير، فليكن الانتمام بها

٢٤. يقول ابن سنان (ص ٧٧): "كلامي عليها (أي الشعر والنثر) واحد" قارن: ص ٢٢٠.

٢٥. انظر أمثلة أخرى ص ٢٥٧-٢٦٥.

٢٦. كلامه هنا موجه إلى الناقد الذي يصوغ الأسس والمبادئ، أما الكاتب فيحتاج إلى معرفة تلك الرسوم ومراعاتها كما يقول ابن سنان نفسه في موضع آخر، انظر: ص ٢٩٠.

واقعا، والاجتهاد في جريها على قانون السداد والصواب حاصلًا"  
(ص ٢٥٦-٢٥٧).

واضح من كلام ابن سنان هنا أنه ألف كتابه لا لأبناء عصره وحسب، بل لطلاب النقد في أي عصر لا على التعيين؛ إنه يطمح إلى أن يضع دستوراً للنقد لا تنتهي مدة صلاحيته عند تاريخ ما، وأن يقيم صرحاً مشيداً لا يتخون بنيانه تعاقب الفصول، ولا يضعضع من أركانه تطاول الأعوام والقرون - لا أن يخط على الأرض رسوماً تعفيها رياح الزمن. ينبغي لمعلم الفصاحة إذاً أن يضع لطلاب النقد من المبادئ والمعايير ما هو صالح للدوام والاستمرار، وعند ابن سنان أن ذلك يتحقق باستبعاد الأساليب الأدبية التي يكون لها رواج في وقت ما ثم يؤول أمرها إلى أن تهجر ويستبدل بها غيرها<sup>(٢٧)</sup>، والاقتصار على "الأصول" أو المبادئ التي يلتقي عليها الناس على اختلاف أزمانهم، لكونها (في رأيه) مما يقره العقل أو يشهد به الحس السليم. لا خلاف مثلاً في أن البحثري لم يكن مصيباً في مدحه الخليفة في البيت الذي مرّ ذكره. وعند ابن سنان أن اللفظ المؤلف من حروف متجاورة في مخارجها قبيح، "والشاهد على ما ذكرناه الحس؛ فإن الكلفة في تأليف المتجاور ظاهرة، يجدها الإنسان من نفسه حال التلّفظ به" (ص ٥٨)؛ ولذلك تجد ابن سنان يتحدث عن المبادئ التي تضمّنها كتابه بأنها مما لا يمكن المنازعة فيه، أو "لا يخفى على أحد"، وأن من خالفه فيها مكابر أو "جاحد للضرورة لا تحسن مناظرته"، أو أنه قد "خرج من جملة العقلاء"، أو "بان فساد قوله لكافة العقلاء"<sup>(٢٨)</sup>.

ولما كانت تلك المبادئ على هذا النحو من كونها لا تحتل الخلاف<sup>(٢٩)</sup> في رأي ابن سنان لأنها مؤيدة بالعقل والحس السليم فإنها عنده قوانين ملزمة

٢٧. قارن ذلك بالتفريق بين مبادئ النقد والأذواق المتقلّبة في: Northrop Frye, *The Anatomy of Criticism*, p.9 ff. وانظر ما له صلة بذلك أيضاً في: R.A. Scott- James, *The Making of Literature*, pp.146,154

٢٨. انظر: ص ٦٣، ٦٤، ١٣٢، ٢٨٣، ص ٦٥، ص ١٣٤ على التوالي.  
٢٩. يرى ناقد معاصر أن ما يجعل تعليم الأدب أمراً ممتعاً هو عدم وجود أحكام نهائية فيه، ولكنه يستحسن أن تكون الأحكام في المراحل الأولى من تعليم النقد واضحة وحاسمة وغير خلاقية قدر المستطاع: انظر D.H. Rawlinson, *The Practice of Criticism*, p.7.

"توجب اقتفاءها" و"الانتمام بها" (ص ٢٥٧)، وليست مجرد آراء أو وجهات نظر. وهكذا فإنه يتصور أنه قد أدرك الغاية التي طالما سعت إليها همّة النقاد: أن يضع بين أيدي طلال النقد علماً ذا أصول مقررة مضبوطة كسائر العلوم، وبراءى له أنه قد استطاع بذلك أن يعيد القانون والنظام إلى دولة الأدب بالقضاء على أسباب الفوضى والاضطراب في الأحكام النقدية. هذه الأسباب يمكن ردها إلى أمرين: صدور الناقد في حكمه عن الهوى والغرض، أو أن من يصدر ذلك الحكم النقدي ليس بناقد أصلاً بل هو دعيّ في هذه الصناعة. ومتى استوى النقد علماً ذا أصول مقررة أصبحت الأمور مضبوطة، وصار صعباً إن لم يكن متعذراً على الطائفتين جميعاً من أصحاب الأهواء والأدعياء أن يفسدوا المشهد النقدي.

الطائفة الأولى ممن يحكمون أهواءهم ويستسلمون للتعصب تجدهم يفضلون ما يوافق طباعهم وأغراضهم أو يستجيدون شعر من يوافقهم في النحلة والمذهب، أو يمت بالمودة أو النسب. ووجود أصول نقدية مقررة كفيل بأن يكشف عوار هذه الأحكام النقدية وأمثالها، وأن يبين تهافتها، فهذه "كلها أقوال صادرة عن السهوى"، ومقصورة على محض الدعوى، من غير دليل يعضدها، ولا حجة تنصرها، والطريق الذي يؤدي إلى المقصود من معرفة المختار في الألفاظ والمعاني هو ما ذكرناه (من الأصول والمبادئ) ونبّهنا عليه" (ص ٢٨٥).

وأما الطائفة الأخرى من الأدعياء الذي ينتسبون إلى هذه الصناعة وليسوا من أهلها، فقد تبين لابن سنان أن وجودهم صار مرضاً مزمناً يلزم الدراسة الأدبية و"أن العادة به جارية، والرزية فيه قديمة" وأنه أعيا النقاد قبله كالجاحظ والأمدي<sup>(٣٠)</sup>. لقد استفحل هذا الداء مما جعل الحاجة إلى كتاب يبين أصول الفصاحة أمراً ملحاً: "ولما ذكرته (أي هذا الداء) رجوت الانتفاع به من هذا الكتاب، وأملت وقوع الفائدة به، إذ كان النقص فيما أبنته شاملاً، والجهل به عاماً،

٣٠. انظر: ص ٦٣، انظر أيضاً: ص ١٤٨، ص ٢٢٤-٢٢٥؛ قارن: الجاحظ، كتاب فصل ما بين العداوة والحسد، رسائل الجاحظ، ١/٣٣٨ وما بعدها؛ الأمدي، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، ١/٣٨٩ ٣٩٦

والعارفون حقيقته قرحة الأدهم<sup>(٣١)</sup> بالإضافة إلى غيرهم، والنسبة إلى سواهم" (ص ٦٣). عدم وجود أصول محددة للفصاحة كان بيئة مواتية لهؤلاء الأدعياء، أما وقد وضع ابن سنان بين أيدي المتأدبين أسساً ومبادئ يرجعون إليها، فإن من عرفها وأحسن تطبيقها والقياس عليها صار قادراً على الخوض في حديث الفصاحة، ومن لم يكن كذلك أبان عن جهله بها وتخلّفه فيها، وبذلك تصبح هذه المعرفة فيصلاً في التمييز بين من هو من أهل هذه الصناعة وذلك الذي هو دعيّ فيها<sup>(٣٢)</sup>.

-ز-

والمبادئ والأصول التي يريد ابن سنان صياغتها تتعلق بأمر مثل اللغة والألفاظ والأصوات وغيرها مما يتناوله علم الفصاحة، وهذه أمور تداولت البحث فيها طوائف شتى من المفكرين من بلاغيين ونقاد ولغويين ونحويين ومتكلمين. ولكن ابن سنان يأخذ على هذه الفئات عزلة كل فئة منها عن الأخرى، وعدم استفادتها من النتائج أو الإنجازات التي انتهى إليها غيرها؛ فأهل اللغة والنحو لم ينتفعوا في حديثهم عن اللغة وأصواتها وحروفها بأبحاث المتكلمين، وهؤلاء أيضاً فاتهم أن يطلعوا على مباحث اللغويين والنحويين في هذا الشأن، "وأهل نقد الكلام فلم يتعرضوا لشيء من جميع ذلك، وإن كان كلامهم كالفرع عليه" (ص ١٥). لقد أعرض البلاغيون والنقاد عما جاء عند الفريقين جميعاً مما يتصل باللغة وحروفها وأصواتها، على الرغم من أن موضوع النقد والبلاغة والأدب هو فن لغوي أولاً.

ابن سنان يريد أن يقدّم لطلاب النقد أصولاً ومبادئ تتجاوز الإطار الضيق للبلاغة التقليدية لتشمل ما يمكن الاستفادة منه من دراسات النحاة والمتكلمين، في منهج تكاملي يوازر فيه النحو علم الكلام في إغناء مبادئ

٣١. القرحة في وجه الفرس ما دون الغرة، والأدهم الأسود (انظر: الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة ق ر ح ومادة د ه س م)، والمقصود بقرحة الأدهم هنا القلة والندرة.

٣٢. أو تكون هذه المعرفة، كما يقول علي بن خلف الكاتب، "حاكماً يتحاكم إليه، ومحكاً يُعرض من اعترزي إلى هذه الصناعة عليه"، مواد البيان، ص ٢٧.

البلاغة وتطويرها وارتداد آفاق جديدة لها. إنه يرى في ذلك مزية تفرّد بها كتابه عما ألف في موضوعه: "فإذا جمع كتابنا هذا كله، وأخذ بحظ مقتع من كل ما يحتاج الناظر في هذا العلم إليه، فهو مفرد في بابيه، غريب في غرضه" (ص ١٥). على أن علم الكلام هو الأثير إلى نفسه، وكتابه يتحدث عن مدى احتفائه بهذا العلم الذي يضعه في منزلة لا يرقى إليها علم النحو، وكأنه يرى في الاستعانة بعلم الكلام (بل والفلسفة كذلك، فإننا نجد لها حضوراً في كتابه) (٣٣) ما يراه بعض البلاغيين من أهل زماننا هذا من ضرورة الاستفادة من العلوم العصرية كعلم النفس و علم الاجتماع وغيرهما في الدراسة البلاغية (٣٤)، فقد يجوز لنا أن نقول إن الثقافة العصرية كانت تطلب في تلك الأيام في علم الكلام وما يليه من الفلسفة والمنطق (٣٥).

-ح-

علم الفصاحة إذا لا بد من صياغته في هيئة أصول أو مبادئ كلية هي مادة الدرس (أو محتواه كما يقول المرثيون)، كما أنها في الوقت نفسه طريقة في التعليم؛ فهي مضمون علم الفصاحة الذي يتألف من مجموعها، وهي أيضاً الطريق التي يتعين على عالم الفصاحة سلوكها لنقل تجربته إلى الآخرين. على أننا ونحن نتناول الصياغة نفسها، فإن حديثنا إنما هو ألصق بطريقة التعليم منه بالمحتوى والمضمون، إذ يتصل الأمر ههنا بالأسلوب الذي يتخذ لتقديم ذلك المضمون ووضع بين أيدي المتعلمين. وللمصطلحات والتعريفات والأمثلة في هذا الشأن أهمية خاصة؛ فأصول علم الفصاحة تتضمن مفاهيم توضع لها مصطلحات أو أسماء تدل عليها، وتعريفات تحددتها، وتختار لها أمثلة تجسدها.

٣٣. انظر مثلاً: ص ١٥ (س ٦)، ص ٣٧-٣٨، ص ٦٠ (الفقرة الأخيرة)، ص ٩٣.

٣٤. انظر أمين الخولي، فن القول، ص ٢٦٢ ص ٢٦٣؛ أحمد الشايب، الأسلوب، ص ٣، ص ٢٢؛ محمد علي

رزق الخفاجي، علم الفصاحة العربية، ص ١٢، ص ٤١٩؛ محمد أبو موسى، التصوير البياني، ص ٢٤؛

خليل كفوري، نحو بلاغة جديدة، ص ١١.

٣٥. لعل ذلك يظهر في جملة ابن قتيبة على أصحاب هذه الثقافة وسخريته منهم، انظر: أدب الكاتب، ص ٦-٩.

المصطلحات لم تنل من اهتمام ابن سنان سوى إشارة سريعة إلى اختلاف التسميات ودلالاتها<sup>(٣٦)</sup>. ومعروف أنه في الوقت الذي وضع فيه ابن سنان كتابه<sup>(٣٧)</sup> كان التأليف في البلاغة قد مضى عليه زمن ظهرت فيه مؤلفات متنوعة، وكثرت الأبواب والمصطلحات البلاغية، وتعددت أحياناً الأسماء التي تطلق على فن بعينه أو المفاهيم التي تشترك في اسم واحد، لاختلاف المؤلفين وعدم التزامهم لغة اصطلاحية موحدة. وابن سنان يكرّر ما يقوله غيره من أن التسمية لا منازعة فيها<sup>(٣٨)</sup>، بما يعنيه ذلك من كون التعدد في الأسماء والمسميات أمراً مباحاً مشروعاً، ولكنه وإن لم يأت برأي صريح في هذه المسألة، إلا أن ضيقه بهذا التعدد أمر لا تخطئه العين. وليس أدل على ذلك من مشاركته في الحملة على قدامة بن جعفر، لانفراد قدامة بمصطلحات ومفاهيم شذّ فيها عمّا استقرّ عليه العرف عند جمهور البلاغيين قبله<sup>(٣٩)</sup>. ابن سنان ناقد معلم، ولا يخفى ما في ذلك التعدد من فوضى في المصطلحات مما يؤدي إلى إرباك المتعلم والتشويش عليه.

ولئن كانت المصطلحات لم تظهر إلا بهذا القدر الضئيل من عناية ابن سنان، لقد وقف عند مسألتي التعريفات والأمثلة وقفة متأنية، وخصّ كلاّ منهما بعبارات صريحة تنبئ عن مذهبه فيهما، وما يرتضيه أو لا يرتضيه في تناول كل منهما. وهو في التعريفات يبيّن رأيه في معرض ردّه تعريفات من سبقوه، كما تتضح هنا آثار ثقافته الكلامية. لقد كانت الحدود والتعريفات موضع عناية المناطقة والمتكلمين، فتحدثوا عن شروطها وما يجب أن يحترز عنه فيها<sup>(٤٠)</sup>؛ فمن ذلك أنه لا يجوز تعريف الشيء بنفسه أو بما يساويه في المعرفة أو بما هو

٣٦. انظر: ص ٢٨٥، انظر أيضاً؛ ص ١٦٠.

٣٧. فرغ من تأليفه عام ٤٥٤هـ انظر: ص ٢٩١.

٣٨. انظر: ص ١٩٥، ص ٢٠٠؛ قارن: قدامة بن جعفر، نقد الشعر، ص ٢٢؛ الأمدي، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحري، ٢٧٥/١.

٣٩. انظر: ص ١٥٧-١٥٨، ص ١٩٥، ص ١٩٩-٢٠٠؛ قارن: الأمدي، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحري، ٢٧٥/١، ٢٧٧؛ أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين ص ١٦٣.

٤٠. انظر: ابن سينا، الحدود، ص ٢٣٢-٢٣٩؛ الغزالي، الحدود، ص ٢٦٦-٢٨٠.

أخفى منه، إذ لا يجوز تعريف المجهول بالمجهول<sup>(٤١)</sup>. وغير واحد من التعريفات التي رفضها ابن سنان لا يتوافر فيها هذا الشرط، كقولهم مثلاً في حدّ الكلام: إنه "فعل المتكلم" فإن "من عقل كونه متكلماً عقل الكلام ولم يحتج إلى حدّه" (ص ٣٩). أو قولهم: إنه "ما أوجب كون المتكلم متكلماً"، أو قولهم: "ما يقول بذات المتكلم"؛ فإن "هذا كلّ فرع على عقل المتكلم وتحققه، وذلك لا يتم إلا بعد المعرفة بالكلام... ثم السؤال فيه باق، فهذا الذي أوجب كون المتكلم متكلماً أو قام بذاته ما هو؟" (ص ٣٩). طالب الحدّ إنّما يسأل عن ماهية الشيء الذي يكون به قوامه<sup>(٤٢)</sup>، ولا يكون الحدّ على الحقيقة ما لم يصلح لأن يكون جواباً عن هذا السؤال، ومثل هذه التعريفات "إحالة على مبهم، والسؤال باق" (ص ٤٥).

وقد استوتقت ابن سنان حدود البلاغة بوجه خاص، ونظر في بعض التعريفات المتداولة<sup>(٤٣)</sup> آنذاك لينتهي إلى أنها من باب تعريف المجهول بالمجهول، وبذلك "يفسد قول من ادعى أن حدّها الإيجاز من غير عجز، والإطناب من غير خطل، وقول من قال: البلاغة اختيار الكلام، وتصحيح الأقسام؛ لأن هذين إنّما سئلا عن حدّ يبيّن الكلام المرفوض من المختار، والخطأ من الصواب، ويوضح كيف يكون الإيجاز مختاراً، ومتى يقع الإطناب مرضياً محموداً، فأحال على ما السؤال فيه باق، وعدم العلم معه موجود حاصل" (ص ٥٩-٦٠). وشبّه بذلك قول القائل في تعريف البلاغة "أن تصيب فلا تخطئ، وتسرع فلا تبطن"، فهو "إنما سئل عن بيان الصواب في هذه الصناعة من الخطأ، فجعل جواب السائل نفس سؤاله" (ص ٥٩). هذه تعريفات قيلت في الإجابة عن سؤال عن البلاغة ما هي، فعرفت البلاغة بأنها قدرة لا عجز، وصواب لا خطأ وكلام مختار لا مطرّح. والسائل لا يجهل ذلك؛ فهو يعرف أن البلاغة صفة قدرة لا عجز، وأنها قدرة على الإصباة وعلى الإتيان بالكلام الجيد المختار، ولكنه يريد أن يعرف ماهية هذا الكلام الجيد الذي نسميه بليغاً، وكيف يميّزه من غيره، وكيف يفرّق بين

٤١. السكاكي، مفتاح العلوم، ص ٤٣٧.

٤٢. انظر: الغزالي، الحدود، ص ٢٧١-٢٧٣.

٤٣. انظر مثلاً: الجاحظ، البيان والتبيين، ١/٨٨-٩٧؛ ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ١/٢٤١-٢٥٠.

الصواب والخطأ، وكيف يتبين آثار تلك القدرة البلاغية ودلائلها، وهذه أسئلة لم يتلقَ السائل (أو المتعلم) جواباً عنها؛ فهو إنما سأل عن هذه القدرة البلاغية التي تمكن لصاحبها في أن يأتي بالصواب لا الخطأ (وبالإيجاز في موضعه، والإطناب في محطه الخ...) فقبل له: هي أن يأتي المتكلم بالصواب لا الخطأ.

ثمة عيوب أخرى في تعريفات البلاغة المتداولة، فالتعريف الأخير (أن تصيب فلا تخطئ الخ...) "يصلح لكل الصنائع، وليس بمقصود على صناعة البلاغة وحدها" (ص ٥٩). تفوق الصانع في صناعته، مهما كانت تلك الصناعة، هو في مدى إجادته لها وسرعته في أدائها، فليس في هذا التعريف ما يميز صناعة البلاغة من غيرها، وكذلك تعريف بعضهم البلاغة بأنها "لمحة دالة" لا يختص بالبلاغة وحدها "لدخول الإشارة من غير كلام يُتلقَّط به تحسب هذا الحد" (ص ٥٩). وفي هذا التعريف عيب آخر، فهو مجرد "وصف من صفاتها (يقصد بذلك الإيجاز)، فأما أن يكون حاصراً لها، وحداً يحيط بها، فليس ذلك بممكن" (ص ٥٩). أهل المنطق يقرّرون "أن الغرض بالحد هو الإحاطة بجوهر المحدود على الحقيقة، حتى لا يخرج منه ما هو فيه، ولا يدخل فيه ما ليس منه"<sup>(٤٤)</sup>، أو في عبارة المتكلمين: أن يكون التعريف جامعاً مانعاً<sup>(٤٥)</sup>، "ونعني بالجامع كونه متناولاً لجميع أفراده... وبالمانع كونه آبياً دخول غيره فيه"<sup>(٤٦)</sup>، وهكذا فإن تعريفات البلاغة التي انتقدها ابن سنان ليست جامعة ولا مانعة.

هذه أمثلة من تعريفات البلاغة قبل ابن سنان، وهي في أحسن أحوالها عنده "إذا حُقِّقت كانت كالرسوم"<sup>(٤٧)</sup> والعلائم، وليست بالحدود الصحيحة" (ص ٥٩)؛ فقد تومئ إلى مفهوم البلاغة، وقد تصف جانباً من جوانبه، ولكنها لا تتحقق فيها

٤٤. جابر بن حيان، الحدود، ص ١٦٥؛ وانظر علي بن خلف الكاتب، مواد البيان، ص ٢٩.

٤٥. الغزالي، الحدود، ص ٢٨٠.

٤٦. السكاكي، مفتاح العلوم، ص ٤٣٦.

٤٧. يفرق المناطق بين الحد والرسوم (انظر مثلاً: جابر بن حيان، الحدود، ص ١٨٥)، والرسوم عندهم أدنى مرتبة من الحد، ولكنهم قد يتسامحون في تسميته حد، إذ كان كالحده يميز الشيء من غيره، أما عند ابن سنان فإن من غير الواضح أن لكلمة الرسوم معنى اصطلاحياً، إلا أن من الواضح أن الرسم عنده لا يميز الشيء من غيره، وانه ليس شبيهاً بالحد أو قريباً منه.

شروط التعريف. وهي بعد ذلك عبارات مبهمه لا تخلو من شيء من الحذقة وتعمد الأعراب. وما زال البلاغيون والنقاد من قدماء ومحدثين يأخذون على أهل صناعتهم غموض لغتهم وافتقار عباراتهم وتعريفاتهم إلى الدقة والتحديد<sup>(٤٨)</sup>، وفي هذا المعنى يقول ابن سنان: "والحدود لا يحسن فيها التأول، وإقامة المعاذير، وغرابة ألفاظ لا تدل على المقصود؛ لأنها مبنية على الكشف الواضح، موضوعة للبيان الظاهر، والغرض بها السلامة من الغامض، فكيف يوقع في غامض بمثله؟! (ص ٥٩) وانتقادات ابن سنان هذه لسابقه كافية في إيضاح مذهبه الذي شغل بنقدهم عن بيانه: ينبغي أن يكون التعريف مبنياً لحقيقة الشيء، شاملاً لجميع جوانبه أو أفرادها، رافضاً لما ليس منه مميزاً له عن غيره، وأن يصاغ في عبارة واضحة دقيقة.

-ط-

والتعريفات، مهما كانت مستوفية لشروطها ومحكمة في صياغتها، فإنها وحدها غير كافية في إيضاح المفاهيم النقدية أو البلاغية في أذهان المتعلمين، فهذه المفاهيم تبقى نظرية مجردة ما لم تشفع بالأمثلة التي تنتقل بالمتعلم من المفهوم المجرد إلى المثال المحسوس. وهذه، كما يقول ابن سنان، "فائدة التمثيل في جميع العلوم" (ص ٢٣٢). لقد كانت الأمثلة موضع خلاف منذ القديم إن كانت وظيفتها البرهان أو الإيضاح<sup>(٤٩)</sup>، أي هل يُستدل بها على صحة مبدأ بلاغي ما أم أن الغرض منها فهم المقصود بذلك المبدأ وحسن تصوّره واستيعابه فحسب. وعند ابن سنان أن المثال للإيضاح ليس غير "يُدرّب بتأمّله على فهم مرادنا؛ فإن الأمثلة توضح وتكشف، وتخرج من اللبس إلى البيان، ومن جانب الإبهام إلى الإفصاح" (ص ١٤-١٥).

٤٨. انظر: ابن وهب الكاتب، البرهان في وجوه البيان، ص ١٦٢؛ السبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، ١/١٢٣-١٣٠، p.2؛ I.A.Richards, Principles of Literary Criticism, p.2؛ ومن الطريف أن ريتشاردز يحشد هنا، كما فعل ابن سنان، عدداً من التعريفات والعبارات التي جرت على السنة النقاد ليبين افتقارها إلى الوضوح والتحديد.

٤٩. انظر في هذا الشأن: (pseudo) Cicero, Rhetorica Ad Herennium, pp.231, 237-238.

المثال عند ابن سنان إذا وسيلة إيضاح أو "وسيلة تعليمية"، في اصطلاح المربين؛ يقول في الحديث عن الاستعارة مثلاً: "وإذا ذكرت الأمثلة بأن (والصواب بان) القريب في الاستعارة من البعيد، وعُرف المرضي منها والمكروه" (ص ١٢٠). ولأهمية الأمثلة عنده من هذا الجانب فإنه يذكر أنه كان على نية أن يذيل كتابه "بقطعة مختارة من النظم والنثر، يُتدرب بالوقوف عليها في فهم ما ذكرناه من أحكام البلاغة، وكشفناه من أسرار الفصاحة، لكننا فرقنا من الإطالة والتثقل على الناظر فيه بالملل السامة، فعدلنا إلى وضع ذلك في كتاب مفرد<sup>(٥٠)</sup>" (ص ٢٩١). على أن إدراكه للقيمة التعليمية للأمثلة دفعه إلى الإكثار منها؛ يقول في الحديث عن الاستعارة أيضاً: "ولها تأثير في الفصاحة ظاهر... ولأجل هذا أحتاج إلى إيضاحها ووصف ما يحسن منها ويقبح، والإكثار من الأمثلة التي تدل على ما أريده" (ص ١٢٠). وهكذا تجده يسوق عدداً من الأمثلة على المسألة الواحدة، ولا يكتفي ببيت أو جزء بيت كما يفعل بعض البلاغيين من المتأخرين.

ومما يميّز به ابن سنان أنه كان حريصاً على بيان منهجه في اختيار أمثله، فهو صاحب خطة في التمثيل واضحة لديه، وقد ذكر في بيانها أن ثمة أموراً ثلاثة روعيت عند اختيار أمثله:

- أن يكون جلّ أمثله من الشعر لا النثر.

- وأن يختارها من شعر "الفحول المتقدمين في هذه الصناعة" بخاصة.

- وأن تحدّد هذا الاختيار اعتبارات موضوعية محض<sup>(٥١)</sup>.

وهذه الأسس الثلاثة التي أقام ابن سنان خطته في التمثيل عليها، لها أبعاد تعليمية قد تقوى وقد تضعف، ولكنها في مجملها يمكن في نهاية الأمر ردها بوجه من الوجوه إلى المنطلقات التعليمية التي يصدر عنها.

٥٠. لم يصل إلينا كبيره من كتب ابن سنان، ولا نعرف من أمره شيئاً.

٥١. انظر: ص ٧٤، ص ٧٦، ص ٧٧، ص ١٤٤-١٤٥.

على أن ابن سنان إنما بيّن معالم خطته هذه في أثناء حديثه عن الأمثلة التي أنكرها لا تلك التي استحسناها، إلا أننا نستطيع القول إن معظم ما ذكره في هذا السياق يصلح لأن يصوّر منهجه في اختيار أمثله بوجه عام، سواء أكانت أمثلة على جيد الكلام أم على رديئه. وربما بدا للناظر أن عموم منهج ابن سنان للصنفين كليهما أمر غير ذي صلة بالجانب التعليمي الذي نتحدث عنه، ولكن حقيقة الأمر أن الكلام على هذا الجانب بعينه كما سنرى في غير موضع يتوقّف إلى حدّ غير قليل على كون منهجه مقصوداً على أحد الصنفين أو أنه عام فيهما معاً. ومن هنا كان لا بد لنا من أن نشير إلى مسألة العموم أو الخصوص هذه ونحن نفصل القول في الأسس الثلاثة لمنهجه.

ولعلّ ذلك العموم أكثر ما يكون وضوحاً في إيثار ابن سنان الشعر على النثر (الأساس الأول في منهجه). يقول في بيان ذلك وتعليقه: "فأما اقتصاري في أكثر ما أمثّل به على المنظوم دون المنثور، مع أن كلامي عليهما واحد، فإنما أقصد ذلك لكثرة المنظوم واشتهاره، ورغبتني في أن يسهل الوزن عليك حفظ ما أذكره، فإنه داعٍ قوي، وسبب وكيد" (ص ٧٧) وإذا دققت النظر في ألفاظ ابن سنان هنا (وبخاصة قوله "في أكثر ما أمثّل به")، وفي الأسباب التي علّل بها مذهبه في التمثيل بالشعر، ثم تصفّحت عامة الأمثلة التي حشدها في كتابه وجدت أن ما يقوله هنا أقرب إلى أمثلة الإجابة والإحسان منه إلى أمثلة الرداءة والتقصير، فمن غير الممكن مثلاً أن ابن سنان يشير إلى أمثلة ما يُستقبح وهو يتحدّث عن كثرة المنظوم واشتهاره.

والغرض التعليمي من التمثيل بالشعر واضح أيضاً لا يُحوجنا إلى الوقوف طويلاً عنده، وقد بيّنه ابن سنان في النص الذي اقتبسناه منه قبل قليل، فهو قد أثار اختيار أمثله من الشعر لا لأنه ممن يفضلونه على النثر<sup>(٥٢)</sup>، ولا لأن الأصول التي يقرّها تختص بالمنظوم أو تتصل به أكثر من اتصالها بالمنثور،

٥٢. انظر: ص ٢٨٧-٢٨٨.

فلا فرق بينهما من هذا الجانب - كما رأينا سابقاً - وما يصدق على أحدهما يصدق على الآخر، وإنما حمله على ذلك شهرة الشعر وتداوله بين الناس من وجه، وسهولة حفظه وتذكره من وجه آخر. وقد جمع ابن سنان بين الأمرين في قوله: "لو اعتبرت أكثر الناس لم تجد فيهم من يحفظ فصلاً من رسالة غير القليل، ولا تجد فيهم من لا يحفظ البيت أو القطعة إلا اليسير؛ ولولا ما انفرد به (الشعر) من الوزن الذي تميل إليه النفوس بالطبع، لم يكن وجه ولا سبب، (ص ٢٨٧). سهولة حفظ الشعر أفضت إذاً إلى زيوعه بين الناس، وهما أمران دفعا ابن سنان إلى تقديم الأمثلة الشعرية على غيرها تيسيراً على المتعلمين، وهذا الغرض التعليمي ظاهر في الأمر الأول (سهولة الحفظ) لا يحتاج إلى شرح وبيان، وبحسبنا هنا أن نشير إلى المنظومات التعليمية التي ظهرت في شتى العلوم عند العرب وعند غيرهم. وأما الأمر الآخر (شهرة الشعر) فله صلة بالمسألة الآتية: الاختيار من شعر الفحول.

ذكرنا أن ابن سنان أوضح خطته في سياق حديثه عن التمثيل على العيوب لا على المحاسن، وقد شرط على نفسه "التمثيل بأشعار هؤلاء الفحول المتقدمين في هذه الصناعة"، على الرغم مما في البحث عن مواضع الرداءة والتقصير في أشعارهم "من الكلفة والنضب (وصوابها: النصب)؛ إذ كان قليلاً في كلامهم مغموراً بمحاسنهم، وكنت أفتر إلى تأمل الديوان الكامل حتى أظفر منه بالكلمات اليسيرة فأوردها مثلاً" (ص ٧٧)، وما كان ليعاني تلك المشقة لو أنه بحث عن تلك العيوب والمساوي في دواوين المتخلفين في صناعة الشعر، "ولو تأملت قصيدة واحدة من شعر من يدعي القريض في هذا العصر وجدت فيها عدة أمثلة لكل ما أكرهه وانكره" (ص ٧٦). فما الذي دعاه إذاً إلى ركوب المركب الصعب، وتجاوز السهل إلى الحزن؟ يمكن القول إن البلاغيين بعامة يميلون إلى أخذ أمثلتهم من مشهوري الأدباء وأعلامهم، ولكن ما ينفرد به ابن سنان عن البلاغيين العرب هو أنه صير ذلك ضربة لازب، واقتصر (نظرياً على الأقل) على تلك الأمثلة. وأهم من هذا لغرضنا هنا أنه جعل ذلك مذهباً صريحاً لا ضمناً، واحتج له، وبين الأسباب التي حملته على اصطناعه<sup>(٥٣)</sup>.

٥٣. وعند غير العرب انظر: (pseudo) Cicero, Rhetorica Ad Herennium, p.229. ff حيث يعدد المؤلف حجج الداهيين إلى أن الأمثلة ينبغي أن تؤخذ من الأدباء المشهورين (ولكنه يفند هذه الحجج بعد ذلك).

ثلاثة اعتبارات دفعت ابن سنان إلى الاختيار من شعر الفحول<sup>(٥٤)</sup> وحدهم، "أولها صيانة هذا الكتاب عن تهجينه بذكر غيرهم" (ص ٧٦). وهذا أمر لا يُعقل أن يكون مقصوداً على الأمثلة التي يوردها على العيوب ومواضع التقصير (على الرغم من أن حديثه إنما جاء في هذا السياق نفسه)، وإلا كان علينا أن نتصور ما لا يمكن تصوّره، وما لا ينسجم على أية حال مع الأمثلة التي احتواها كتابه فعلاً - وهو أنه يمثّل على الرديء بشعر الفحول، وعلى الجيد بشعر غيرهم، بل لعلّ حجته ههنا في التمثيل بشعر الفحول المتقدمين أُلصق بالأمثلة التي يستحسنها منها إلى تلك التي ينكرها ويستزذلها؛ فهو يريد باختياريه من شعرهم أن يرتقي بكتابه كما صرح بذلك، ولا يُعقل أنه يعنى بهذا أن الرديء من شعر الفحول يعلي من شأن كتابه، وإنما يتحقّق له ذلك بذكر جيدهم لا رديئهم.

وقد ترى أن كلام ابن سنان هنا إنما يعبر ليس غير عن رغبته في عدم ابتدال كتابه بنماذج من إنتاج النظامين ونكرات الشعراء وصغارهم، ولكننا نزعم أن ثمة جانباً تعليمياً في اختياره من شعر الأعلام المشهورين، وهذا الجانب تفسّره حجته في التمثيل بالشعر لسيرورته وشهرته. كل من الأمرين (شهرة الشعر بعامة، وشعر الفحول بخاصة) يفضي إلى تحقيق الغاية التعليمية نفسها (ولذلك أثرنا أن نوخّر القول في موضوع سيرورة الشعر لنتناوله في هذا الموضوع): الابتداء مع المتعلم بما يعرف للانطلاق به إلى ما لا يعرف، أي ردّ المجهول إلى المعلوم كما يقول القدماء، أو بناء الخبرات الجديدة على خبرات سابقة في عبارة المشتغلين بالتربية اليوم. الشعر بخلاف النثر مشهور

٥٤ . الظاهر أن مفهوم الفحولة عنده يشير إلى شهرة الشاعر وسيرورة شعره. ومعظم الشعراء الذين يمثّل بشعرهم أعلام معروفون، ولكننا نجد أحياناً سوا على قلة - أبياتاً لشعراء غير مشهورين، أو أبياتاً غير منسوبة أصلاً، انظر مثلاً: ص ٦٧، ص ٦٨، ص ٧٦، ص ٨٤، ص ٩٨، ص ١٠٦.

متداول، وأشعار الأعلام كالمتنبي وأبي تمام والبحتري وأضرابهم ذائعة سائرة، في حين أن المبادئ والأصول التي ندب ابن سنان نفسه لبيانها وتقريرها (يفترض أنها) جديدة، أي مجهولة لم يسبق لقارئ كتابه بها علم. فإذا جيء بأمثلة مألوفة لتلك المبادئ غير المعروفة كان ذلك أيسر للمتعلم وأنس له مما لو كان ما يُلقى إليه جديداً كله في مادته وأمثله جميعاً؛ فإن من حلّ مدينة سبق له أن مرّ بها وسار في بعض طرقاتها، لا يجد من الوحشة ما يجده من يأتي إليها أول مرة لا يعرف فيها شيئاً.

وثمة اعتبار تعليمي آخر يتعلّق بالتمثيل بشعر الفحول بخاصة: ابن سنان ههنا لا يبحث فقط عن أيّ مثال يفى بالغرض الآتيّ في توضيح مفهوم ما أو نكتة بعينها، بل لعلّه مثل عامة المشتغلين بتعليم الأدب يريد لأمثله أن تكون فضلاً عن وظيفتها التوضيحية المباشرة، نماذج أدبية رفيعة جديرة بأن يحتذّيها ويحاكيها أو يتأثر بها من أراد أن يكون منشئاً<sup>(٥٥)</sup> (فيكون هذا من المواطن التي التفت فيها ابن سنان إلى صناعة الإنشاء)، وأن يحفظها ويقيس عليها ويتذوّق ما فيها من جمال من يتطلّع إلى أن يصبح ناقدًا. وقد يفسّر ذلك عزوف ابن سنان عن الأمثلة التعليمية المصنوعة (نحو "زيد أسد")؛ قد تكون هذه الأمثلة أقدر من غيرها على أداء الغرض التوضيحي، لأن المرء يفصلها على قدّ مراده، ولذلك تجديها شائعة في كتابات البلاغيين والنحويين وسواهم؛ ولكنها لما كانت منحطةً فنيًا وليست أهلاً للاحتذاء أو التذوق - لا جرم أعرض عنها ابن سنان الذي ألزم نفسه أن تكون أمثله ليست نصوصاً شعرية حيّة فحسب، بل أن تكون من عيون الشعر.

والإقتصار على شعر الفحول له عند ابن سنان سبب ثان من الواضح أنه مختصّر بالتمثيل على العيوب على وجه التحديد. وذلك "أن اللفظة التي تكره في نظم هؤلاء الحذاق تقع فريدة وحيدة يظهر مباينتها لكلامهم؛ فالعلم بها واضح، وكشفها جليّ، وقد قال حبيب بن أوس:

٥٥ . انظر في ذلك : (pseudo) Cicero, Rhetorica Ad Herennium, p.233

وكذاك لم تفرط كآبة عاطل

حتى يجاورها الزمان بحال

وقال غيره قبله:

الجهل في الجاهل المغمور مغمور والعيب في الكامل المذكور مذكور

كفوفة<sup>(٥٦)</sup> الظفر تخفى من مهائنه وبعضها في سواد العين مشهور

وليس مكانها في أشعار غيرهم كذلك، بل هي منظومة مع غيرها في القبح وأشكالها" (ص ٧٦). الغرض التعليمي هنا واضح: الأمثلة وسيلة إيضاح، وفي مسألتنا هذه يُقصد بها إيضاح موضع من مواضع العيب أو التقصير، وهذا الموضع إذا وقع في قصيدة مستجادة، كما هي الحال فيما يأتي به الفحول عادة، فإنه يكون ظاهراً بارزاً لافتاً للنظر، وليس كذلك إذا جاء في قصيدة من شاعر الشعراء المقصّرين فإنه يكون مختلطاً بغيره من العيوب والمساوي فلا يستبينه المتعلم إلا ببعض المشقة، مثل ذلك مثل نقطة حبر على ثوب أبيض ناصع البياض تكون ظاهرة فاقعة تنادي على نفسها، ونقطة حبر مثلها على ثوب يزدحم بالبقع والأوساخ فلا تظهر إلا بعد بحث وتدقيق.

وأما السبب الثالث في التمثيل بأشعار الفحول، وهو أيضاً مختص بالأمثلة على العيوب، فقد قال ابن سنان في بيانه إن الغرض فيه "يثاري أن أعلمك أن مقتضى الفصاحة سامحوا نفوسهم، وأصبحوا في طاعة أهوائهم، ليتحقق أن الزلل في طباع البشر موجود، والعصمة عن أكثرهم بئنة" (ص ٧٦-ص ٧٧). وعبارات ابن سنان هذه، وإن كان على الأرجح يخاطب بها طالب النقد (وهذا أمر سنعود إليه فيما بعد)، فإن لها صلة بصناعة الإنشاء أيضاً. غاية من يريد تلك الأمثلة أن يبين أن الكمال غير ممكن، وأن "الزلل في طباع البشر موجود"، وهذا أمر له قيمة تعليمية إذ يؤدي إلى الإبقاء على ثقة المتعلم بقدرته؛ فإذا كان الشعراء الأعلام يقعون في مثل هذه العيوب والسقطات، فإن الأديب

٥٦. الفوف نقط بياض في أظفار الأحداث، الواحدة فوفة، الزمخشري، أساس البلاغة، مادة ف و ف.

المبتدئ ينبغي ألا تهون عزيمته إذا أخذت عليه بعض الأخطاء، فهذا شيء لم يسلم منه شاعر قديم أو محدث حتى لو كان في منزلة امرئ القيس أو الفرزدق أو المتنبي وغيرهم من الشعراء المشهود لهم بالتفوق والإجادة.

وهنا تفسير آخر قد يكون أقوى من السابق: هؤلاء الفحول ما كانوا يصلوا إلى هذه المنزلة لو لا معرفتهم بالجيد والرديء، ولم تكن هذه الأبيات التي أنكرت عليهم ليخفى عليهم موضع القبح فيها لو أنهم حاسبوا أنفسهم، ولم يستسلموا لأهوائهم التي زينت لهم استحسان كل ما نطقوا به. بيت مسلم بن الوليد مثلاً الذي يتناقله البلاغيون<sup>(٥٧)</sup> :

سَلَّتْ وَسَلَّتْ ثُمَّ سَلَّ سَلِيلُهَا  
فَاتَى سَلِيلُ سَلِيلِهَا مَسْلُولا

"لا غاية وراءه في القبح... ولولا أن هذا البيت مروى لمسلم وموجود في ديوانه لكنت أقطع على أن قائله أبعد الناس ذهنًا، وأقلهم فهمًا، لا يُعدّ في عقلاء العامة فضلًا عن عقلاء الخاصة. لكنني إخال خطرة من الوسواس أو شعبة من البرسام عرضت له وقت نظم هذا البيت، فليته لما عاد إلى صحّة مزاجه، وسلامة طباعه، جحده فلم يعترف به، ونفاه فلم يُنسب إليه. وما أضيف هذا وأمثاله إلا إلى عوز الكمال في الخلق، وعموم النقص لهذه الفطرة" (ص ١٠٤-١٠٥). وفي هذا دعوة إلى المنشئ شاعراً أو كاتباً لكي يجتهد في تهذيب ما ينظم أو يؤلف، ويتأني في إظهار ما أسرع إليه خاطره، فينفي منه ما يمكن أن يُطعن به عليه، إن في التمثيل على العيوب بشعر الفحول لدليلاً ساطعاً على أهمية أخذ الشاعر والكاتب بما أوصاهما به ابن سنان في الفصل الذي خصصه لصناعة الإنشاء وختم به كتابه كما ذكرنا سابقاً، من "قرط التحرّر، وسوء الظن بالنفس" (ص ٢٩٢). وإذا كان التساهل في مراعاة ذلك قد انتهى بأولئك الفحول إلى أن نصبوا أنفسهم هدفاً للوم وجعلوا من بعض شعرهم نماذج للرداءة والقبح، فما ظنك بناشئة الأدياء الذين لم تستقم بعد أداتهم، ولم تتعمق تجربتهم؟

٥٧. انظر: القاضي الجرجاني، الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص ٨٤؛ أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، ص ٣٣٥.

أما الأساس الثالث في خطة ابن سنان فهو موضوعية الاختيار كما تقدم. ولئن كان من البلاغيين والنقاد من يتخذ من الأمثلة وسيلة للترويج لأديب ما أو الطعن على غيره<sup>(٥٨)</sup>، لقد أسرع ابن سنان إلى أن يدفع عن نفسه شبهة كهذه. ولما كان قد بين معالم خطته تلك في أثناء حديثه عن أمثلة عابها فإنه يخشى خشية ظاهرة أن يتهم بأنه يقصد بتمثيله على العيوب بشعر الشعراء الكبار إلى الانتقاص من أقدارهم أو التشنيع عليهم، ولهذا تجده يؤكد في غير موضع أنه يفعل ذلك متحرراً من أي غرض سوى أنه بلاغي يبحث لدواعٍ موضوعية بحث عن أمثلة توضح مراده، فحيثما وجدها (في شعر الفحول الذين شرط على نفسه أن يقتصر عليهم) أخذها وضمّتها كتابه، كما بصور ذلك قوله: "وليس إيراد هذه الأمثلة على جهة الطعن على هؤلاء الشعراء الفضلاء، والغرض منهم. وكيف يكون ذلك وسأورد من غرائبهم وبدائع كلامهم ما يعلم معه أننا تحت تقصير عن شأوهم، ويقع العجز عن إدراك القريب من غاياتهم؟ لكنني إذا احتجبت إلى إيراد الأمثلة في المختار والمنبوذ، والمحمود والمذموم، فلا معدل لي عن أشعارهم وتصفح نظمهم، وأخذ ما أريده منها وإيراده عنها في الصنفين معاً" (ص ٧٤). وليس لدى المرء سبب للشك في نزاهة ابن سنان فسي اختيار أمثله؛ فأنت تجد عنده فعلاً، في مواضع كثيرة عزيزة على الحصر، أمثلة من شعر الشاعر الواحد على الجيد الرائع والمطرح المسترذل جميعاً. ومع أنه شاعر على قدر ما من الأهمية، إلا أن مما يسترعي الانتباه حقاً عزوفه عن التمثيل بشيء من شعره (على ما في ذلك من قيمة تعليمية فسي نظر بعض البلاغيين<sup>(٥٩)</sup>)، ولعله هو الذي يعتدّ بشعره اعتداداً لا حدّ له<sup>(٦٠)</sup> -إنما فعل ذلك فراراً من شبهة الهوى والغرض.

٥٨. انظر مثلاً ما يقوله زكي مبارك عن محاباة أبي هلال العسكري في كتاب الصناعتين للصاحب بن عباد وتحصينه على المتنبي، النثر الفني في القرن الرابع، ١١٨/٢-١٢١. انظر تعاليق محمد مندور على ذلك، النقد المنهجي عند العرب، ص ٢٢٥-٢٢٩.

٥٩. انظر Pseudo Cicero, Rhetorica Ad Herennium, pp.243-251) بينغي في رأي صاحب هذا الكتاب أن تكون أمثلة البلاغي كلها من كلام البلاغي نفسه، أو على الأقل أن يأخذها من أديب بعينه، ليكون ذلك حافظاً للمتعلم ومشجعاً له، إذ يدرك بذلك أن خصائص الجودة يمكن أن تجتمع في إنتاج شخص واحد، أما إذا أخذت الأمثلة من مصادر متعددة فإن ذلك يدفعه إلى الظن أن اجتماع تلك الخصائص في أديب أمر بعيد المنال.

٦٠. انظر مثلاً قوله

صلى على السامعون وسلموا

لو كان في نظم القريض نبوة

الديوان، ص ١٩٣، انظر أيضاً: المصدر نفسه، ص ٨١، ص ١٥١.

وإذا انتهينا إلى البعد التعليمي لموضوعية الاختيار، وهو ما يهمنى هنا، فلا بد لنا من القول إن ابن سنان من أكثر النقاد العرب إلحاحاً على موضوعية النقد<sup>(٦١)</sup>، وهو في أمثله يريد أن يقرن القول بالعمل، واختيار الأمثلة من أهم المواطنين التي تُختبر فيها موضوعية الناقد، ويصدق فيها فعله قوله. وكان ابن سنان يريد هنا أن يقدم لطالب النقد نموذجاً فعلياً حياً على الموضوعية، لا أن يكتفي بمجرد الدعوة النظرية إليها.

وثمة وجه آخر في المسألة قد تكون الغاية التعليمية فيه أوضح وأقوى: موضوعية الاختيار تفضي لا محالة إلى أمثلة على الجيد والرديء من شعر أولئك الفحول بأعيانهم الذين يمثل ابن سنان بأشعارهم، وعند هذا الموضع يكون اللقاء بين موضوعية الاختيار ومقالة ابن سنان في استحالة الكمال في البشر. هذا ابن سنان نفسه يجمع بين المسألتين (الموضوعية واستحالة الكمال) حين يقول بعد أن أورد أبياتاً انتقدها على أبي تمام: "وتعالى الله كيف يذهب هذا على من يقول: (ثم يعارض تلك الأبيات بأبيات يستجدها لأبي تمام)... لكن أعوز الكمال، واستولى الخلل على هذه الطباع، فالمحمود من كانت سيئاته مغمورة بحسناته، وخطؤه يسيراً في جانب صوابه. وقد قدّمنا فيما مضى من هذا الكتاب أننا لم نذكر هذه الأبيات الذميمة وغرشنا الطعن على ناظمها، وإنما قادتنا الحاجة في التمثيل إلى ذكر الجيد والرديء، والفاقد والصحيح، على ما ذكرناه سالفاً" (ص ١٤٤). وهكذا فإن اقتران اللوم بالثناء وسيلة يتوسل بها ابن سنان إلى إثبات موضوعيته، وإلى أن ينفي عن نفسه شبهة التحامل على أعلام الشعراء (والنقاد كذلك<sup>(٦٢)</sup>)، بل تجده يلتمس لهم الأعذار، كما يقول فيما سوف نقتبسه منه بعد قليل، متكئاً في ذلك على مقالته في استحالة الكمال على نحو ما رأيناه هنا في حديثه عن أبي تمام، وما رأيناه من قبل في تعليقه على بيت مسلم بن الوليد. لقد زواج بين تعنيفه مسلماً بتلك العبارات الحادة الساخرة والإقرار بتقدمه

٦١. انظر مثلاً: ص ٢٨٥؛ وانظر أيضاً: عبد الكريم الحيارى، "استقلال النص الأدبي عن مولفه في النقد العربي القديم"،

مجلة أبحاث اليرموك، ١٥/١٤ وما بعدها.

٦٢. انظر مثلاً: ص ١٢٢ - ص ١٢٣، ص ١٤٠ - ص ١٤١، ص ١٤٩.

عندما نصّ على أنه لا يكاد يصدق أنه قائل ذلك البيت. هذه المزاجية تشهد بموضوعيته، ولكنها في الوقت نفسه جمع بين نقيضين، ولحلّ هذا الإشكال يفرع إلى مبدأ استحالة الكمال للتوفيق بين النقيضين.

وقد كنّا تناولنا القيمة التعليمية لمسألة استحالة الكمال فيما يتصل بالمنشئين، ونبين الآن ما يختصّ منها بمتعلّمي النقد (فإن الموضوعية التي نتحدث في سياقها الآن تتصل بنقد الأدب أكثر من اتصالها بإنشائه). طالب النقد قد يؤخذ بشهرة الشاعر أو علو منزلته عند أهل الأدب، فيساق إلى الظن أن كل ما يأتي به الشاعر المجيد جيّد أبدأ، وأن الشاعر الفحل منزّه عن الخطأ، والتمثيل على الجيد والردّيء بشعر الفحول أنفسهم خير وسيلة لدفع هذا الوهم، وحمل الناقد على نبذ التقليد، والتحرّر من الهيبة من إخضاع شعرهم لموازنين النقد التي لا مجال فيها للاحتكام إلى غير المبادئ والأصول الموضوعية التي بها وحدها يتميز الجيد من الرديء، والغث من السمين.

على أن طالب النقد قد يجني عليه إفراطه في النزوع إلى الاستقلال في الرأي؛ "حبّ النظر" (في عبارة ابن سنان) قد يجمع بصاحبه فينتهي به إلى تقييح ما ليس بقبیح، وإلى أن يبخس الناس حقوقهم، أدباء كانوا أم نقاداً، وعندما تستبدّ بالمرء شهوة الابتكار، وتلخّ عليه الرغبة في الاجتهاد، فلا عاصم له من الانحراف عن الصواب كتلك المبادئ والأصول تكون عقلاً لهذه الرغبة، وخطاماً لتلك الشهوة. لا يجوز "أن يخرجنا بغض التقليد، وحبّ النظر، من الطرف المذموم في الاتباع والانقياد إلى الجانب الآخر في التسرّع إلى نقص الفضلاء، والتفنيد لما لعله اشتبّه على بعض العلماء، والرغبة في الخلاف لهم، وإيثار الطعن عليهم" (ص ١٤٤). والطريق القويم في ذلك أن "ننظر في أقوالهم، ونأمل المأثور عنهم، ونسلط عليه صافي الذهن، ونزيف له ماضي الفكر، فما وجدناه موافقاً للبرهان وسليماً على السبر اعترفنا بفضيلة السبق فيه، وأقررنا لهم بحسن النهج لسبيله، وما خالف ذلك وبأينه اجتهدنا في تأويله"<sup>(٦٣)</sup>، وإقامة

٦٣. انظر في ذلك: ص ١٥١ في التعليق على رأي للشريف المرتضى.

المعاذير فيه، وحملناه على أحسن وجوهه... علماً أنهم لم يؤثروا من ضلالة، ولا كلال ذهن وفطنة، ولكن لاستمرار هذه القضية (أي استحالة الكمال) في المحدثين<sup>(٦٤)</sup> وعمومها أكثر المخلوقين" (ص ١٤٤-ص ١٤٥).

#### ي-

طريقة ابن سنان في التأليف تميل ميلاً واضحاً إلى التبويب والتنظيم، ومع ذلك فإن آراءه في تعليم البلاغة (أو الفصاحة في مصطلحه) جاءت في معظم الأحيان على هيئة استطرادات خرج فيها عن موضوعه الذي هو فيه إلى الحديث عن جانب ما مما يتصل بالمسألة التعليمية، وكأن ابن سنان يرجح مخالفة شروط التأليف على السكوت عن إعلان رأي له في هذا الباب، وقد يستقيم لنا أن نفسر ذلك على أنه يعبر عن مدى إلحاح تلك المسألة التعليمية عليه (كما أشرنا إلى ذلك في موضع سابق من هذه الدراسة) وعن إحساسه بحاجة البلاغي إلى أن يكون له مهيب واضح وخطّة معلومة فيها. ولعلنا أن نكون الآن قد أفلحنا في أن نبين أن لدى ابن سنان مذهباً تعليمياً يتناول المسألة من جوانبها المختلفة، ما اتصل منها بالعرض من تعليم البلاغة، أو محتوى "المادة المدروسة، أو طريقة تقديم تلك المادة للمتعلم، أو نوعية ذلك المتعلم (أو الفئة المستهدفة بهذا العلم كما يقال اليوم). وقد تناول هذه الجوانب بعبارات صريحة قصدنا قصداً أن نقتبس منها في مواضع متعدّدة، لعلها تنطق عن مدى وضوح المنهج التعليمي في ذهنه.

وفي ظننا ما يميّز ابن سنان عن غيره من البلاغيين العرب في هذا الباب هو وجود خطّة تعليمية لديه ابتداءً، ثم وضوح تصوّره لها، وشمولها المسألة التعليمية في وجوهها المتعدّدة. قد لا تجد بلاغياً واحداً لا يرى في نفسه معلماً للبيان أو النقد، والنبرة التعليمية عالية عند كثير منهم، ولكن من الصعب أن تجد نظيراً لابن سنان في كونه صاحب مذهب تعليمي، ملامحه ظاهرة، ومعالمه بيّنة. ثمّة كثيرون ممن تناولوا هذه الناحية أو تلك مما يتصل بتعليم البلاغة، ولكنك قد لا تطفر ببلاغي آخر يضع بين يديك تصوّراً للمسألة التعليمية على

٦٤. لا يخفى أن كلمة المحدثين مستعملة هنا بمعناها في اصطلاح المتكلمين، والمقصود بها الناس.

النحو الذي رأيناه عند ابن سنان، ويقدم لك إجابات صريحة عن أهم الأسئلة التي لا بد من مواجهتها في هذا الشأن: لماذا نعلم البلاغة؟ وهل يمكن تعليمها أساساً؟ وما جدوى تعليمها؟ وما الذي نعلمه؟ ومن الذي نعلمه؟ وكيف نعلمه؟.

هذه أمور هي من أهم ما ينبغي أن نتناوله جهود الذين يرومون تجديد البلاغة، وابن سنان يقدم هنا أفكاراً قد نوافقه أو نخالفه فيها، ولكنها تظل على الأقل مادة تصلح للبحث والمناقشة، إذ تتناول مسائل ما زالت هي نفسها موضع بحث ومناقشة، على أن طائفة صالحة من آرائه تجد لها بالفعل أشباهاً ونظائر على نحو ما فيما يتناوله البلاغيون المحدثون (من عرب وغيرهم). دونك مثلاً: تمييزه كما رأينا بين ما يسمّى الآن تعبيراً وظيفياً وما يسمونه تعبيراً إبداعياً، والاهتمام في تعليم البلاغة بالأصول والمبادئ العامة لا بالجزئيات والتفصيلات<sup>(٦٥)</sup>، التمييز بين ما يتصل بهذه المبادئ وما يرجع إلى الأذواق المتغيرة<sup>(٦٦)</sup>، وتحرير اللغة النقدية من الغموض والحذقة<sup>(٦٧)</sup>، والمنهج "التكاملي" الذي لا تكون فيه البلاغة معزولة عن غيرها من علوم اللغة فضلاً عن الاستعانة بعلوم أخرى كعلم النفس وغيره<sup>(٦٨)</sup>، و"أن من شرط البلاغة أن تتعاطى مع نصوص متفوّقة في الجمال" لا أن تعتمد على نصوص مصطنعة<sup>(٦٩)</sup>. هذه أفكار تتردد على السنة البلاغيين المحدثين، وهي مما عرض له ابن سنان كما رأينا على قدر من الوضوح والتفصيل. ونحن بالقطع لا نتحدث ههنا عن تأثير أو تأثير وغرضنا إنما هو أن نبين أن آراءه لم تخلق جدتها الأيام.

٦٥. قارن: John J. Ruskiewicz, *Well-Bound Words, A Rhetoric*, P. VIII.

٦٦. انظر الحاشية ٢٨ أعلاه.

٦٧. انظر الحاشية ٤٩ أعلاه.

٦٨. انظر: الأزهر الزناد، دروس في البلاغة العربية، ص ٥، قارن: خليل كفوري، نحو بلاغة جديدة، ص ١٣٩-١٤٠، وانظر أيضاً الحاشية ٣٥ أعلاه.

٦٩. خليل كفوري، نحو بلاغة جديدة، ص ٥، انظر: المرجع نفسه ص ١٤٠؛ وانظر كذلك مصطفى الصاوي الجويني، البلاغة العربية، تأصيل وتحديث، ص ٢٠٣.

وقد رأينا أن وظيفة البلاغة في تعليم النقد، خلافاً لوظيفتها الأخرى في تعليم الإنشاء، قد استحوذت على تفكير ابن سنان، وهذا منحى قد تجده أيضاً عند غير واحد من البلاغيين المحدثين<sup>(٧٠)</sup>، غير أنه عند ابن سنان قد يُعدّ ثغرة في البناء النظري لمنهجه التعليمي؛ ذلك أنه بدأ كتابه بأن جعل تعليم الإنشاء في مقدمة الغايات التي تسعى العلوم الأدبية كلها إلى تحقيقها، ثم شغل عنه أو كاد بالعرض النقدي من تعليم البلاغة كما شغل كذلك، وعلى نحو أوضح، عن الغرض الآخر المتصل بإعجاز القرآن، فكأنه انتهى إلى غير ما بدأ به. على أن ما يبدو من عدم اتساق ههنا يمكن دفعه بالقول إن أهداف البلاغة في تعليم الإنشاء ومعرفة الإعجاز ترتدّ في نهاية الأمر إلى هذا الغرض النقدي، فهي متضمنة فيه على نحو ما بيننا في موضع سابق. فإن أبيت إلا أن يكون ذلك موطن خلل في منهجه، فلعلك لا تجد مواضع أخرى مثله تقرنها به، وعندئذٍ يمكننا أن نقرر أن آراء ابن سنان (النظرية) في المسألة التعليمية لها نصيب في الانسجام والاتساق كبير.

لا يخلو منهج ابن سنان التعليمي من ثغرات وعيوب، لعل أهمها المسافة التي قد تتسع بين النظرية والتطبيق. فإذا طلبت أمثلة من هذا القبيل فإن مسألة التعريفات تقف شاهداً بارزاً على ذلك، فعلى الرغم من قيمة الحدود في نظره، فإن عنايته الفعلية بتعريف المصطلحات والمفاهيم التي تضمنتها كتابه متفاوتة تفاوتاً كبيراً؛ لقد توفّر على بعض التعريفات، وأنفق في صياغتها جهداً كبيراً بلغ حدّ الإسراف؛ ينتبّع الأصل اللغوي للمصطلح المراد تعريفه، ثم يصوغ ذلك التعريف في عبارة يجتهد في أن تكون واضحة جامعة مانعة، ويضمنها من القيود والاحترازات ما يحتاط به ليأتي تعريفه غاية في الدقة والإحكام، ويقدم الأدلة ويقدم

٧٠. يرى مصطفى الصاوي الجويني (البلاغة العربية، ناصيل وتجديد، ص ٢٠٢) أن الغاية من النقد والبلاغة كانت واحدة، وهي تمييز الجيد من الرديء، ثم استقل النقد بهذه الغاية وصار الغرض من البلاغة اكتساب المهارة العلمية في الإنتاج... والأولى أن تصبح غاية البلاغة ذوقية لوثوق اتصالها بالنص القرآني. بينما النقد غاية العملية هي إكساب المهارة للإنتاج الأدبي. ويبين الأزهري الزناد (دروس في البلاغة العربية، ص ٦) أن هدفه "رتق الفجوة الموجودة في كثير من أذهان المبتدئين بين البلاغة والنقد الأدبي... (و) تمكين الطالب من مهارة الربط بين الاثنين فيحسن توظيف كل معلوماته في استخراج مواطن الجمال في النص". وعند الأوروبيين انظر: Peter Dixon, Rhetoric, P.49 حيث يذكر أن البلاغة بدأت منذ القرن الثامن عشر تزداد قرباً من النقد، وتقدمت الوظيفة النقدية فيها على وظيفتها الأخرى في تعليم فن الإنشاء.

الحجج لبيان صحته، ويبطل الشبهات التي قد تثار عليه، ويرفض التعريفات الأخرى لذلك المصطلح ويتحدث عن وجه فسادها<sup>(٧١)</sup>. على أنه في أحيان أخرى كثيرة لا يقدم سوى تعريفات قصيرة موجزة، وليس من غير المؤلف عنده أن يتناول مفهوماً ما دون أن يعرفه على الإطلاق<sup>(٧٢)</sup>. لا يمكن القول في تفسير ذلك أن ابن سنان يطنب في إيضاح المفاهيم المشكلة أو الخلافية ويوجز في تعريف ما هو واضح أو متفق عليه؛ فقد ذكرنا فيما سبق أن آراءه في الحد والتعريف جاءت في معظمها في سياق نقده لتعريفات البلاغة عند الآخرين، ولكنه اكتفى ببيان ما في تلك التعريفات من عيوب - وقد أطل في ذلك - وذهل عن أن يصوغ للبلاغة تعريفاً يقره ويرتضيه.

وما سمّناه المنهج التكاملي عند ابن سنان موضع آخر بدا فيه على نحو ظاهر تخلف التطبيق الفعلي عن الرأي النظري عنده، وبخاصة فيما يتصل بالاستفادة من أبحاث المتكلمين في الدراسة البلاغية. هذا المنهج "التكاملي" يرى فيه ابن سنان سبباً لتمييز كتابه عما ألف في موضوعه، "فهو مفرد في بابه، غريب في غرضه" (ص ١٥). ولعلنا لا نخالفه في ذلك لو أنه أحسن التطبيق؛ كتابه يتحدث عن مدى احتقائه بعلم الكلام ورسوخ قدمه فيه، ولكن علم الكلام عنده قد يتجاوز أحياناً كونه أداة في يد البلاغي، ويتحول إلى غاية تطلب لذاتها. لقد أراد ابن سنان للفصول الأولى من كتابه (أربعة فصول في اللغة، والحروف، والصوت، والكلام) أن تكون موضوعات جديدة يدخلها إلى الدرس البلاغي، ويتجسد فيها منهجه "التكاملي" ولكن قارئ تلك الفصول يجد في غير موضع أنه قد خرج نهائياً من حيز البلاغة ومسائلها ليقراً نصوصاً كلامية يصعب على طالب الأدب والنقد أن يتبين وجه الحاجة إليها، كما أشار إلى ذلك ضياء الدين بن الأثير الذي ينتقد فصول ابن سنان هذه على الرغم من أنه لم يجد في التراث البلاغي والنقدي قبله "ما يُنتفع به" إلا كتابين أحدهما "سر الفصاحة"<sup>(٧٣)</sup>، وبذلك فإن ابن سنان لم يستطع أن يقنع

٧١. انظر بوجه خاص تعريفه للكلام، إذ استأثر هذا التعريف بمعظم الفصل الذي خصصه للبحث في موضوع "الكلام" (ص ٣٢-٤٨).

٧٢. انظر مثلاً: اللفظ الوحشي (ص ٦٦)، والمبتدل (ص ٧٣)، والكناية (ص ١٦٣)، ولزوم ما لا يلزم (ص ١٧٩) والاستدلال بالتعليل (ص ٢٧٧).

٧٣. انظر: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ١/٣٥-٣٦؛ وانظر كذلك: محمد كامل حسنين اللقي، ابن سنان الخفاجي وسر الفصاحة، مجلة الأزهر، ١٤/٨٦-٨٧.

بمنهجه هذا أحداً من البلاغيين والنقاد حتى أحسنهم رأياً فيه، وأشدّهم تأثراً به، ولا نعرف كتاباً ظهرت فيه تلك الفصول التي أضافها مرّة أخرى.

على أن هذه الثغرات، على خطرهما، عيوب تتصل بالجانب التطبيقي من منهج ابن سنان التعليمي، وقد كنا نود لو أنه أحسن في تطبيق هذا المنهج - إذاً لكان له فيما نقدّر شأن آخر في تاريخ الفكر البلاغي العربي. ولكننا في نهاية الأمر إنما نتناول هنا آراء ابن سنان في تعليم البلاغة، فنحن معنيون بالجانب النظري من ذلك المنهج. وقد رأينا أن لديه على المستوى النظري خطة تعليمية واضحة المعالم، متكاملة الجوانب إلى حدّ غير قليل، وفيها قدر مقبول من الشمول والاتساق، وتتضمّن بعد ذلك كله ما يمكن أن يكون ذا فائدة للفكر البلاغي المعاصر، وما يُنتفع به في وصل الحاضر والتجديد في البلاغة لا ينفي التراث البلاغي ورفضه، بل بالبناء عليه والاستناد إليه.

## المصادر والمراجع

### ١ - بالعربية:

الأمدي، أبو القاسم، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦١-١٩٦٥.

ابن الأثير، ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق أحمد الحوفي وبدوي طبانة، مكتبة نهضة مصر، القاهرة، ١٩٥٩-١٩٦٢.

أحمد الشايب، الأسلوب ط٥، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ت.

الأزهر الزناد، دروس في البلاغة العربية، نحو رؤية جديدة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء - بيروت والعربية للنشر، صفاقس/ تونس، ١٩٩٢.

أمين الخولي، "بل هي ثورات على علوم البلاغة"، مجلة الهلال، السنة ٤٤، الجزء الخامس (١٩٣٦).

فن القول، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٩٦.

جابر بن حيان، رسالة الحدود، حققها عبد الأمير الأعمش في كتابه: المصطلح الفلسفي عند العرب، مكتبة الفكر العربي، بغداد، ١٩٨٥.

الجاحظ أبو عثمان، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، ط٤، دار الفكر، بيروت، د.ت.

كتاب فصل ما بين العداوة والحسد، في رسائل الجاحظ، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، د.ت.

الجرجاني، القاضي أبو الحسن، الوساطة بين المتبني وخصومه، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، ص٣، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د.ت.

خليل كفوري، نحو بلاغة جديدة، منشورات نداف، بيروت، ١٩٩٤.

ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ط ٥، دار الجيل، بيروت، ١٩٨١.

زكي مبارك، النثر الفني في القرن الرابع، دار الجيل، بيروت، د.ت.

الزمخشري، جار الله، أساس البلاغة، دار المعرفة، بيروت، ١٩٨٢.

السبكي، بهاء الدين، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، شروح التلخيص، دار السرور، بيروت، د.ت.

السكاكي، أبو يعقوب، مفتاح العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٣.

ابن سنان الخفاجي، ديوان ابن سنان الخفاجي، تحقيق عبد الرزاق حسين، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٩٨٨.

سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٢.

ابن سينا، أبو علي، رسالة الحدود، حققها عبد الأمير الأسم في كتابه: المصطلح الفلسفي عند العرب، مكتبة الفكر العربي، بغداد، ١٩٨٥.

ابن شاعر الكتبي، فوات الوفيات والذيل عليها، إحسان عباس، صادر، بيروت، ١٩٧٣-١٩٧٤.

الصفدي، صلاح الدين، الوافي بالوفيات، ج ١٧، تحقيق دوروتيا كرافولسكي، دار النشر فرانز شتاينر، شتوتغارت، ١٩٩١.

عبد الرازق أبو زيد زايد، كتاب سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي، دراسة وتحليل، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٨٢.

عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، ط ٢، الدار العربية بين الناقدين الخالدين عبد القاهر الجرجاني وابن سنان الخفاجي، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٣.

عبد العاطي غريب علي علام، البلاغة العربية بين الناقدين الخالدين عبد القاهر الجرجاني وابن سنان الخفاجي، دار الجيل، بيروت، ١٩٩٣ م.

عبد الكريم الحيارى، "استقلال النص الأدبي عن مؤلفه في النقد العربي القديم"، مجلة أبحاث اليرموك، سلسلة الآداب واللغويات، المجلد ١٤، العدد الأول (١٩٩٦).

- العسكري، أبو هلال، كتاب الصناعتين: الكتابة والشعر، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ١٩٨٦.
- علي بن خلف الكاتب، مواد البيان، تحقيق حسين عبد اللطيف، منشورات جامعة الفاتح، طرابلس/ لبنان، ١٩٨٢.
- الغزالي، أبو حامد، رسالة الحدود، حققها عبد الأمير الأعمش في كتابه: المصطلح الفلسفي عند العرب، مكتبة الفكر العربي، بغداد، ١٩٨٥.
- الفيروزآبادي، مجد الدين، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٦.
- ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم، أدب الكاتب، تحقيق محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٢.
- قدامة بن جعفر، أبو الفرج، نقد الشعر، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة ومكتبة المثني، بغداد، ١٩٦٣.
- محمد علي رزق الخفاجي، علم الفصاحة العربية، دار المعارف، القاهرة، ١٩٧٩
- محمد كامل حسنين الفقي، "ابن سنان الخفاجي وسر الفصاحة"، مجلة الأزهر، المجلد ١٤، الجزء الثاني (١٣٦٢هـ).
- محمد مندور، النقد المنهجي عند العرب، دار نهضة مصر، القاهرة، د.ت.
- محمد أبو موسى، التصوير البياني، دراسة تحليلية لمسائل البيان، ط٣، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٣.
- مصطفى الصاوي الجويني، البلاغة العربية تأصيل وتجديد، منشأة المعارف، الإسكندرية، ١٩٨٥.
- وليد قصاب، التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة حتى نهاية القرن السادس الهجري، دار الثقافة، الدوحة، ١٩٨٥.
- ابن وهب الكاتب، إسحاق بن إبراهيم، البرهان في وجوه البيان، تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٦٧.

ب - بالإنجليزية:

( Pseudo) Cicero, Rhetorica Ad Herennium, translated from Latin by Harry Caplan, William Heinemann, London and Harvard University Press, Cambridge, Mass, 1964.

Dixon, Peter, Rhetoric, Methuen, London and New York, 1971.

Frye, Northrop, Anatomy of Criticism, Princeton University Press, Pinceton, 1973.

Rawlinson, D.H., The Practice of Criticism, Cambridge University Press, Cambridge, 1971.

Richards, I. A., Principles of Literary Criticism, Routledge and Kegan Paul, London and Henley, 1976.

Ruszkiewicz, John J., Well-Bound Words, A Rhetoric, Scott, Foresman and Company, Glenview, Illinois, 1981.

Scott-James, R. A., The Making of Literature, Mercury Books, London, 1963.

Winkler, Anthony C. and McCuen, Jo Ray, Rhetoric Made Plain, Harcourt Brace Jovanovich, New York, 1978.



## الوظائف النحوية بين المركزي والهامشي

### "مثل من وظيفة الحال"

د. لطيفة إبراهيم النجار

جامعة الإمارات العربية المتحدة

يعرض هذا البحث إلى جانب من التداخلات الدلالية النحوية، وإلى اشتراكها في بعض الأبعاد المعنوية التي لم يعتد بها النحاة العرب، وإنما أشاروا إليها إشارات عابرة فوضعت في نظريتهم موضع الهامشي.

ويتخذ البحث من وظيفة "الحال" مثلاً دالاً؛ إذ يبين، من خلال شواهد الاستعمال في العربية، أن هذه الوظيفة، في صور كثيرة منها، تتداخل دلاليًا مع وظائف نحوية أخرى: كالمفعول لأجله، والمفعول فيه، والمفعول معه، والصفة.

ويحاول البحث، في خاتمته، أن يفسرَ عدم احتفال النحاة بأشكال هذا التداخل بين الحال والوظائف النحوية المذكورة، فيبين أن النحاة قد قعدوا قواعدهم معتمدين ضوابط مختلفة، يعدّ المعنى واحداً منها، وهو ضابط مهم جداً في جوانب كثيرة من نظرية النحو العربي، إلا أن ضوابط أخرى كالبنية الصرفية والموقع النحوي تتقدم عليه أحياناً، وقد يكون ذلك لما تحقّقه هذه الضوابط لنظريتهم من تماسك وثبات.

وقد كان لإشارة موجزة في بحث بعنوان "الجملة في نظر النحاة العرب" للدكتور عبد القادر المهيري دور مهم في توجيه اهتمامي لإعادة النظر في باب الحال ليكون منطلقاً، فيما بعد، للبحث في التداخل الدلالي بين الوظائف النحوية في العربية: فقد ذكر د. المهيري في ختام بحثه أن جملة الحال تخرج، في بعض استعمالات العربية، عن الملحظ الدلالي الذي وضعه النحاة لهذه الوظيفة، فتعبر عن أبعاد دلالية أخرى لوظائف نحوية أخرى<sup>(1)</sup>. فأضافت هذه الإشارة المركزة شيئاً جديداً لما يستشعره المرء إزاء وظيفة الحال.

## منهج الدراسة:

قامت هذه الدراسة على استقصاء صورة المسألة في كتب النحو العربي، ثم على امتحانها في بعض النصوص العربية، وتجدر الإشارة، هنا، إلى أن اختيار النصوص كان انتقائياً؛ لأن الهدف الأول كان يتركز على التحقق من وجود دلالات أخرى لوظيفة الحال، وهذا مطلب قد يليه أي نص من نصوص العربية، فاستوعبت النصوص مجموعة من السور، وكتاب رياض الصالحين، ومجموعة من الشعر الجاهلي، والإسلامي والأموي، والعباسي من خلال كتاب: المفضليات، وبعض دواوين الشعر، ثم نصاً نثرياً حديثاً هو الأيام لطفه حسين، واكتفيت بهذه النصوص لأنني وجدت فيها من الأمثلة ما يغني، والمسألة، بعد ذلك، مفتوحة لمزيد من البحث والاستقصاء.

## الوظائف النحوية بين المركزي والهامشي: مثل من وظيفة الحال

يقوم النحو العربي على قوانين وأحكام عامة مستتبطة من كلام العرب، ومضبوطة بضوابط كلية اعتمدها النحاة في وصفهم العربية وتفيد قواعدها. وتشكل هذه الضوابط، مع الأسس المنهجية التي أتبعها النحاة في عملهم، عناصر نظرية نحوية متماسكة تتناسق معطياتها وتتوافق عناصرها.

وإذا جاز لنا أن نعرف النظرية بأنها "بناء عقلي يتوق إلى ربط أكبر عدد من الظواهر الملاحظة بقوانين خاصة تكون مجموعة متسقة يحكمها مبدأ عام هو مبدأ التفسير"<sup>(1)</sup> فإن هذا البناء سيحتاج، بلا ريب، إلى نوع من التحكم النظري يمنع شتات العناصر من التفتت من قوانينه الخاصة، ويحافظ على اتساقها وتناغمها في إطار تفسيري مخصوص، ولكنه، في الوقت نفسه، لا يسعى إلى تحقيق هذا الاتساق خارج الإطار التفسيري الذي ارتضاه، أو الرؤية المنهجية التي تبناها.

وقد سار النحاة على هذا النهج في وضعهم قواعد العربية وفي صوغهم عناصر نظرية النحو العربي، فحاولوا أن يبنوا هذه النظرية على أسس تفسيرية تتقبلها المعطيات المدروسة وتتدغم معها في توافق يحقق لنظريتهم ما ينشدونه لها من كفاية وتماسك، كما أنهم حاولوا، كذلك، أن يعتمدوا معايير ثابتة في وصف تراكيب العربية وفي تجريد قواعد الأبواب النحوية المختلفة.

والمتأمل في مصنفاتهم سيلحظ أنهم يفرّدون لكل وظيفة نحوية باباً يتضمّن تعريفاً يحدد للوظيفة شروطها الصرفية والإعرابية والموقعية ويعيّن أبعادها الدلالية، ثمّ يمتدّ الوصف ليشمل ما يطرأ على الوظيفة من تقديم وتأخير وحذف ضمن العلاقات التركيبية المختلفة التي تربطها بغيرها من الوظائف النحوية والتي تنظم جميعها في إطار نظرية العامل النحوي.

وتمثّل شروط الوظيفة النحوية المذكورة في الحدّ الصورة الأصلية لتلك الوظيفة التي قد تتغيّر وتبتعد عن الأصل بما يطرأ عليها من استثناءات متعدّدة يسمح بها الاستعمال، ويجوزها النحاة مستضيين بالأسس التفسيرية التي اعتمدها في وصفهم<sup>(٣)</sup>.

وتشكّل الأصول والاستثناءات على الأصول في الوظائف النحوية مفاتيح دالة توجّه الدارس أو المعرب إلى تحديد الإعراب الصحيح للمفردات المختلفة داخل التراكيب المتنوّعة، كما أنها تصبح، بعد ذلك، مرجّحات يؤخذ بها عند تعدد الاحتمالات الإعرابية للكلمة الواحدة<sup>(٤)</sup>.

وقد نَبّه النحاة إلى التداخل الدلالي بين الوظائف النحوية المختلفة مبينين المساحة الدلالية التي تشترك فيها ثمّ ما تفرد به كلّ وظيفة من خصوصية دلالية تعطّيها موقعاً مميّزاً على تلك المساحة المشتركة؛ فالحال تشبه الخبر في "كونها محكوماً بها في المعنى على صاحبها، وإن كان الحكم في الخبر قصدياً وفي الحال تبعياً. وتشبه النعت في إفهام الاتصاف بصفة، وإن كان قصدياً في النعت وتبعياً في الحال"<sup>(٥)</sup>. وتشبه التمييز في "أنّ كل واحد منهما يذكر للبيان ورفع الاشتراك"<sup>(٦)</sup> إلا أنها مبيّنة للهيئات والتمييز مبيّن للذوات<sup>(٧)</sup>. وعطف البيان يشبه النعت؛ لأنّه "يؤتى به لإيضاح ما يجري عليه وإزالة الاشتراك الكائن فيه، فهو من تمامه كما أنّ النعت من تمام المنعوت"<sup>(٨)</sup> إلا أنّ النعت يتضمّن حالاً من أحوال المنعوت يتميّر بها أمّا عطف البيان فهو تفسير الأول باسم آخر مرادف له.

والملاحظ أنّ اشتراك الوظائف النحوية في البعد الدلالي يتيح اشتراكاً آخر في الشرط الصرفي أو في التنوع البنيوي للوظيفة النحوية، وأنّ التمايز الدلالي من جهة أخرى يؤدي إلى تمايز في الشرط الصرفي والتنوع البنيوي، وقد يبدو

الأمر في ظاهره متناقضاً لكن شبكة العلاقات بين الوظائف بتنوعاتها المختلفة وبمستوياتها المرتبة ترتيباً يراعي الأولوية والتدرج تخلق نوعاً من الانسجام داخل بنية اللغة، بحيث يفرز التداخل والتمايز نتائج متوافقة نوعاً ما؛ فالحال، مثلاً، لشبهها بالخبر والنعته جاز فيها أن تتعدد، وأن تأتي جملة، إلا أن جملة الحال لا تكون إلا خبرية، خلافاً للخبر، وذلك "تغليباً لشبهه بالنعته في كونه قيماً مخصصاً على شبهه بالخبر في كونه محكوماً به؛ لأن الغرض من الإتيان بها تقييد عاملها"<sup>(٩)</sup> وكذلك "التمييز" فهو نكرة لأنه يشابه الحال في كونه يبين ما قبله، ولكنه جامد بخلاف الحال التي تأتي مشتقة في الغالب؛ لأن التمييز مبین للذوات والحال مبيّنة للهيئات.

فالاشتراك يَدْخِل الوظيفة في نقطة تماس مع وظائف أخرى، والتمايز يحفظ لها منطقة خاصة بها، وهكذا تدور الوظائف النحوية في فضاء التركيب بين معايير تقربها من نقطة ما، وأخرى تبعد عنها، وتنضبط المسألة، بعدئذ، بالموازنة بين المعايير المختلفة وترجيح بعضها على بعض، أو ترك المسألة مفتوحة لعدة احتمالات يقبلها التركيب.

وكما أن الاشتراك في الشروط الصرفية بين الوظائف النحوية يفتح باب الاحتمال والتعدد فإن عدم الاشتراك في ذلك يخلق هذا الباب تماماً وإن كان هناك تداخل دلالي واضح بين وظيفة وأخرى؛ فالاشتراك الدلالي وحده لا يسوغ القول بالتعدد والاحتمال، بل هو محتاج إلى ما يعضده من معايير شكلية كالإعراب والبنية الصرفية وبعض الشروط الموقعية والشكلية الأخرى<sup>(١٠)</sup>.

ويبدو هذا الأمر واضحاً في وظيفة الحال التي تتداخل دلاليًا مع وظائف شتى، ولكن هذا التداخل يتفاوت ويختلف؛ فإذا كان هناك ما يقويه من ضوابط نحوية وشكلية اعتمدها النحاة في تحليلهم انفتح الباب للقول بتعدد الإعراب وتداخل الوظائف، والتفت، حينئذ، إلى السياق لترجيح وجه على آخر، وهذا نهج معروف عند النحاة، ويتضح جداً في كتب إعراب القرآن وتفسيره، أما إذا كان التداخل بين الحال والوظائف النحوية الأخرى دلاليًا خالصاً لا يعضده اشتراك نحوي أو صرفي أو موقعي فإن هذه الأبعاد الدلالية المشتركة لا يلتفت إليها في

الغالب، ويبقى القول في إعراب الكلمة محصوراً في الحال لا يخرج عنها إلى غيرها، وهذا ما سنحاول توضيحه في هذا البحث.

### الأبعاد الدلالية للحال في حدود النحاة وتعريفاتهم:

تكاد حدود النحاة، على اختلاف أزمئتهم، تتفق في تحديد الملحظ الدلالي للحال في كونه هيئة الفاعل أو المفعول وقت وقوع الفعل، وواضح أن هذا الملحظ يشترك في تكوينه ثلاثة عناصر:

- الفعل (وهو العامل في الحال).
- الفاعل أو المفعول (وهو ما اصطلح على تسميته بصاحب الحال).
- الحال.

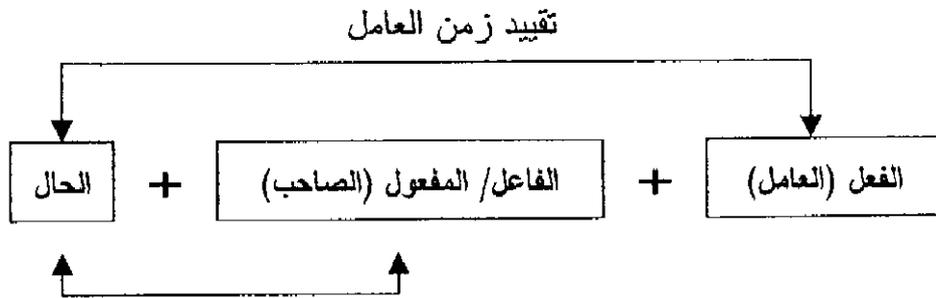
وعلى الرغم من أن سيبويه، وهو يعرض لوظيفة الحال، أتجه إلى ربطها مباشرة بالفعل في قوله: "هذا باب ما يعمل فيه الفعل فينتصب وهو حال وقع فيه الفعل وليس بمفعول كالثوب في قولك: كسوت الثوب، وفي قولك: كسوت زيدا الثوب، لأن الثوب ليس بحال وقع فيها الفعل ولكنه مفعول كالأول"<sup>(١١)</sup> فإن أغلب حدود النحاة وشروحهم التي توضح الملحظ الدلالي لهذه الوظيفة تتجه إلى التركيز على العلاقة بين الحال وصاحبها؛ كقول ابن السراج مثلاً: "والحال إنما هي هيئة الفاعل أو المفعول أو صفته في وقت ذلك الفعل المخبر به عنه"<sup>(١٢)</sup> وكقول ابن يعيش: "اعلم أن الحال وصف هيئة الفاعل أو المفعول وذلك نحو جساء زيد ضاحكاً، وأقبل محمد مسرعاً، وضربت عبدالله باكياً، ولقيت الأمير عادلاً"<sup>(١٣)</sup>. أما ربطهم الحال بالفعل (العامل) فيأتي في سياقات أخرى؛ كبيان ما يصلح أن يعمل في الحال من العوامل اللفظية والمعنوية، أو بعض التفسيرات التي توضح أبعاداً خاصة في هذه الوظيفة وأشكالاً بنيوية معينة تأتي عليه؛ كتعليقهم الذي مرّ قبل قليل لمنع مجيء جملة الحال إنشائية بقولهم إن الغرض من الحال تقييد عاملها"<sup>(١٤)</sup>.

وقد كان لهذا التوجه في ربط الحال بصاحبها في بيان الملحظ الدلالي الذي تؤديه هذه الوظيفة أن أصبح هذا الملحظ هو الأكثر وضوحاً وبروزاً، وهو

الضابط الذي يوجّه تحليل النّحاة وتفسيرهم لكثير من الأبعاد الدلالية التي تتشعب عنها هذه الوظيفة.

وربّما كان للتنوّعات الدلالية التي تأتي عليها هذه الوظيفة دور في تفتّن بعض النّحاة إلى أنّ وظيفة الحال تتعدّد صورها وتتوّع دلالاتها بحيث لا يستوعب الحدّ الموضوع لها كلّ هذه الصور والدلالات، ولذلك، مثلاً، خالف الرضويّ سابقين من النّحاة؛ فلم يرتض الحدّ الذي وضعوه للحال، ووجد أنّ كثيراً من الأشكال التركيبية للحال لا يصدق عليها حدّ النّحاة، وعليّ هذا نجده يقول: "فالأولى أن نقول: الحال على ضربين: منتقلة ومؤكدّة، ولكلّ منهما حدّ لاختلاف ماهيتهما، فحدّ المنتقلة: جزء كلام يتقيّد بوقت حصول مضمونة تعلق الحدث الذي في الكلام بالفاعل أو بالمفعول أو بما يجري مجراها... وحدّ المؤكدة: اسم غير حدث يجيء مقررّاً لمضمون جملة" (١٥).

ويبدو من حدود النّحاة وحديثهم في بيان الملحظ الدلالي العامّ لوظيفة أنّ هذا الملحظ يتراوح عندهم بين بعدين: الأوّل يربط الحال بصاحبها، والثاني يربط الحال بعاملها؛ فهي بيان لهيئة صاحب وتقيّد لزمن العامل، كما يتّضح ذلك من خلال الرسم التوضيحي التالي:



بيان هيئة صاحب

الأبعاد الدلالية للحال في صور الاستعمال العربي:

تأتي الحال في أكثر صور استعمالها متوافقة مع ما وضعه النّحاة من حدود وتقسيمات: فهي في أغلب استعمالاتها تبين هيئة صاحبها وقت وقوع

عاملها، والأمثلة على ذلك كثيرة مستفيضة تمتلئ بها مصنفات النحاة وترخر بها نصوص الاستعمال العربي على اختلاف زمنها.

وإذا كان هذا التوافق مع وصف النحاة وقواعدهم يمثل الكثرة الكاثرة من صور استعمال هذه الوظيفة فإنه يقع على هامش هذه الكثرة أمثلة أخرى تباين ما أصّله النحاة، وتنتج في دلالاتها إلى حدود وظائف نحوية أخرى فتتداخل معها وتعتبر عن أبعاد دلالية لا تقع ضمن الدائرة الدلالية لوظيفة الحال.

وقد تتبعته النحاة إلى بعض صور هذا التداخل، وأشاروا إليها إشارات عابرة، ولكنهم ظلّوا متمسكين بضمّ هذه الصور الاستعمالية المخصوصة إلى باب الحال، رغم ابتعادها دلاليّاً عما تعبّر عنه هذه الوظيفة عادة، وسنحاول، من خلال هذه الدراسة، أن نعرض لجوانب من هذا التداخل وأن نتلمّس الأسباب التي منعت النحاة من القول به.

#### أولاً- التداخل بين الحال والمفعول لأجله:

يجيز كثير من النحاة في باب المفعول لأجله أن يُعرب المصدر الواقع في هذه الوظيفة، في كثير من المواقع، حالاً؛ لأنّ المصدر، عندهم، يجوز أن يقع حالاً، وإن كان هذا خلاف الأصل<sup>(١٦)</sup>، كما قال في ذلك ابن مالك<sup>(١٧)</sup>:

ومصدر منكر حالاً يقع بكثرة كبغثة زيد طلع

وعليه، فقد جوز النحاة، مثلاً، وجهين في إعراب "عبثاً" من قوله تعالى<sup>(١٨)</sup> :

﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنْكُمْ لَا تُرْجَعُونَ ﴾

فقالوا فيها: يحتتمل أن تكون مفعولاً لأجله ويحتتمل أن تكون حالاً، فهذا الاحتمال مقبول؛ لأنّ في الشروط الصرفية للوظيفتين ما يبرره؛ فالمفعول لأجله لا يكون إلا مصدراً، والحال يجوز فيها ذلك أيضاً، فهذا التجويز فتح قناة تواصل بين الحال ووظائف نحوية أخرى، منها المفعول لأجله، مما سمح بتعدد الاحتمالات الإعرابية في التركيب الواحد<sup>(١٩)</sup>.

فالنحاة قالوا عن المفعول لأجله الذي يلتقي مع الحال في البعد الدلالي في سياق ما: حالاً؛ لأنّ الشرط الصرفي للحال يسمح بذلك.

ولكن هل قالوا عن الحال التي تلتقي مع المفعول لأجله في البعد الدلالي في سياق ما: مفعولاً لأجله؟ هذا الاحتمال غير وارد عندهم في الحقيقة؛ لأن الشرط الصرفي لوظيفة المفعول لأجله لا يسمح بهذا الاحتمال؛ فنحن عندما نقول: جئتكَ رغبةً في الاستفادة من علمك.

نسمح بإعراب "رغبة" مفعولاً لأجله، أو حالاً. ولكن إذا قلنا: جئتكَ راغباً في الاستفادة من علمك.

لم يبق في إعراب "راغباً" إلا وجه واحد؛ فهي حال، ولا احتمال آخر فيها، على الرغم من أن الكلمة "راغباً" ما زالت محتفظة بالبعد الدلالي نفسه، فملحظ العلة واضح فيها، وإن كانت صيغة المشتق "اسم الفاعل" قد أضفت على المعنى لوناً خاصاً وبعداً جديداً فإنها لم تسلب التركيب المعنى المستفاد من صيغة المصدر. ولعل هذا يتضح إذا وضعنا هذا المشتق بإزاء مشتق آخر لا يتضمن معنى العلة، وذلك كما في الجملتين التاليتين:

- جئتكَ راغباً.

- جئتكَ ماشياً.

إذ يتبين من المثالين السابقين أن ليس كل مشتق، في وظيفة الحال، يبين هيئة صاحبه، وأن بعض المشتقات تتضمن أبعاداً دلالية أخرى، كبيان العلة، وهذا يعتمد، في جانب كبير منه على الفروق في المعاني المعجمية للمشتقات؛ فـ"راغباً" ينتمي إلى مجموعة الأفعال التي يسميها النحاة قلبية، والتي يقولون في تعريفها: "إنها أفعال غير مؤثرة ولا واصلة منك إلى غيرك، وإنما هي أمور تقع في النفس"<sup>(٢٠)</sup>، أما "ماشياً" فينتمي إلى مجموعة أخرى تعرف بالأفعال العلاجية، وهي التي يناسبها أن تكون مبينة للهيئات، أما سابقتها فإن بيان الهيئة فيها يأتي ضمناً مستنتجاً<sup>(٢١)</sup>. وقد يتضح كيف يتحمل النوع الأول من المشتقات ملحظ العلة، أحياناً، كما في الأمثلة الآتية:

- لا ترزني مزاولاً لاخترباري بعد هذي البلوى فتنكر مسي  
(البحثري، الديوان، ١١٥٣/٢).

- أسارك اللّحظ مستحيباً وأزجر في الخيل مهري سراراً  
(المتنبي، الديوان ١٩٧/٢).

- وهم يصدونه عن ذلك مشفقين عليه. (الأيام، طه حسين ١١٢/٣).

وهكذا يبدو أنّ التعميم الذي نجده في الشرط الصرفي للوظيفة النحوية قد يُغيب بعض الفروق الدلالية الدقيقة بين مجموعة الألفاظ التي يتحقق فيها ذلك الشرط.

وقد يبدو التداخل الدلالي بين الحال والمفعول لأجله، إذا جاءت الحال وصفاً مشتقاً، ضعيفاً يمكن التجاوز عنه، خاصة إذا كانت الأمثلة عليه قليلة قابلة للتأويل الذي يردّها إلى دلالتها الأصلية وهي بيان هيئة صاحبها. ولكنّ هذا التداخل يقوى ويشدّد عندما يعبر عن وظيفة الحال بجملة فعلية مضارعية؛ إذ يأتي ملحظ التعليل في مقدّمة الأبعاد الدلالية التي يعبر عنها بالجملة الفعلية المضارعية، لكنّ هذه الجملة تعرب حالاً، ولا ينظر في احتمال كونها تعليلاً؛ لأنّ التداخل الدلالي لا يكفي وحده، فلا بدّ من اشتراك في الشرط الصرفي أو التنوع البنوي للوظيفة، والمفعول لأجله لا يأتي جملة عند النحاة؛ وهكذا يبدو أنّ تمسك النحاة بكون المفعول لأجله لا يكون إلا مصدرأ جعلهم لا يتنبّهون إلى ملحظ العلة في كثير من التراكيب التي عبّر فيها عن هذا الملحظ بالجملة، ففي مثل هذه السياقات تعرب الجملة حالاً بغض النظر عن البعد الدلالي الذي يفهم منها.

وعليه فإنّ ما تحته خط فيما يأتي يعرب عند النحاة أحوالاً، من دون أن ينصّ على ما يحتمله اللفظ من دلالة تفسيرية معلّلة<sup>(٣٢)</sup> :

- (إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبئليه) الإنسان/٢.

- "هاجرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نلتمس وجه الله تعالى"  
رياض الصالحين/٢١٨.

- "بعثنا رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وأمّر علينا أبا عبيدة، رضي الله عنه،  
نتلقى عيراً لقريش" رياض الصالحين/٢٣٢.

- "... وتفرّق

- لناس يستظلون بالشجر..." رياض الصالحين/٥١.

- "... كان أبي، يزيدُ، أخرج دنائير يَنْصَتِقُ بها..." رياض الصالحين/٦٠.
- قال بشامة بن عمرو: (المفضليات/٥٧).
- بعين كعين مقيض القداح إذا ما أراغ يريد الحويلا
- قال المزرد: (المفضليات/١٠١)
- فطوّف في أصحابه يستثيبهم فأب وقد أكدت عليه المسائل
- قال المرقش الأكبر: (المفضليات/٢٢٦)
- إذا علم خلفته يهتدي به بدا علم في الآل أغبر طامس
- قال عمر بن أبي ربيعة: (الديوان/٢٤)
- خرجت غداة النفر أعترض الدمى فلم أر أحلى منك في العين والقلب
- قال البحتري: (الديوان/١٩)
- حَضَرْتُ رحلي الهموم فوجهـ ستُ إلى أبيض المدائن عُنسي
- أُتسلي عن الحظوظ وآسى لمحل من آل ساسان درس
- حتى إذا تمّ له من تهيئة الطعام ما أراد خلى بينه وبين هذه النار تنضجه على مهل. (الأيام، طه حسين ٤١/٢).
- وأقبل الفتى ذات يوم إلى القاهرة يتهيأ للسفر البعيد. (الأيام، ٧٠/٣).
- وأبرقا إلى الجامعة وإلى من يعرفان من الصديق يتعجلان هذا الإذن. (الأيام ٨٩/٣).
- وهكذا يمثل الاشتراك في الشرط الصرفي قناة تواصل مفتوحة تتداخل فيها الوظائف وتتعدد فيها أوجه التأويل الدلالي، وفي المقابل يمثل عدم الاشتراك في الشرط الصرفي حاجزاً وهمياً يغيب بعض الأبعاد الدلالية التي ينتجها التركيب أحياناً ويوجه إليها سياق الكلام<sup>(٢٢)</sup>.

وإذا تأملنا نصوص النحاة وجدنا أنهم كانوا، في الغالب، يربطون بين الملحظ الدلالي والشرط الصرفي للوظيفة النحوية<sup>(٢٤)</sup>؛ فالمفعول لأجله لا يكون إلا مصدراً "لأنه علة وسبب لوقوع الفعل وداع له، والداعي إنما يكون حدثاً لا عيناً"<sup>(٢٥)</sup>.

فهم في تفسيرهم يضعون المصدر في مقابل اسم العين الذي ينتفي وقوعه علة انتفاء واضحاً، ولكنهم لا يضعون المصدر في مقابل المشتق أو الفعل، على الرغم من أنهم يصرحون بأنّ "الفعل إما أن يجتذب به فعل آخر؛ كقولك: احتملتك لاستدامة مودتك وزرتك لابتغاء معروفك، فاستدامة المودة معنى يجذب بالاحتمال وابتغاء الرزق معنى يجذب بالزيارة، وإما أن يدفع بالفعل الأول معنى حاصل؛ كقولك: فعلت هذا حذر شرك، فالحذر معنى حاصل يتوصل بما قبله من الفعل إلى دفعه، والمصادر معان تحدث وتتقضى فلذلك كانت علة بخلاف العين الثابتة"<sup>(٢٦)</sup>.

وواضح أنّ المقياس الذي وضعوه لمجيء المفعول لأجله مصدراً يصدق على الفعل المضارع؛ فملحظ العلة غير منتف فيه، حتى إننا لو قلنا: احتملتك أستديم مودتك، وزرتك أبتغي معروفك، لبقى معنى العلة مفهوماً<sup>(٢٧)</sup>؛ لأنّ الأفعال، أيضاً، معان تحدث وتتقضى كالمصادر تماماً<sup>(٢٨)</sup>.

ونحن إذا قلّنا المسألة ونظرنا فيها من بعد آخر وجدنا أنّ التعبير عن العلة بالفعل لا يمتنع؛ فقد علّل النحاة جواز مجيء الحال جملة بقولهم "لأنّ مضمون الحال قيد عاملها، ويصحّ أن يكون القيد مضمون الجملة كما يكون مضمون المفرد"<sup>(٢٩)</sup>. وبالقياس يمكننا القول إنّ مضمون المفعول لأجله علة عاملة، ويصحّ أن تكون العلة مضمون الجملة كما تكون مضمون المصدر، خاصة إذا علمنا أنّ الفعل يتضمّن، دلاليّاً، معنى الحدث.

وإذا كان المفتاح المبدئي الذي وضعه النحاة للتمييز بين الحال والمفعول لأجله هو أنّ الأولى تقع في جواب: كيف فعلت؟ والثاني يقع في جواب: لم فعلت؟ فإنّ هذا الضابط قد يشير أحياناً إلى أنّ بعض الأبنية يصح فيها أن تقع جواباً للسؤالين، وقد يتقدّم وقوعها جواباً عن العلة، أحياناً، على وقوعها جواباً عن الهيئة، ويتّضح ذلك إذا أعدنا النظر في الأمثلة المذكورة قبل.

بل إن بعض الأبنية ترد مباشرة في الاستعمال العربي جواباً عن السبب والعلّة؛ فقد ورد في الحديث الشريف قوله: "... خرج معاوية رضي الله عنه على حلقة في المسجد فقال: ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله قال: الله ما أجلسكم إلا ذلك؟ قالوا ما أجلسنا إلا ذلك" رياض الصالحين/٥٠٨.

وفي حديث آخر: "عن أبي طلحة زيد بن سهل رضي الله عنه قال: كنا قعوداً بالأفنية نتحدّث فيها، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقام علينا فقال: ما لكم ولمجالس الصعدات؟ فقلنا: إنما قعدنا لغير ما بأس، قعدنا نتذاكر ونتحدّث ...". رياض الصالحين/٥٧٩.

فالجملتان الفعليتان (نذكر/ نتذاكر) تعربان حالاً بناء على القاعدة النحويّة التي تنص على أنّ الجمل واشباه الجمل بعد المعارف أحوال وبعد النكرات صفات، على الرغم من وقوعها في سياق الإجابة عن العلة والسبب.

ويزيد المسألة وضوحاً أنّ النحاة وضعوا شرطاً لانتصاب المصدر على أنّه مفعول لأجله؛ فلا يعرب المصدر مفعولاً لأجله إلا إذا صحّ تقديره باللام: "لأنّ اللام معناها العلة والغرض"<sup>(٢٠)</sup>، ونحن إذا أعدنا النظر في الأمثلة السابقة وجدنا أنّ تقدير اللام فيها محتمل ولا يناقض دلالة التركيب، فلو قلنا:

- جلسنا لنذكر الله/ قعدنا لنتذاكر. وقبل ذلك:
- إذا علم خلفته ليهتدى به.
- تفرّق الناس ليستظلوا بالشجر.
- أخرج دنانير ليتصدّق بها.
- فطوّف في أصحابه ليستثيهم.
- خرجت غداة نفر لأعترض الدمى.
- فوجّهت إلى أبيض المدائن عنسي لأتسلى عن الحظوظ.
- خلّى بينه وبين هذه النار لتتضجّه على مهل...
- وأقبل الفتى إلى القاهرة ليتهيأ للسفر البعيد...

- وأبسرقا إلى الجامعة... ليتعجلاً هذا الإذن... لصحّ التقدير واستقام المعنى<sup>(٣١)</sup>.

بل إننا لو عكسنا الأمر فجردنا الفعل المضارع من هذه اللام في أي سياق يرد الفعل فيه مقروناً بها لوجدنا أنّ دلالة التعليل تبقى، أحياناً، مفهومة واضحة، إلا أنّ اختلاف الشكل البيوي لعناصره يوجّه القول فيه توجيهاً آخر. فلو تأملنا، مثلاً، العبارة الآتية:

- وربما اشتملت بعض هذه الرسائل على زهرة قد جففت وأرسلت إليه ليحملها كما تحمل التمام لتذكره إن عرض له النسيان. (الأيام، ٣/٩٠).

لوجدنا أنّ إسقاط اللام الدالة على التعليل في قوله: "ليحملها" و"لتذكره" لا يجرّد التركيب من دلالة التعليل تماماً، فلو قلنا:

- وربما اشتملت بعض هذه الرسائل على زهرة قد جففت وأرسلت إليه، يحملها كما تحمل التمام، وتذكره إن عرض له النسيان.

لبقي هذا المعنى مفهوماً مراداً، فإن كان وجود اللام يدفع أي احتمال دلاليّ آخر، ويجرد التركيب لدلالة التعليل وحدها، فإنّ غياب هذه اللام لا يعني، بأي حال، غياب دلالة التعليل تماماً.

وعليه، فإنّ التداخل الدلالي بين الوظيفتين، في مثل هذه التراكيب، واضح جداً، ولكنه مع ذلك، غائب في مصنفات النحاة؛ ذلك أنّ ضوابط الوصف والتعديد عندهم تتعدّد ولا تقتصر على البعد الدلالي وحده، وهذا ما سنوضحه في خاتمة البحث.

ثانياً- التداخل الدلالي بين الحال والمفعول فيه أو بين الحال والمفعول معه:

إذا كان النحاة لم يشيروا إلى التداخل الدلالي بين الحال والمفعول لأجله فإنهم استشعروا تداخلاً آخر وأشاروا إليه وعرضوا للإشكال فيه؛ فقد نصّوا على الشبه بين الحال والمفعول فيه "وخصوصاً ظرف الزمان؛ لأنّ الحال لا تبقى بل تنتقل إلى حال أخرى، كما أنّ الزمان منقضى لا يبقى ويخلفه غيره"<sup>(٣٢)</sup>.

وقد أشار سيبويه، منذ البدء، إلى هذا التداخل وهو يفسّر قوله تعالى: (يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهمتهم أنفسهم) فقال فيه: (فإنما وجهه على أنه يغشى

طائفة منكم وطائفة في هذه الحال، كأنه قال: إذ طائفة في هذه الحال، فإنما جعله وقتاً ولم يرد أن يجعلها واو عطف، وإنما هي واو الابتداء<sup>(٣٣)</sup>، ويبدو من تفسير سيبويه أنه استشعر الدلالة الزمنية التي تتحملها أمثال هذه الجمل فصرح بها، ولكن متأخري النحاة فسروا قوله تفسيراً يجرّد الجملة ممّا استشعره وأشار إليه، ويقصرها على دلالة الحال التي تعارفوا عليها<sup>(٣٤)</sup>.

ولشدة الارتباط بين واو الحال والدلالة على الزمان أوردها ابن منظور في اللسان مقسماً إياها قسمين على الرغم من عدم وجود فارق دلالي بينهما؛ إذ يقول: "ومنها واوات الحال، كقولك: أتيتك والشمس طالعة، أي في حال طلوعها، قال الله تعالى (إذ نادى وهو مكظوم)، ومنها واو الوقت كقولك: اعمل وأنت صحيح، أي في وقت صحتك والآن وأنت فارغ، فهذه واو الوقت وهي قريبة من واو الحال..."<sup>(٣٥)</sup>.

كما نصّ عليها ابن السراج، وهو يتحدّث عن مواضع كسر همزة (إن)، فقال: "وإذا ذكرت: إن بعد واو الوقت كسرت، لأنه موضع ابتداء، نحو قولك: رأيت شاباً وإنه يومئذ يفخر"<sup>(٣٦)</sup>.

ولعل ابن هشام يكون أول من وضع هذا التداخل الدلالي بين هاتين الوظيفتين موضع الإشكال الذي يسأل عنه؛ فقد قال في المغني: "ومما يشكل قولهم في نحو" جاء زيد والشمس طالعة" إن الجملة الاسمية حال، مع أنها لا تنحل إلى مفرد، ولا تبيّن هيئة فاعل ولا مفعول، ولا هي حال مؤكدة، فقال ابن جنّي: تأويلها جاء زيد طالعة الشمس عند مجيئه، يعني: فهي كالحال والنعت وقال ابن عمرون: هي مؤولة بقولك مبكراً ونحوه، وقال صدر الأفاضل تلميذ الرمخشري: إنما الجملة مفعول معه، وأثبت مجيء المفعول معه جملة، وقال الرمخشري في تفسير قوله تعالى (والبحرُ يمده من بعده سبعة أبحر) في قراءة من رفع البحر، هو كقوله: وقد أغتدي والطير في وكناتها.. و"جئت والجيش مصطفى" ونحوهما من الأحوال التي حكمها حكم الظروف، فلذلك عريت من ضمير ذي الحال"<sup>(٣٧)</sup>.

والشواهد على مثل هذه الأحوال كثيرة جداً، نورد منها هذه الأمثلة لتبرز المسألة في بعد واضح جلي:

- قال عمرو بن الأهتم: (المفضليات/١٢٦):  
 ومُسْتَبِيحٌ بعد الهدوء دعوته وقد حان من نجم الشتاء خفوق
- قال عبدة بين الطبيب: (المفضليات/١٤٣):  
 وقد غدوت وقرن الشمس منفتق ودونه من سواد الليل تجليل
- قال ربيعة بن مقروم: (المفضليات/١٨٩):  
 فأوردها ولون الليل داج وما لغبا وفي الفجر انصداع
- قال متمم بن نويرة: (المفضليات/٢٧١):  
 لذكرى حبيب بعد هده ذكرته وقد حان من تالي النجوم طلوع
- قال علقمة بن عبدة: (المفضليات/٣٩٥):  
 فقاتلتهم حتى اتقوك بكبشهم وقد حان من شمس النهار غروب
- قال أبو ذؤيب: (المفضليات/٤٢٤):

فوردن والعيوق مقعد رابئ الـ ضرباء فوق النظم لا يتلّع

فلا شك أن الدلالة على الزمان في الجمل الحالية السابقة واضحة جداً؛ إذ تنعقد علاقة الإسناد فيها بين ركنين يحددان زمان الحدث، ولكن لم يقل أحد من النحاة في إعرابها إنها في محل نصب مفعول فيه؛ لأن النحاة مجمعون على أن المفعول فيه لا يقع جملة؛ فهو في عرفهم: "ما ضمّن معنى" في "باطراد، من اسم وقت، أو اسم مكان، أو اسم عرضت دلالاته على أحدهما، أو جار مجراه" (٣٨)، ولكنهم نصتوا في مثل الجمل الحالية السابقة على أنه يجوز إخلؤها "عن الراجع إلى ذي الحال إجراء لها مجرى الظرف لانعقاد الشبه بين الحال وبينه" (٣٩).

وواضح أن أمثال هذه الجمل العاربية من ضمير ذي الحال ترتبط، دلاليًا، بالعامل فيها، وليس لها أي ارتباط دلالي بالصاحب، وهي بذلك تبتعد عن

الصور الاستعمالية المألوفة لوظيفة الحال التي تتضمن بعدين دلاليين، كما أشرنا إلى ذلك سابقاً، هما: بيان هيئة صاحب، وتقييد زمن العامل؛ فهذه الجمل تقتصر دلالياً على البعد الثاني فقط مما يخلصها للدلالة على الزمان.

ولا تقتصر هذه الجملة الحالية الخالية من ضمير ذي الحال على بيان الزمان؛ إذ قد تأتي في استعمالات أخرى لتحوّل انتباه السامع إلى حدث آخر تقع عناصره في الوقت الذي يقع فيه مضمون العامل، وهذا النوع من الجمل يوسع إطار الصورة ويوزع التركيز على حدثين أو أحداث تتزامن جميعها في اللحظة نفسها، ولعل أمثال هذه الجمل هي التي يصدق عليها مفهوم المعية الذي قال به بعض النحاة؛ إذ إنّ التخصيص على المعية عند النحاة يعني " مصاحبة ما بعد الواو لما قبلها في وقت واحد"<sup>(٤٠)</sup>. وهذا البعد الدلالي (المصاحبة الزمنية) متحقق في تراكيب كثيرة في العربية، إلا أنه، وحده، لا يكفي، عند النحاة، للقول بوقوع الجملة مفعولاً معه، ومن الأمثلة على ذلك:

- "كنست جالساً مع النبي، صلى الله عليه وسلم، ورجلان يستبان..."  
رياض الصالحين/٣٥.

- قال المتنبي: (الديوان ١/١٨٩)

ولكنه ولّى وللطعن سورةً إذا ذكرتها نفسه لمس الجنبا

- قال المتنبي: (الديوان ٢/٣٤٣)

وما حمدتك في هول ثبت له حتى بلوتك والأبطال تمتصع

- قال سويد بن أبي كاهل الشكري: (المفضليات/٢٠)

وارتمينا والأعادي شهّد بنبال ذات سم قد نقع

- قال بشر بن أبي خازم: (المفضليات/٣٤٧)

نعلو القوانس بالسيوف ونعتري والخيل مشعلة النحور من الدم

- "قدم زيد بن حارثة المدينة ورسول الله، صلى الله عليه وسلم، في بيتي"  
رياض الصالحين/٣٥٤.

- "وأقبل الشاعر ينشدهم وصاحبنا جالس يسمع" (الأيام، طه حسين ١/٢٥).

وواضح أنّ المعنى المستفاد من علاقة الإسناد في هذه المجموعة يختلف عنه في المجموعة السابقة؛ إذ لا تتعقد العلاقة بين ركني الإسناد هنا لتحديد زمان العامل، ولكنّها تبين أحداثاً يقترن وقوعها بوقوع العامل، ولذلك كانت الدلالة على الزمان في هذه المجموعة ضمنية.

ويلاحظ، أيضاً، أنّ هذه المجموعة خالية من أيّ رابط يربطها، دلاليّاً، بالصاحب، فهي لا تدل على الزمان مباشرة، ولا ترتبط بالصاحب مطلقاً. بل ترتبط بالعامل على وجه مخصوص يقربها من دلالات المفعول معه؛ لأنّها تبين أنّ وقوع الحدث فيها مترامن مع وقوع الحدث في العامل، وهذا ما تدل عليه واو المعية؛ إذ إنّها "للتصيص على مصاحبة ما بعدها لمعمول العامل السابق، أي مقارنته له في الزمان سواء اشتركا في الحكم كجئت وزيداً أولاً، كاستوى الماء والخشبة"<sup>(١)</sup>، ولعلّ أمثال هذه الجمل هي التي دفعت الرضيّ، شارح الكافية، إلى وضع حدّ آخر للحال، كما أشرنا قبل هذا، يشمل ما تتضمنه من دلالات.

ويبدو أنّ الدلالات المستفادة من علاقة الإسناد في مثل هذه الجمل الحالية تتنوع وتتغير حسب ركني الإسناد وطبيعة العلاقة بينهما؛ فانعقاد علاقة الإسناد بين ركنين ليس ضمير صاحب الحال واحداً منهما هو الذي يسمح بتحمل هذه الجملة دلالة جديدة مستقلة غير مقيدة، إلا زمنياً، بعناصر الجملة التي تتضمن العامل والصاحب، لأن كل حدث في مثل هذه التراكيب يدور حول محور مستقل، بخلاف الجمل الحالية التي يكون أحد ركني الإسناد فيها ضمير ذي الحال؛ فهذه تتوحّد فيها الصورة، إن تعددت الأحداث، ولكنّ هذه الاختلاف لا يطال الدلالة على الزمان فيها؛ فهي باقية مفهومة ضمناً، ويتضح ذلك في الأمثلة الآتية:

- "كنت وأنا في الجاهلية أظنّ أنّ الناس على ضلالة وأنهم ليسوا على شيء وهم يعبدون الأوثان" رياض الصالحين/٢٠٢.
  - "وإذا أراد هلكة أمة عذبها ونبيها حيّ، فأهلكها وهو حيّ ينظر، فأقر عينه بهلاكها" رياض الصالحين/٢٠٤.
  - "...أنّ تصدّق وأنت صحيح صحيح تخشى الفقر وتأمل الغني..."  
رياض الصالحين/٥٧.
  - قال المتنبّي: (الديوان/٦٧/٢)
- سعوا للمعالي وهم صبية  
وسادوا وجادوا وهم في المهود

- "إذا نَعَسَ أَحَدُكُمْ وَهُوَ يَصَلِّي فَلْيُرْقِدْ حَتَّى يَذْهَبَ عَنْهُ النَّوْمُ، فَإِنَّهُ إِذَا صَلَّى وَهُوَ نَاعَسٌ" رياض الصالحين/٧٩.

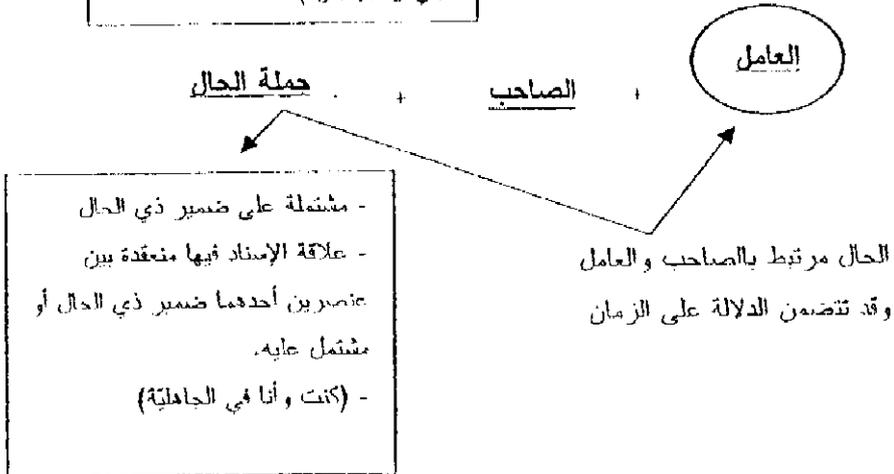
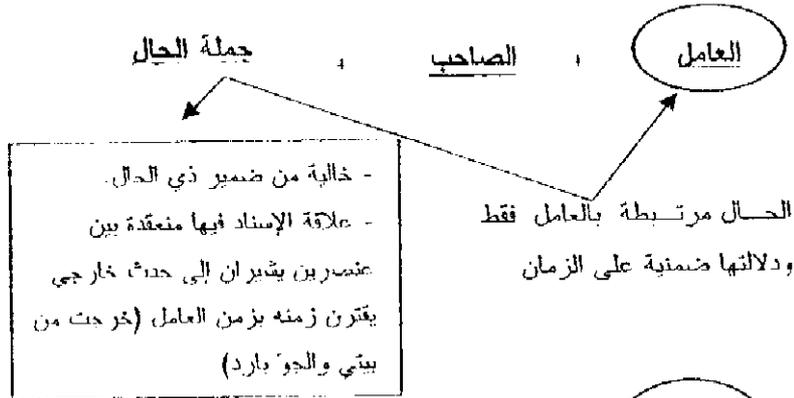
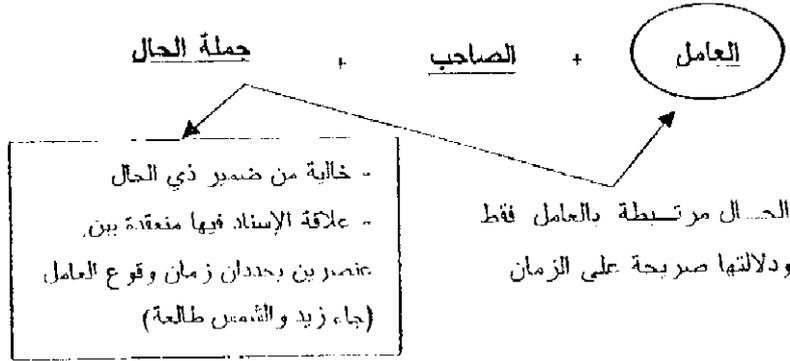
ويبدو أنّ الفرق بين هذه المجموعة وسابقتها أنّ الأولى قد خلصت للدلالة على الزمان تماماً، وأنّ الثانية تشير إلى حدث مستقل يتزامن مع مضمون العامل، أما هذه فكأنها يتنازعها معنيان؛ معنى الزمان ومعنى الحال (بيان الهيئة)، بل إننا إذا تأملنا العبارات السابقة وجدنا فروقاً دلالية دقيقة بينها؛ فبعضها يعلو فيه الإحساس بالدلالة الزمنية (وأنا في الجاهلية، ونبينا حي، وهم صبية، وهم في المهود)، ويخفت فيها بيان الحال، حتى كأنه ظل باهت يلوح وراء نصاعة معنى الزمان، وبعضها الآخر يتقدّم فيها ملحظ بيان الهيئة (وهو يصلي، وهو ناعس) حتى إنه ليزاحم معنى الزمان، وقد يتقدّمه بدرجات. بل إنه يصعب أحياناً الحكم لأحد الملحظين بالتقدم على الآخر (وأنت صحيح) (٤٢).

ولعلّ التمايز يكون أوضح وأجلى إذا وضعت العبارات السابقة بإزاء هذه العبارات:

- "قَانَطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَيَّ وَجْهِي... " رياض الصالحين/٢٧٧.
  - "لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَأَنْ تَكَلَّمَ أَخَاكَ وَأَنْتَ مُنْبَسِطٌ إِلَيْهِ وَجْهَكَ" رياض الصالحين/٣٢٩.
  - "مَرَّ بِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا جَالِسٌ هَكَذَا.." رياض الصالحين/٣٣٧.
  - "وَمَنْ اسْتَمَعَ إِلَى حَدِيثِ قَوْمٍ وَهُمْ لَهُ كَارِهُونَ... " رياض الصالحين/٥٤٥.
- فهذه ينعدم فيها معنى الزمان أو يكاد، ويبرز فيها بيان الهيئة بروزاً قوياً لا يكاد يلتفت فيه إلى معنى آخر غيره (٤٣).
- ويبدو أنّ هذه الفروق الدلالية بين المجموعتين السابقتين تعتمد، بالدرجة الأولى، على دلالات الخبر في الجملة الحالية؛ تأمل، مثلاً الفرق بين:

- دلالية زمنية
- وأنا في الجاهلية.
  - ونبيها حي.
  - وأنت صحيح.
  - وأنت منسبط إليه وجهك.
  - وأنا جالس هكذا.
- دلالة حالية

ونستطيع أن نوضح ما سبق بيانه من خلال الرسوم التوضيحية الآتية:



والذي يتضح من العرض السابق أنّ الحال، إذا كانت جملة، تتعدّد دلالاتها وتتنوّع معانيها ممّا يجعلها، في أحيان كثيرة، تبتعد عن الأصل الدلالي الموضوع لها وتقترب من تخوم وظائف نحويّة أخرى فتعبّر عمّا تعبّر عنه تلك الوظائف، ولكنّ الشروط البنيويّة للوظائف النحويّة تقف حاجزاً أمام تبصّر الفروق الدلاليّة بين هذه الجمل والتفطن إلى الأبعاد الدلاليّة الأخرى التي يتضمّنها السياق الواقعة فيه.

### ثالثاً: التداخل الدلالي بين الحال والصفة:

يبدو أنّ السياق الذي ترد فيه جملة الحال يؤثر تأثيراً قوياً في توجيه معنى هذه الجملة وفي تقريبها من أبعاد دلاليّة لوظائف نحويّة أخرى؛ فإذا كان الفرق الحاسم بين الحال والصفة أنّ الحال طارئة تزول بزوال العامل وأنّ الصفة لا تتقيّد بالعامل بل هي تحلية للموصوف وتبين له أنّه المعروف بهذه الصفة<sup>(٤٤)</sup>، فهي "لفظ يتبع الموصوف في إعرابه تحلية وتخصيصاً له بذكر معنى في الموصوف أو في شيء من سببه، وذلك المعنى عرض للذات لازم له"<sup>(٤٥)</sup>، فإنّ جملة الحال تأتي، في بعض السياقات، قريبة من الصفة متداخلة معها دلاليّاً؛ إذ يبرز فيها ملحظ التحلية والتبيين الذي نجده في وظيفة الصفة، فلا تكون طارئة ولا يتعلّق وجودها بوجود العامل فيها، وهي في مثل هذه السياقات تختلف عن الحال اللازمة التي ذكرها النحاة وعدّوا أقسامها. وذلك كما في الأمثلة الآتية:

- (يُوسِفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَيَّ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ) يوسف/٨.
- (وَعَسَى أَنْ تَكْسِرَهُمْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ) <sup>(٤٦)</sup> البقرة/٢١٦.
- "أما إنه قد صدقك وهو كذوب..." رياض الصالحين/٣٩٤.

- قال المتنبي: (الديوان ١/٣٦١)

أبالخمرات توعدنا النصارى ونحن نجومها وهي البروج

- "الذي يقرأ القرآن وهو ماهر به مع السفرة الكرام البررة"  
رياض الصالحين/٣٨٧.

والملاحظ على الأحوال السابقة أنها، جميعها، جمل اسمية مسبوقة بالواو،  
وخبرها اسم، وهو مما يرجح ملحظ الثبات والتحلية فيها، كما يبرز في الأمثلة  
الأربعة الأولى ملحظ آخر، هو ما اصطلح د. عبد القادر المهيري على تسميته  
بالمقابلة<sup>(٤٧)</sup>، وهو ما نستطيع أن نوضّحه بإضافة عبارة "على الرغم" إلى التركيب.

وواضح، عند اعتماد المعنى وحده، أن أمثال هذه الجمل تفارق الأبعاد  
الدلالية العامة لوظيفة الحال، التي سبق أن وضّحناها آنفاً، وتستقل بأبعادها  
الدلالية الخاصة التي تضعها على تخوم قريبة جداً من وظيفة الصفة، لولا أن  
القيود والضوابط الشكلية الأخرى التي تنص على أن الجمل بعد المعارف أحوال  
تجذبها ثانية إلى حدود وظيفة الحال في العربية.

#### خاتمة البحث

لعلّه يجدر بنا، الآن، أن نحاول تفسير عدم احتفال النحاة بهذا التداخل بين  
الحال والوظائف النحوية المذكورة آنفاً، على الرغم من استشعارهم بعض  
صوره والتفاتهم إلى أشكال مختلفة منه، فما الأسباب التي منعت النحاة من القول  
بضم تلك الصور التركيبية إلى الوظائف التي تتوافق معها في الأبعاد الدلالية؟

إن المتأمل في الأصول العامة التي قامت عليها النظرية النحو العربي، وما  
صاغه النحاة من ضوابط رئيسة توجه القول في وصف العربية وتعيد قواعدها  
يستشعر تشبه النحاة إلى ما يعتري التراكيب، أحياناً، من تجاذب بين المعنى  
والإعراب، أو بين الأبعاد الدلالية الخالصة من جهة والضوابط الشكلية المختلفة  
من جهة أخرى، وهو ملحظ أشاروا إليه في مرحلة مبكرة من وصف العربية؛

من ذلك، مثلاً، ما ألمح إليه سيبويه في قوله: "ومثل ذلك قولك: إن زيدا ظريف وعمرؤ وعمرأ، فالمعنى في الحديث واحد وما يراد من الإعمال مختلف"<sup>(٤٨)</sup>.

وقد وضع ابن هشام باباً كاملاً للحديث عن الموجّهات التي تضبط القول في إعراب العناصر في التركيب، وضّح فيه من خلال أمثلة كثيرة كيف تتداخل المرجّحات الدلالية والصناعية، وكيف السبيل إلى ضبط المسألة على نحو من التحكّم المشروع الذي يحفظ للنظرية تماسكها وتوافقها<sup>(٤٩)</sup>.

كما جرّد ابن جنّي هذه المسألة في خصائصه على نحو يخرجها إلى مستوى تأصيلي أساسيّ تتبني عليه نظرية النحو العربي من خلال ثلاثة أبواب مهمة، هي:

- باب في تجاذب المعاني والإعراب.
- باب في التفسير على المعنى دون اللفظ.
- باب في الفرق بين تقدير الإعراب وتفسير المعنى.

وهو يقول في الباب الأول منها: "هذا موضع كان أبو عليّ -رحمه الله- يعتاده، ويلمّ كثيراً به، ويبعث على المراجعة له وإلطاف النظر فيه، وذلك أنك تجد في كثير من المنثور والمنظوم الإعراب والمعنى متجاذبين، هذا يدعوك إلى أمر وهذا يمنعك منه، فمتى اعتورا كلاماً أمسكت بعروة المعنى، وارتحت لتصحيح الإعراب"<sup>(٥٠)</sup>. وعلى الرغم من أن ابن جنّي يقدّم المعنى على الإعراب في أغلب الأمثلة التي عرض لها، إلا أن هذا الإجراء لم يكن وارداً عند النحاة في الأمثلة التي سبقت في هذا البحث؛ ذلك أنهم لا يمانعون أن يختلف تفسير المعنى عن تقدير الإعراب، وهي المسألة التي تناولها ابن جنّي، أيضاً، في الباب الثالث المذكور هنا.

إن نظرية النحو العربي القائمة على القول بالعامل منضبطة، عند النحاة، بضوابط مختلفة، يعد المعنى واحداً منها، فهول ليس ضابطاً رئيساً، في كثير من المواضع؛ "فبنية النظرية النحوية المتمثلة في العامل النحوي ذات طبيعة تركيبية شكلية، تتخذ من العلاقات النحوية أساساً في رسم أطرها وأبعادها الرئيسية،

ولكنها في الوقت نفسه لا تغفل دور العناصر (الدلالية) في تشكيل النسق النهائي للنظرية، فتضع لها أدواراً مؤثرة تحرك مكونات النظرية في اتجاهات مخصوصة<sup>(٥١)</sup>، لكنها لا تطلق لها زمام التحكم في الوصف، بل تفيدها بالضوابط الشكلية والبنوية الأخرى التي تعد أكثر انضباطاً وتماسكاً.

إننا إذا افترضنا أننا واجهنا النحاة بمثل تلك التداخلات الدلالية بين الوظائف النحوية التي عرضنا لجانب منها في هذا البحث، فإن جوابهم سيكون حاضراً، متوافقاً مع أصولهم، متناغماً مع ضوابطهم؛ لأنهم سيقولون "وأي منع في أن يستفق في المعنى المقصود المختلفان في الإعراب؟ إلا ترى أن معنى "جئت راكباً": جئت وقت ركوبي، والأول حال والثاني مفعول فيه؟"<sup>(٥٢)</sup>.

لا شك أن هذا النص يدل دلالة قاطعة على استشعار النحاة للتداخل الدلالي بين الوظائف النحوية، وأن هذا التداخل، وحده، ليس كافياً، عندهم، للقول بتعدد الاحتمالات الإعرابية في التركيب؛ لأنهم لا يقتصرون عليه في الوصف والتفصيل، ولا ينطلقون منه في التأسيس والتنظير، إنهم يستأنسون به ويلتفتون إليه، ولكنهم يتمسكون بضوابط أخرى أكثر تماسكاً وأقل تفلناً منه، وهي بذلك، تحقق لنظريتهم ما ينشدونه لها من قوة ومثانة.

ولكننا إذا أردنا أن نجعل الأبعاد الدلالية التي تعبر عنها الوظائف النحوية منطلقنا الأول في الوصف والتفصيل فلا شك أن هذا الوصف سيختلف، وسيصبح للوظائف النحوية صوراً أخرى لم ينص عليها النحاة. وهذا أمر مرهون بإعادة وصف العربية وفق ترتيب للضوابط يختلف عما تعارف عليه النحاة العرب.

## الهوامش

١. عبد القادر المهيري، الجملة في نظر النحاة العرب، حوليات الجامعة التونسية، ع٣، ١٩٦٦، ٣٥-٤٦.
٢. عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية، ط١، منشورات عويدات، بيروت، ١٩٨٦، ١٣.
٣. انظر: تمام حسان: الأصول: دراسة ابيستيمولوجية للفكر اللغوي العربي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٢، ١٤٦.
٤. بين ابن هشام أهم هذه المرجحات التي ينظر إليها عند إعراب عناصر التركيب في الباب الخامس من المغني الذي جعله بعنوان: في الجهات التي يدخل الاعتراض على المعرب من جهاتها.
٥. الأشموني، شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، دار إحياء الكتب العلمية، ١٨٣/٢ (بتصرف بسيط).
٦. ابن يعيش، شرح المفصل، عالم الكتب- بيروت، ٧٠/٢.
٧. انظر: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ٢٠٣/٢.
٨. ابن يعيش، شرح المفصل، ٧١/٣.
٩. شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ١٨٦/٢.
١٠. ولعل هذا الأمر هو الذي قاد النحاة إلى القول بالفرق بين تقدير الإعراب وتفسير المعنى، انظر في ذلك: ابن جنّي: الخصائص
١١. سيبويه، الكتاب، ٤٤/١.

١٢. ابن السراج، الأصول في النحو، ٢١٣/١.
١٣. ابن يعيش، شرح المفصل، ٥٥/٢. وانظر أيضاً: السهيلي، نتائج الفكر في النحو ٣٩٤، والرضي، شرح الكافية ١٩٨/١، وشرح الأشموني على ألفية ابن مالك ١٨٦/٢، والشريف الجرجاني، التعريفات ٢٨٥، وعباس حسن، النحو الوافي ٣٦٣.
١٤. لا يعني هذا أنّ النحاة لم يتنبهوا للعلاقة بين الحال وعاملها وما ينتج عنه من أبعاد دلالية مخصوصة؛ فالقصد، هنا، بيان أنّ تركيز النحاة على العلاقة بين الحال وصاحبها كان هو المقدم في الغالب.
١٥. الرضي، شرح الكافية، ١٩٩/١.
١٦. يقول النحاة في ذلك: "حقّ الحال أن يكون وصفاً، وهو ما دلّ على معنى وصاحبه: كقائم، وحسن، ومضروب، فوقعها مصدراً على خلاف الأصل؛ إذ لا دلالة فيه على صاحب الحال" شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ضمن حاشية الخضري، دار الفكر، بيروت-لبنان، ١٩٩٥، ٣١٨/١، وهذا القول هو مذهب سيوييه وجمهور البصريين، انظر في تفصيل ذلك مثلاً: ابن هشام الأنصاري، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ٣٠٥/٢.
١٧. على اختلاف في التأويل عندهم؛ فسيوييه والجمهور يؤولونه بالوصف، أمّا الأخفش والمبرد فيذهبان إلى أنّ المصدر منصوب على المصدرية بفعل محذوف، فالحال عندهما الجملة لا المصدر. انظر: شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ١٧٢/٢.
١٨. المؤمنون: ١١٥. انظر، على سبيل المثال: الزمخشري، الكشاف، دار الفكر، ٤٥/٣. والجمل، الفتوحات الإلهية، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٥/٣.
١٩. لا يُترك هذا التعدد، في الغالب، من دون ترجيح لوجه على وجه آخر باعتماد ضوابط مخصوصة يتكئ معظمها على السياق العام للكلام. انظر في ذلك: فاضل السامرائي، معاني النحو.

٢٠. ابن يعيش، شرح المفصل، ٧٨/٧، وواضح أن هذا التعريف لا ينحصر في أفعال الظن واليقين بل يتجاوز ذلك ليشمل كل الأفعال التي يكون محلها النفس.
٢١. لا شك أن هيئة الراغب تختلف عن هيئة الخائف، مثلاً، إلا أن التفكير في الهيئة يأتي تالياً، بعد معرفة الحالة النفسية أو العاطفية التي يتضمنها هذا النوع من المشتقات ويدل عليها دلالة مباشرة، وانظر: سيبويه ٣٦٢/١. ولا يخفى أن هذا التقسيم فيه كثير من العمومية؛ فالأفعال القلبية التي ينطبق عليها تعريف النحاة السابق تتفاوت فيما بينها؛ فبعضها قد يدل الهيئة دلالة قوية ملاحظة، وبعضها الآخر يضعف فيه ذلك أو ينعدم فيخلص للدلالة على ما يستقر في النفس من عواطف وإحساسيس ولعل الفرق يتضح إذا تأملنا الفروق بين الكلمات التالية: عاد: خائفاً، مصمماً، متأثراً، خائباً، راضياً، غاضباً، فرحاً، مستبشراً.
٢٢. رأيت أن أضع توثيق النصوص بجانبها حتى لا أنقل الهوامش، وحتى لا أقطع استرسال القارئ.
٢٣. ومثال آخر على ذلك ما جاء في قوله تعالى: (وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته) إذ يحتمل القول في "بشراً" فيجوز فيه أن يكون مفعولاً لأجله ويجوز فيه أن يكون حالاً على تأويله بالمشتق. أما قوله تعالى: (ومن آياته أن يرسل الرياح مبشرات) فمبشرات لا تعرب إلا حالاً؛ لأنها وصف مشتق، والسؤال الذي يطرح نفسه هنا: هل مجيء الكلمة على هذه الصورة يجردّها من ملحظ العلة تماماً؟ والسؤال نفسه يتكرر مع قوله تعالى (فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين).
٢٤. انظر في شيء من هذا: لطيفة النجار، دور البنية الصرفية في وصف الظاهرة النحوية وتقيدها. ط١. دار البشير، عمان- الأردن، ١٩٩٣، ١٧٢ وما بعدها.
٢٥. ابن يعيش، شرح المفصل، ٥٢/٢. وورد في تعريفه عند الرضي قوله: "ما فعل لأجله مضمون عامله" ١٩١/١، وواضح أن هذا التعريف قد يصدق على الفعل كما يصدق على المصدر، فلولا اشتراط النحاة المصدرية في هذه الوظيفة لصلح التعريف السابق للتعبير عنها دونما قيود بنيوية تقيد المعنى بأشكال مخصوصة.

٢٦. السابق ٥٢/٢.
٢٧. لا شك أن دلالة المصدر على العلة أقوى وأوضح من دلالة الفعل، ويبدو كذلك، أن دلالة الفعل على العلة أقوى من دلالة المشتق، ولكن هذا لا ينفي وجود هذا المعنى في الأشكال الثلاثة، ثم يبدأ التفاوت بينها بعد.
٢٨. لا يعني ذلك التطابق التام بين الفعل والمصدر، فمعلوم أن المصدر خالٍ من معنى الزمان الذي يتضمنه الفعل، ولكن ذلك لا ينفي أن الاثنين يجمعهما معنى الحدوث والانتضاء.
٢٩. الرضوي، شرح الكافية في النحو، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ١٩٨٥، ٢١١/١.
٣٠. ابن يعيش، شرح المفصل، ٥٣/٢.
٣١. يلاحظ هنا أن تقدير اللام ينتفي تماماً مع المشتق: كقول المتنبيين مثلاً، أسارك اللحظ مستحيباً، كما ينتفي مع بعض الأفعال المضارعة، كما في قوله: بعين كعين مفيض القداح إذا ما أراغ يريد الحويلا، ومع ذلك فإن انتفاء هذا التقدير لا ينفي تضمّن تلك المفردات معنى العلة والسبب. ولعل هذا يتضح في قول عمر بن أبي ربيعة (الديوان ٣١):
- ما أنس لا أنسى عادة لقيتها      بمنى تريد تحيني وعتابي  
وتلذدي شهراً أريد لقاءها      حذر العدو بساحة الأحباب
- فقد جاءت جملة الحال (أريد) في سياق التعليل مقترنة بتعليل آخر جاء على الأصل (حذر) لكن كل واحد منهما يعلل أمراً؛ فالجملة تعلل استمراره في التلدد مدة شهر، والمصدر يعلل التلدد في حد ذاته.
٣٢. ابن يعيش، شرح المفصل، ٥٥/٢.
٣٣. سيبويه ٤٧/١، وفي المقتضب: فأما إذا قلت: مررت بزید عمرو في الدار - فهو محال إلا على قطع خبر واستئناف آخر، فإن جعلته كلاماً واحداً قلت: مررت بزید وعمرو في الدار. وهذه الواو التي يسميها النحويون واو الابتداء، ومعناها (إذ). ومثل ذلك قوله (يغشى طائفة منكم وطائفة قد أهدتهم أنفسهم)، والمعنى - والله أعلم - إذ طائفة في هذا الحال، وكذلك قول المفسرين المبرد، المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عضمية، عالم الكتب ١٢٥/٤.

٣٤. يقول الأشموني في ذلك: "وقدّرها سيوييه والأقدمون بإذ، ولا يريدون أنها بمعناها؛ إذ لا يرادف الحرف الاسم، بل أنها وما بعدها قيد للعامل السابق". وسنعود للحديث عن قولهم في الحال إنها قيد لعاملها فيما بعد.
٣٥. لسان العرب، حرف الواو، والملاحظ أنّ ابن منظور لم يفرّق بين الجملة المشتمة على ضمير ذي الحال والجملة الخالية منه. وانظر: فاضل السامرائي، معاني النحو، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، ٧٢٨/٢ وما بعدها.
٣٦. الأصول في النحو ٢٦٥/١.
٣٧. ابن هشام، معني اللبيب ٦٠٦/٢-٦٠٧.
٣٨. ابن هشام، أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت- لبنان، ٢٣١/٢.
٣٩. الزمخشري، المفصل: ضمن شرح المفصل لابن يعيش، ٦٨/٢.
٤٠. معاني النحو، ٦٦٦/٢.
٤١. حاشية الصبّان على شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، ١٣٤/٢.
٤٢. تظهر شدّة التداخل بين الدلالة على الحال وظرف الزمان في قول جميل بثينة:  
 ألا ليت أيام الصفاء جديد  
 ودهرأ تولى، يا بثين، يعود  
 فنغنى كما كنا نكون، وأنتم  
 صديق، وإذ ما تبذلين زهيد
- إذ يُظهِر التركيب أنّ الظرف (إذ) قد عطف على الجملة الحالّية (وأنتم صديق) بل هذا ما قاله بعضهم في بيان الأوجه الإعرابية المحتملّة في إعراب البيت (انظر فخر الدين قباوة، المورد النحوي، ط٣، مؤسسة الرسالة، ١٩٨٤، ٢٠٤). وبغض النظر عن الأوجه المحتملّة فإنّ وجود ظرف الزمان وجملة الحال بينهما حرف عطف يجعل التساؤل عن بعد الزمان في مثل هذه الجمل الحالّية مشروعاً.
٤٣. يلاحظ أنّ قوله: "وأنا مهموم" وقوله: "وهم كارهون" فيه بيان الحالة النفسية بخلاف قوله: "وأنت منبسط له وجهك" وقوله: "وأنا جالس هكذا" وهذه، أيضاً، فروق دلاليّة أخرى.
٤٤. انظر: المبرد، المقتضب ٢٩٩/٤. ولا يدخل في ذلك الحال الملازمة.
٤٥. ابن يعيش، ٤٧/٣.

٤٦. يقول السمين في هذه الآية ما نصّه: "في هذه الجملة وجهان، أظهرهما: أنها في محل نصب حال، وإن كانت الحال من النكرة بغير شرط من الشروط المعروفة قليلة. والثاني: أن تكون في محل نصب على أنها صفة لشيء، وإنما دخلت الواو على الجملة الواقعة لأن صورتها الحال، فكما تدخل الواو عليها صفة الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، تحقيق أحمد الخراط، ط١، دار القلم-دمشق، ٣٨٨/٢. ويقول فيها أبو حيان: "والجملة حال، أي وهو مكروه لكم بالطبيعة أو مكروه قبل ورود الأمر" البحر المحيط ١٤٣/٢. وواضح من النصين استتعار ملحظ الصفة في الجملة وارد عند النحاة.
٤٧. عبد القادر المهيري، الجملة في نظر النحاة العرب، حوليات الجامعة التونسية، ع١٩٦٦، ٣، ٣٥-٤٦.
٤٨. الكتاب، ٦١/١.
٤٩. انظر: الباب الخامس من الجزء الثاني من مغني اللبيب.
٥٠. ابن جنّي، الخصائص، ٢٥٥/٣.
٥١. لطيفة النجار، منزلة المعنى في نظرية النحو العربي، رسالة دكتوراه، ١٨٨.
٥٢. الرضّي، شرح الكافية، ١٩٢/١.



**امرؤ القيس بن حُجر:**  
**رحلته إلى الشرق أو إلى الغرب؟**  
**"القسم الأول"**

د. ليلي توفيق العمري

الأستاذ المساعد في قسم اللغة العربية  
الجامعة الهاشمية

يذهب بعض الجغرافيين<sup>(١)</sup> إلى أن رحلة امرئ القيس بن حُجر - التي رافقه فيها عمرو بن قميئة - كانت إلى الهند ولم تكن إلى القسطنطينية عاصمة بلاد الروم، ويستدلون على زعمهم هذا من تحديد موقع بعض المواضع التي وردت في شعر ابن قميئة رفيقه في السفر.

وللوصول إلى الحقيقة لا بد من معرفة الطريق الذي سلكه امرؤ القيس في هذه الرحلة، والذي انتهى به إلى الموضع الذي خط فيه قدميه، ومن ثم كانت له فيه أخبار وأشعار ونهاية حياة. هذه الحقيقة - التي تنازع جوهرها وتجادب أطرافها ثلاثة محاور يأخذ بعضها برقاب بعض، يشده حيناً، ويؤزره حيناً آخر - تشكل الأساس الذي يقوم عليه هذا البحث.

فأول هذه المحاور: يعتمد على ما ذكرته كتب الأدب العام بخاصة، وكتب الأخبار والتاريخ عن سبب رحلة امرئ القيس، والديار التي مرَّ بها في طريقه إلى قيصر ملك الروم.

وثانيها: يحتج بما يزودنا به ديوانا امرئ القيس وعمرو بن قميئة من أشعار تبين بعض المواضع التي سلكاها وجابا خلالها أو مرَّ بها، بحيث تقطع في محتواها ومضمونها بمسيرهما إلى ملك الروم، وكذلك بما تزودنا به كتب الأدب العام والتاريخ والطبقات والتراجم من أحوال وأخبار مرافقة لشعر هذين الشاعرين الذي قيل في هذه الرحلة، تنتهي بنا إلى الغاية التي قصدنا إثباتها، وأردنا الوصول إليها.

(١) سيأتي الحديث عن ذلك في موضعه.

وثالثها: يقوم على ما ورد في كتب الجغرافيين من أقوال تشير إلى اختلافهم، أو اتفاقهم في تعيين موقع بعض المواضع التي سلكها امرؤ القيس وعمرو بن قميئة في رحلتها إلى قيصر، والخروج منها برأي واضح قطع العلماء فيه القول، وفصلوا فيه الخلاف بينهم.

\* \* \*

(١)

يذكر صاحب الأغاني<sup>(١)</sup> في خبر يردّه إلى ابن الكلبي أن حُجراً لم يكن راضياً عن ابنه امرئ القيس، فطرده من عنده "والى الأبا يقيم معه أنفة من قوله الشعر، وكانت الملوك تأنف من ذلك، فكان يسير في أحياء العرب ومعه أخلاط من شذاذ العرب من طيء وكتب وبكر بن وائل؛ فإذا صادف غديراً أو روضة أو موضع صيد، أقام فذبح لمن معه في كل يوم؛ وخرج إلى الصيد فتصيّد، ثم عاد فأكل وأكلوا معه وشرب الخمر وسقاهم وغنّته قيانه، ولا يزال كذلك حتى ينفد ماء ذلك الغدير، ثم ينتقل عنه إلى غيره". واستمر امرؤ القيس في هذه

---

(١) ٩: ٨٧، وانظر الكامل في التاريخ ١: ٥١٥-٥١٦، نشوة الطرب ١: ٢٥٢، قراءة ثانية في شعر امرئ القيس: ٩٧، تاريخ آداب اللغة العربية ١: ١٠٨-١٠٩، تاريخ العرب قبل الإسلام ٣: ٢٥٢، العرب قبل الإسلام لحسين الشيخ: ١٧٠. وقد تحدّث عن رحلة امرئ القيس إلى قيصر عدد من الباحثين والمؤلفين العرب المحدثين، في مؤلفات ودراسات متخصصة عرضت لحياته وشعره؛ منها: امرؤ القيس لسليم الجندي: ١٢-٢٥، امرؤ القيس حياته وشعره: ٧٥-١٠٣، امرؤ القيس شاعر المرأة والطبيعة: ١٠-١١، ١٦، ١٧-٢٢، امرؤ القيس الملك الضليل: ٢١-٣٥، ٤١-٤٤، امرؤ القيس منتخبات شعرية: ٣٨٤-٣٩٤، امرؤ القيس يقف على المسرح: ٣٨-٤٢، أمير الشعر في العصر القديم: ٢٧١-٢٩٤، الشوامخ امرؤ القيس: ١٦-٢١، علاء الدين ومسرحيته الشعرية: امرؤ القيس بن حُجْر: ١٧-٢٢، الملك الضليل امرؤ القيس: ١٤٥-١٥٠.

الحياة العابثة حتى "أتاه خبر أبيه ومقتله<sup>(١)</sup> وهو بدمون<sup>(٢)</sup> من أرض اليمن، أتاه به رجلاً من بني عجل يقال له عامر الأعور أخو الوصّاف. فلما أتاه بذلك قال<sup>(٣)</sup>:

تَطَاوَلَ اللَّيْلُ عَلَيَّ دَمُونٌ      دَمُونٌ إِنَّا مَعْشَرٌ يَمَانُونَ  
وَإِنَّا لِأَهْلِهَآ مُحِبُّونَ

ثم قال: ضيَّعني صغيراً وحملني دمه كبيراً، لا صحوا اليوم، ولا سكر غداً، اليومَ خمر، وغداً أمر، فذهبت مثلاً. ثم قال<sup>(٤)</sup>:

خَلِيلِي لَا فِي الْيَوْمِ مَصْنَعِي لِشَارِبٍ      وَلَا فِي غَدٍ إِذْ ذَاكَ مَا كَانَ يُشْرَبُ

---

(١) انظر خبر مقتله في الشعر والشعراء: ٥٠-٥١، ٥٧-٥٨، الأغاني ٩: ٨٢-٨٦، الكامل في التاريخ ١: ٥١٤-٥١٥، نشوة الطرب ١: ٢٤٦-٢٤٨، المختصر في أخبار البشر ١: ٧٤-٧٥، تاريخ ابن خلدون ٢: ٥٧٢-٥٧٣، امرؤ القيس حياته وشعره: ٤٤-٤٩، امرؤ القيس شاعر المرأة والطبيعة: ٩-١٠، امرؤ القيس الملك الضليل: ٢١-٢٣، امرؤ القيس يقف على المسرح: ٣٩، أمير الشعر في العصر القديم: ٢٧١، تاريخ آداب اللغة العربية ١: ١٠٨، العرب قبل الإسلام لجرجي زيدان: ٢٤٦، العرب قبل الإسلام لحسين الشيخ: ١٧٠.

(٢) دَمُونٌ: من حصون حَضْرَمَوْت لحمير، وفي رواية أن دَمُونٌ: قرأ للصّدْف بحضرموت، انظر معجم ما استعجم: ٥٥٧. وفي نشوة الطرب ١: ٢٤٨ أن دَمُونٌ من أرض كندة.

(٣) انظر ديوان امرؤ القيس: ٣٤١، ويروى: "عَلَيْنَا دَمُونٌ" و "لأهلنا".

(٤) انظر المصدر السابق: ٣٤٢، ويروى: "خَلِيلِي مَا فِي الدَّارِ" و "إِذْ كَانَ" و "مُشْرَبٌ".

ثم شرب سبعا، فلم صَحَا آلى أَلَا يَأْكُلَ لَحْمًا، ولا يَشْرَبُ خَمْرًا، ولا يَدَّهِنُ بَدْهِنَ، ولا يَصِيبُ امْرَأَةً، ولا يَغْسِلُ رَأْسَهُ مِنْ جَنَابَةِ، حتى يُدْرِكَ بِنَّارِهِ»<sup>(١)</sup>.

وفي رواية أخرى أن حُجْرًا طرد ابنه امرأ القيس "لَمَّا صَنَعَ فِي الشَّعْرِ بِفَاطِمَةَ مَا صَنَعَ، وَكَانَ لَهَا عَاشِقًا، فَطَلَبَهَا زَمَانًا فَلَمْ يَصِلْ إِلَيْهَا، وَكَانَ يَطْلُبُ مِنْهَا غِرَّةً حَتَّى كَانَ مِنْهَا يَوْمَ الْغَدِيرِ بَدَارَةً جُلْجُلًا"<sup>(٢)</sup> ما كان، فقال<sup>(٣)</sup>:

\* قَفَا نَبْكَ مِنْ نِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزَلٍ \*

فلما بلغ ذلك حُجْرًا غضب، وأوصى مولى له يقال له ربيعة بقتله، ثم طرده<sup>(٤)</sup>، وقيل: إنما طرده لأنه تغزّل بامرأة من نساء أبيه<sup>(٥)</sup>.

(١) الأغاني ٩: ٨٧-٨٨، وانظر الشعر والشعراء: ٥٢، وفي ص: ٥٨ ذكر ابن قتيبة أنه عندما قتل علباء بن الحارث الأسدي حُجْرًا، وأفلت امرؤ القيس يومئذ، حلف لا يغسل رأسه ولا يشرب خمرًا حتى يدرك ثأره ببني أسد، الكامل في التاريخ ١: ٥١٦، نشوة الطرب ١: ٢٤٨، المختصر في أخبار البشر ١: ٧٥، تاريخ ابن خلدون ٢: ٥٧٣، تاريخ آداب اللغة العربية ١: ١٠٩، تاريخ العرب قبل الإسلام ٣: ٢٥٢-٢٥٣، العرب قبل الإسلام لحسين الشيخ: ١٧٠-١٧١.

(٢) انظر مغامرته بدارة جلجل في ديوانه: ١٠، الشعر والشعراء: ٦٥-٦٦. ودارة جلجل: موضع بديار كندة يقال له الحمى، وقيل: دارة جلجل عند عين كندة، انظر معجم ما استعجم: ٣٨٩.

(٣) انظر ديوان امرئ القيس: ٨، وتاممه: \* بِسِقْطِ اللَّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ وَحَوْمَلٍ \*.

(٤) الشعر والشعراء: ٥١، وانظر امرؤ القيس الملك الضليل: ٤١، تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ١: ١٥٥-١٥٦، وكان يرى أن هذه القصة مخترعة على امرئ القيس، على غرار ما يحكى عن مشاهير الأبطال في صغرهم.

(٥) خزنة الأدب ١: ٣٧٥، وانظر شرح ديوان امرئ القيس: ١١ حاشية رقم (١) قال السنديوي: "وزعم بعض الرواة أن أباه طرده لأنه كان يتعشق امرأة أبيه المسمّاة هرّة"، امرؤ القيس حياته وشعره: ٦٠-٦١، امرؤ القيس الملك الضليل: ٤١، تاريخ العرب قبل الإسلام ٣: ٢٥٤.

فلما طرده والده، صار يتجول في الآفاق يجمع إليه طائفة من الصعاليك والذوبان والشذاذ من أحياء طييء وكلب وبكر، وأخذ يتنقل بهم في منازل العرب، ويغير بهم على أحيائها، ويقاسمهم ما تناله أيديهم، أو ما يقع لهم من الصيد، ثم يذهب بهم إلى المناهل والغدران والرياض، يذبح لهم، ويؤاكلهم، ويعاقرهم الخمر، وينشدهم الشعر، وتغنيهم قيانته، حتى جاءه خبير مقتل والده، فنبذ هذه الحياة وصمم على الأخذ بالنار من قَتلة أبيه<sup>(١)</sup>.

ولم يزل امرؤ القيس مع صعاليك العرب حتى أتاه نبأ مقتل والده وهو بدمون من أرض اليمن على رواية ابن الكلبي، وفي رواية أخرى تتسبب إلى الهيثم بن عدي "أن امرأ القيس لما قُتل أبوه كان غلاماً قد ترعرع، وكان في بني حنظلة مقيماً لأن ظنَّره كانت امرأة منهم. فلما بلغه ذلك قال<sup>(٢)</sup>:

يا لَهْفَ هِنْدٍ إِذْ خَطُنَ كَاهِلاً	القَاتِلِينَ الْمَلِكِ الْخُلَاجِلاً
تَاللَّهِ لَا يَذْهَبُ شَيْخِي بَاطِلاً	يَا خَيْرَ شَيْخٍ حَسَباً وَنَسَباً
وَخَيْرَهُمْ - قَدْ عَلِمُوا - فَوَاضِلاً	يَحْمَانِنَا وَالْأَسْلَ النَّوَاهِلاً
وَحيِّ صَعْبٍ وَالْوَشِيحِ الذَّابِلاً	مُسْتَفْرِمَاتٍ بِالْحَصَى جَوَافِلاً <sup>(٣)</sup>

(١) تاريخ العرب قبل الإسلام ٣: ٢٥٥، وانظر شرح ديوان امرئ القيس: ١٢.

(٢) الرجز في ديوان امرئ القيس: ١٣٤-١٣٥ - باستثناء البيتين الخامس والسابع، وهما في ص: ٤١٨ (تحقيق رواية الديوان قصائده وأبياته)، الأول زاده ابن النحاس والثاني زاده السكري - باختلاف في ترتيب الأبيات، ويروى: "والله" و "خير معذ حسباً" و "مستفرمات بالحصى".

(٣) الأغاني ٩: ٨٨-٨٩.

وقيل: إن امرأ القيس حين نعي إليه أبوه وهو بدمون من حضرموت قال<sup>(١)</sup>:  
 أتاني وأصحابي على رأس صيلع<sup>(٢)</sup> حديث أطار النوم عني فأنعمًا  
 فقلت لعجلي بعيد ما أبه: ابن لي وبين لي الحديث المجمعًا  
 فقال: أبيت اللعن، عمرو وكاهل أباحا حمى حجر فأصبح مسلمًا

وفهم من هذه الأبيات أن امرأ القيس كان في "صيلع" عندما بلغه نبأ مقتل والده، أتاه به رجل اسمه عجل، ويُعرف بعامر الأعور<sup>(٣)</sup>، ويذكر ياقوت الحموي<sup>(٤)</sup> أن في "صيلع" ورد الخبر على امرئ القيس بمقتل أبيه حُجر.

وفي خبر آخر يفيد أنه نزل في "بني دارم"، وبقي عندهم حتى قتل عمه شرحبيل<sup>(٥)</sup>، وفي رواية مرجعها الهيثم بن عدي أيضاً أنه كان مع والده حُجر - في جمع من قومه كندة - عندما هاجمته بنو أسد وقتلته، وأنه هرب على فرس له شقراء، وتمكن من النجاة<sup>(٦)</sup>.

ويروي ابن السكيت أنه لما طعن الأسيدي حُجراً ولم يجهز عليه، أوصى ودفع كتابه إلى رجل، وطلب منه أن يستقري أولاده واحداً واحداً حتى يأتي امرأ القيس، ففعل، فلما أتى امرأ القيس وجده "مع نديم له يشرب الخمر ويلاعبه بالنرد؛ فقال له: قتل حُجر. فلم يلتفت إلى قوله؛ وأمسك نديمه. فقال له امرؤ القيس: اضرب فضرب. حتى إذا فرغ قال: ما كنت لأفسد عليك دستك<sup>(٧)</sup>. ثم سأل الرسول

(١) ديوان امرئ القيس: ٣٤٣، وانظر شرح ديوان امرئ القيس: ٢٠٥-٢٠٦، تاريخ العرب قبل الإسلام ٣: ٢٥٥، وفيه يروي جواد علي هذا الشعر في الخبر السابق الذي ينسب إلى الهيثم بن عدي، والذي ذكر فيه أن امرأ القيس كان مقيماً في بني حنظلة لما قتل أبوه، العقد الثمين: ١٠٦.

(٢) صيلع: موضع من اليمن كثير الوحش والظباء، انظر معجم ما استعجم: ٨٤٨.

(٣) تاريخ العرب قبل الإسلام ٣: ٢٥٥.

(٤) معجم البلدان ٣: ٤٩٨.

(٥) تاريخ العرب قبل الإسلام ٣: ٢٥٥، وانظر امرؤ القيس الملك الضليل: ٤١-٤٢.

(٦) الأغاني ٩: ٨٥، وانظر ما ورد في الشعر والشعراء: ٥٨ ما يقرب من ذلك.

(٧) الدست: المجلس، وهي كلمة فارسية.

عن أمر أبيه كله فأخبره. فقال: الخمرُ عليّ والنساء حرامٌ حتى أقتل من بني أسد مائة وأجزّ نواصي مائة. وفي ذلك يقول<sup>(١)</sup>:

أرقتُ ولم يارقُ لِمَا بي نافعٌ      وهاج لي الشوقُ الهمومُ الروادعُ<sup>(٢)</sup>

وتناقض رواية ابن السكيت رواية أوثق<sup>(٣)</sup> منها تنسب إلى الهيثم بن عدي، وهي الرواية الوحيدة - من بين روايات أربع ذكرها أبو الفرج - التي تقرّر أن امرأ القيس شهد لقاء كندة مع بني أسد، وأنه هرب على فرس له شقراء، وأعجزهم للحاق به، ونستطيع أن نوفق بين هذه الروايات جميعها، إذا ذهبنا في التأويل إلى أنه فرّ من المعركة بعد أن هُزم قومه، وقبل أن يقتل أبوه، وأن الخبر جاءه هارباً في دَمُون<sup>(٤)</sup>.

(١) انظر ديوان امرئ القيس (تحقيق رواية الديوان قصائده وأبياته): ٤٦٥.

(٢) الأغاني ٩: ٨٧، وانظر الكامل في التاريخ ١: ٥١٥. يذكر الرواة منهم الخليل بن أحمد الفراهيدي أنه قدّم على امرئ القيس رجال من قبائل بني أسد بعد مقتل أبيه حجر - وقبل تنقله في قبائل العرب مستنجداً بها للثأر منهم - ليعتذروا إليه وليسوا قضية قتل والده، فرفض إلا الانتقام من بني أسد قائلاً لهم: "لقد علمت العرب أن لا كفء لحجر في دم، وإنّي لن أعتاض به جملأ أو ناقةً فأكتسب بذلك سيئة الأبد وقت العُضد. وأما النظرة (المهلة) فقد أوجبته الأجنّة في بطون أمهاتها، ولن أكون لعطبها سبباً، وستعرفون طلائع كندة من بعد ذلك، تحمل القلوب حقاً وفوق الأسنان علقاً (الدم)".

وفي رواية أخرى تنسب إلى أبي عبيدة في هذا المعنى تقول: إن بني أسد اجتمعت بعد قتلهم حُجر بن عمرو، والذ امرئ القيس، إلى امرئ القيس ابنه علي أن يعطوه ألف بعير دية أبيه؛ أو يقيدوه من أي رجل شاء من بني أسد، أو يمهّلهم حولاً؛ فقال: أما الدية فما ظننت أنكم تعرضونها علي مثلي، وأما القود: فلو قيد إلي ألف من بني أسد ما رضيتهم ولا رأيتهم كفواً لحجر، وأما النظرة فلکم، ثم ستعرفونني في فرسان قحطان، أحکم فيکم ظباً السيوف وشباً الأسنان، حتى أشفي نفسي وأنال ثأري. الأغاني ٩: ١٠٣-١٠٥، ٢٢: ٨٢ على الترتيب، وانظر ديوان عبيد: ١٣٥، تاريخ العرب قبل الإسلام ٣: ٢٥٨.

(٣) انظر حديث الطاهر أحمد مكي عنها في كتابه: امرؤ القيس حياته وشعره: ٤٧-٤٩، ٧٥.

(٤) انظر المرجع السابق: ٧٥.

ويذكر ابن الكلبي ويعقوب بن السكيت أن امرأ القيس ارتحل - بعد أن أتاه نساباً مقتل والده - حتى نزل بكرة وتغلب<sup>(١)</sup>، فسألهم النصر على بني أسد، فبعث العيون على بني أسد فنذروا<sup>(٢)</sup> بالعيون ولجأوا إلى بني كنانة، ثم علموا أن امرأ القيس يتعقبهم، فارتحلوا عن بني كنانة ليلاً دون أن يشعروا، فلما وصل امرؤ القيس بمن معه من بكر وتغلب إلى بني كنانة ظاناً بني أسد بينهم، نادى: يا لئارات الملك! يا لئارات الهمام! فأخبروه أن بني أسد قد تركوهم وارتحلوا عنهم، فقال في ذلك<sup>(٣)</sup>:

(١) من الأخبار التي تحدثت بها الرواة قبل نزول امرئ القيس على بكر وتغلب - فيما ذكره المفضل - أن ثعلبة بن مالك من بني عمرو بن معاوية من كندة نازعه على عرش أبيه بعد مقتله؛ قالوا: إن امرأ القيس وثعلبة أصابا الملك بعد قتل حجر، فنفس ثعلبة على امرئ القيس منزلته من نجد، فأقبل يقود الخيل إليه، وهو يريد قتاله، فبلغ ذلك امرأ القيس، فخرج بأصحابه ليلقاه بين الأبرقين، حتى إذا كان قريباً منه قال لجنده: اكنموا في غيابة من الأرض (أي منهيظ منها) فإني متقدم على فرسي حتى أبرز للقوم لملي أغترهم (أيهم على غرة)، فأطعن بعضهم وهم غارون (غافلون)، فإنيهم سيركون في أثري ويعجلون عن أداتهم، فإذا مروا بكم متفرقين - وقد انهزمت لهم، وانقطع نظامهم - فاحملوا عليهم حملة رجل واحد، فانكمموا لهم، وخرجوا وخرج امرؤ القيس على فرسه، ومعه سيفه ورمحه، وقد لبس درعه تحت ثيابه حتى مر على راعي غنم، فسأله عن معسكر ثعلبة بن مالك، فدله عليه، فسار نحوه فعثر به فرسه، حتى خالط القوم، فلما كان في طرف من القوم طعن رجلاً منهم، ثم انهزم، فخرجوا في أثره، تعدوا بهم خيلهم، ليس عليهم كثير أداة، حتى حاذوا أصحاب امرئ القيس وهم لا يشعرون بالمكيدة التي دبها لهم هو وأصحابه. فلما حاذوهم وفيهم ثعلبة بن مالك - وهو يومئذ معلم (أي أعلم مكانه في الحرب بعلامة أعلمها) - حملوا عليه حملة رجل واحد، وكر امرؤ القيس، فحمل عليه وطعنه طعنة شديدة فأدراه عن فرسه، وانهزم أصحابه، وأسروا منهم كثيرين، وأسر ثعلبة، ثم قتله امرؤ القيس صبواً، وفي ذلك يقول قصيدته التي مطلعها:

أحار بن عمرو كأنني خميرٌ      ويغدو على المرء ما ياتميرُ

ديوان امرئ القيس: ١٥٣-١٦٧، وانظر أمير الشعر في العصر القديم: ٢٧٥-٢٧٦.

(٢) نذروا: علموا فحذروا.

(٣) انظر ديوان امرئ القيس: ١٣٨، العقد الثمين: ٦٩.

ألا يا لهفَ هِنْدِ إِثْرَ قَوْمٍ      هُمْ كَانُوا الشِّفَاءَ فَلَمْ يُصَابُوا  
 وَقَاهُمْ جَدُّهُمْ بِنَيْي أَبِيهِمْ      وبالْأَشْقَيْنِ مَا كَانَ الْعِقَابُ  
 وَأَفْلَتْهُنَّ عِلْيَاءَ جَرِيضاً      ولو أَدْرَكْنَهُ صَفِرَ الْوِطَابُ

وتتبعهم امرؤ القيس حتى أدركهم فقاتلهم فكثر الجرحى والقتلى فيهم، وحجز الليل بينهم، وهربت بنو أسد، فلما أصبحت بكر وتغلب أبوا أن يتبعوهم، وقالوا له: "قد أصبت ثأرك. قال: والله، ما فعلت ولا أصبت من بني كاهل ولا من غيرهم من بني أسد أحداً. قالوا: بلى، ولكنك رجل مشؤوم، وكرهوا قتالهم بني كنانة، وانصرفوا عنه، ومضى هارباً لوجهه حتى لحق بحمير"<sup>(١)</sup>.

(١) الأغاني ٩: ٩٠-٩٢، وانظر ٢٢: ١١٨، الشعر والشعراء: ٥٢، وفيه ذكر ابن قتيبة أنه استجاش بكر بن وائل، وذكر في ص: ٥٨-٥٩ أنه عندما قُتل حُجر أتى امرؤ القيس ذا جَدْنِ الحميري "فاستمدّه فأمدّه، وبلغ الخبرُ بني أسد فانتقلوا عن منازلهم، فنزلوا على قوم من بني كنانة بن خزيمَةَ، والكنانيون لا يعلمون بمسير امرئ القيس إليهم، فطرقهم في جند عظيم، فأغار على الكنانيين وقتل منهم، وهو يظنُّ أنهم بنو أسد، ثم تبين أنهم ليسوا هم، فقال:

ألا يا لهفَ نفسي إِثْرَ قَوْمٍ ..... (الآبيات)  
 ثم تبع بني أسد فأدركهم وقتل فيهم قتلاً ذريعاً، وقال:

قُولاً لِدُودَانَ: عبيد العصا ..... (الآبيات الآتية)  
 ثم إن المنذر بن ماء السماء غزا كندة فأصاب منهم، وأسر اثني عشر فتى من ملوكهم، فأمر بهم فقتلوا بمكان بين الحيرة والكوفة، يقال له جَفْرُ الأملاك، وكان امرؤ القيس يومئذ معهم، فهرب حتى لجأ إلى سَعْدِ بن الضَّبَابِ الإيادي، سيّد إياد، فأجاره... الكامل في التاريخ ١: ٥١٦-٥١٧، نشوة الطرب ١: ٢٤٨-٢٥٠، المختصر في أخبار البشر ١: ٧٥، تاريخ ابن خلدون ٢: ٥٧٣، وأشار إلى أن امرأ القيس سار إلى المنذر بن امرئ القيس ملك الحيرة بعد أن فاته بنو أسد، وأوقع في كنانة، ثم سار في اتباع بني أسد، ولم يظفر منهم بشيء، و ص: ٥٧٤، معاهد التنصيص ١: ٣٨٨-٣٨٩، تاريخ العرب قبل الإسلام ٣: ٢٥٦، العرب قبل الإسلام لحسين الشيباني: ١٧١.

ويشير ابن قتيبة<sup>(١)</sup> إلى أن امرأ القيس سار إلى بني أسد عندما لجأوا إلى بني كنانة، فأوقع ببني كنانة، ونجت بنو كاهل من بني أسد؛ فقال<sup>(٢)</sup>:

يا لَهْفَ نَفْسِي إِذْ خَطِنَ كَاهِلًا      الْقَاتِلِينَ الْمَلِكَ الْخَلِيلًا  
تالله لا يذهبُ شيخي باطلا

وذكر امرؤ القيس في شعره أنه ظفر بهم، فتأبى عليه ذلك الشعراء؛ قال عبيد<sup>(٣)</sup>:

يَا ذَا الْمُخَوِّفِنَا بِقَتْلِ ..... لَأَبِيهِ إِذْ لَأَلَّا وَخَيْنَنَا  
أَزَعَمْتَ أَنَّكَ قَدْ قَتَلْتَ ..... سَرَاتِنَا كَذِبًا وَمَيْتَنَا

وفي رواية يرجعها الإخباريون إلى ابن السكيت: "أن امرأ القيس لما أقبل من الحرب على فرسه الشقراء لجأ إلى ابن عمته عمرو بن المنذر - وأمه هند بنت عمرو بن حُجْر بن آكل المُرَار، وذلك بعد قتل أبيه وأعمامه وتفرق ملك أهل بيته، وكان عمرو يومئذ خليفة لأبيه المنذر ببقّة وهي بين الأنبار وهيبة - فمدحه وذكر صهره ورحمه وأنه قد تعلق بحباله ولجأ إليه، فأجاره، ومكث عنده زماناً. ثم بلغ المنذر<sup>(٤)</sup> مكانه عنده فطلبه، وأنذره عمرو فهرب حتى أتى حمير"<sup>(٥)</sup>.

(١) الشعر والشعراء: ٥٢، وانظر تاريخ العرب قبل الإسلام ٣: ٢٥٩.

(٢) انظر ديوان امرؤ القيس: ١٣٤ باختلاف في ترتيب الأبيات، وتروى: "لَهْفَ هِنْدٍ" و"والله". وفي خبر الأبيات: أنه قالها حين بلغه أن بني أسد قتل أباه.

(٣) الشعر والشعراء: ٥٢، وانظر: ١٨٧، والبيتان في ديوان عبيد: ١٣٦، تاريخ يعقوبي ١: ٢١٨، امرؤ القيس حياته وشعره: ٧٨-٧٩، والخبر مع البيتين في تاريخ العرب قبل الإسلام ٣: ٢٦١.

(٤) ابن ماء السماء.

(٥) الأغاني ٩: ٩٢، وانظر تاريخ العرب قبل الإسلام ٣: ٢٥٦.

ويقول ابن الكلبي والهيثم بن عدي وعمر بن شبة وابن قتيبة<sup>(١)</sup>: إنَّ امرأ القيس خرج من فوره بعد امتناع بكر بن وائل وتغلب من اتباع بني أسد- إلى اليمن " فاستنصر أزدَ شنوءةً؛ فأبوا أن ينصروه وقالوا: إخواننا وجيراننا. فنزل بَقِيلٍ يُدعى مَرْتَدَ الخير بن ذي جَدَنَ الحميري، وكانت بينهما قرابة، فاستنصره واستمده على بني أسد؛ فأمدّه بخمسمائة رجل من حمير؛ ومات مَرْتَدُ قبل رحيل امرئ القيس بهم، وقام بالمملكة بعده رجلٌ من حمير يقال له قَرْمَلُ ابن الحُميم وكانت أمه سوداء، فردد امرأ القيس وطول عليه حتى هم بالانصراف؛ وقال<sup>(٢)</sup>:

وَإِذْ نَحْنُ نَدْعُو مَرْتَدَ الْخَيْرِ رَبَّنَا      وَإِذْ نَحْنُ لَا نَدْعَى عبيدًا لِقَرْمَلٍ

(١) الأغاني ٩: ٩٢-٩٣، وانظر الأصنام: ٥٩-٦٠، معجم البلدان ٢: ٤٣٩، الكامل في التاريخ ١: ٥١٧، نشوة الطرب ١: ٢٥٠، وذكر ابن سعيد أن امرأ القيس انصرف إلى حمير فنزل بقبيلة تدعى مَرْتَدَ الخير من ذي جَدَنَ، فاستنصرهم فأمدوه بخمسمائة رجل، ولم يذكر في هذا الخبر موت مرتد وقيام قرملة بن الحميم بالمملكة بعده، وأشار ابن خلدون (تاريخ ابن خلدون ٢: ٥٧٣) إلى أنه بعد أن رجعت بكر وتغلب عن امرئ القيس سار إلى مؤثر الخير بن ذي جَدَنَ من ملوك حمير صريحاً بنصره بخمسمائة رجل من حمير بجمع من العرب سواهم، واجتزا ابن كثير (البداية والنهاية ١: ٢٠٤) هذا الخبر على استقسام امرئ القيس عند ذي الخلصة، وعلى إغارته على بني أسد وقتلهم قتلاً ذريعاً، بلوغ الأرب ٢: ٢٠٧، تاريخ العرب قبل الإسلام ٣: ٢٥٦-٢٥٧، المستشرقون والشعر الجاهلي: ١٠١، ١٠٦.

(٢) انظر ديوان امرئ القيس: ٣٤٢.

فأنفذ له ذلك الجيش؛ وتبعه شذاذ من العرب، واستأجر من قبائل العرب رجالاً، فسار بهم إلى بني أسد. ومرّ بنبالة<sup>(١)</sup> وبها صنم للعرب تعظمه يقال له ذو الخلصة<sup>(٢)</sup>؛ فاستقسم<sup>(٣)</sup> عنده بقداحه وهي ثلاثة: الأمر والناهي والمتربص، فأجالها فخرج الناهي، ثم أجالها فخرج الناهي، ثم أجالها فخرج الناهي؛ فجمعها وكسرها وضرب بها وجه الصنم وقال: مَصِصْتَ بَطْرَ أُمَّكَ! لو أبوك قُتِل ما عَقَنْتِي. ثم خرج فظفر ببني أسد.

فلما أوقع بهم، وأدرك ثأر أبيه فيهم؛ قال<sup>(٤)</sup>:

قُولاً لِدُودَانَ<sup>(٥)</sup> عبيدِ العَصَا      ما غَرَكُمُ بِالْأَسَدِ الْبَاسِلِ!  
 قَدْ قَرَّتِ الْعَيْنَانِ مِنْ مَالِكِ<sup>(٥)</sup>      ومن بني عمرو<sup>(٥)</sup> ومن كاهل<sup>(٥)</sup>  
 ومن بني غنم بن دودان<sup>(٥)</sup> إذ      نَقَذُ أَعْلَاهُمْ عَلَى السَّاقِلِ

.....

حَلَّتْ لِي الْخَمْرُ وَكُنْتُ امْرَأً      عن شربها في شغل شاغل  
 فاليوم أسقى غير مستحجب      إثمًا من الله ولا واغل

(١) نباله: بلدة مشهورة من أرض تهامة في طريق اليمن، وبين نباله ومكة نحو مسيرة ثمانية أيام. انظر معجم البلدان ٢: ١١.

(٢) ذو الخلصة: مروة بيضاء منقوشة، عليها كهيفة التاج، وكانت بنبالة بين مكة واليمن على مسيرة سبع ليالٍ من مكة. انظر الأصنام: ٤٩-٥٠.

(٣) الاستقسام: طلب القسم الذي قسم له وقدر مما لم يقسم ولم يقدر، لسان العرب: (قسم).

(٤) ديوان امرئ القيس: ١١٩-١٢٠، ١٢٢ و ٢٥٦-٢٥٨ باختلاف في رواية بعض الألفاظ.

(٥) دودان: قبيلة من بني أسد، وكذلك بنو مالك وبنو عمرو وبنو كاهل وبنو غنم: أحياء من بني أسد.

ويفهم من هذه الأبيات أنه أوقع في بطون بني أسد، في: "بني دودان" و "بني مالك" و "بني عمرو" و "بني كاهل" و "بني غنم بن دودان"، وهي التي قتلت أباه جُحراً<sup>(١)</sup>، قالها بعد أن أنجده قرمل بن الحميم الحميري<sup>(٢)</sup>، وأنه "ألبسهم الدروع البيض محمأة، وكحلهم بالنار"<sup>(٣)</sup>، فبرّ بيمينه، وحلّ له شرب الخمر<sup>(٤)</sup>.

"والح المنذر في طلب امرئ القيس ووجه الجيوش في طلبه من إياد وبهراء وتَنوخ ولم تكن لهم طاقة، وأمدّه أنوشروان بجيش من الأساورة فسرحهم في طلبه. وتفرقت حميرُ ومن كان معه عنه. فنجا في عُصبة من بني آكل المرار حتى نزل بالحارث بن شهاب من بني يربوع ابن حَنْظلة، ومع امرئ القيس أدراع خمسة: الفضفاضة والضافية والمحصنة والخريق وأم الذبول كُنَّ لبني آكل المرار يتوارثونها ملكاً عن ملك. فقلما لبثوا عند الحارث بن شهاب حتى بعث إليه المنذر مائة من أصحابه يُوعده بالحرب إن لم يُسلم إليه بني آكل المرار فأسلمهم؛ ونجا امرؤ القيس ومعه يزيد بن معاوية بن الحارث وبنته هند (بنت امرئ القيس) والأدراع والسلاح ومال كان بقي معه؛ فخرج على وجهه

(١) تاريخ العرب قبل الإسلام ٣: ٥٧٢.

(٢) شرح ديوان امرئ القيس: ١٧٢.

(٣) معجم البلدان ٢: ٤٣٩، وانظر شرح ديوان امرئ القيس: ١٧٢، تاريخ العرب قبل الإسلام ٣: ٢٥٧.

(٤) تاريخ العرب قبل الإسلام ٣: ٢٥٧.

حتى وقع في أرض طييء<sup>(١)</sup>؛ وقيل: بل نزل قبيلهم على سعد بن الضباب الإيادي سيد قومه فأجاره<sup>(٢)</sup>، ومدحه امرؤ القيس<sup>(٣)</sup>.

ثم إن امرأ القيس تحول عنه فنزل برجل من بني جديلة طييء يقال له المعلّى بن تميم، وكان أجاره والمنذر بن ماء السماء يطلبه فمنعه ووقى له، ولم يكن للملكين: ملك العراق وهو المنذر، وملك الشام وهو الحارث بن أبي شمر الغساني اقتدار عليه<sup>(٤)</sup>، وفي ذلك يقول<sup>(٥)</sup>:

كأنني إذا نزلتُ على المعلّى      نزلتُ على البوّاذخ من شمام  
فما ملكُ العراقِ على المعلّى      بمقتدرٍ ولا ملكُ الشامِ  
أقرَّ حشاً امرئ القيس بن جحرٍ      بنو تميم مصاييح الظلام

(١) في العقد الثمين: ٦٤ صار إلى جبلي طييء أجا وسلمى.  
(٢) الأغاني ٩: ٩٣، وانظر ٢٢: ١١٨، الكامل في التاريخ ١: ٥١٧-٥١٨، نشوة الطرب ١: ٢٥١، المختصر في أخبار البشر ١: ٧٥، تاريخ ابن خلدون ٢: ٥٧٣، ٥٧٤، معاهد التنصيص ١: ٣٨٩، تاريخ العرب قبل الإسلام ٣: ٢٥٧-٢٥٨، وجاء في العقد الثمين: ٧٣ أن امرأ القيس نزل على هانيء بن مسعود بن عامر بن عمرو بن أبي ربيعة قبل سعد بن الضباب فاستجاره فلم يجره، فأتى سعد بن الضباب، فأجاره، فقال يمدحه ويهجو هانيء بن مسعود قصيدته التي مطلعها:

لعمرك ما قلبي إلى أهله بحرٌ      ولا مقصر يوماً فيأتيني بقرٌ  
(٣) انظر ديوان امرئ القيس: ١١٢-١١٣، ٢٠٧، ٢٦٠، الشعر والشعراء: ٥٩، الأغاني ٩: ٩٤، الكامل في التاريخ ١: ٥١٨.

(٤) ديوان امرئ القيس: ١٤٠.

(٥) ديوان امرئ القيس: ١٤٠-١٤١، وبعد البيتين الأولين:

أصدّ نساخ ذي القرنين حتى      تولى عارضُ الملكِ الهمام

وقد لبث عنده زماناً، ثم اضطرَّ إلى الارتحال عنه<sup>(١)</sup>، فخرج ونزل ببني نهبان من طييء على خالد بن أصمغ النبهاني<sup>(٢)</sup>، فكان عندهم ما شاء الله، ثم خرج فنزل بعامر بن جُوَيْن وهو يومئذ أحد الخُلعاء الفُتاك قد تبرأ قومه من جرائمه، فبقي عنده زماناً، ثم أحسنَّ منه ما رابه، إذ أراد أن يغلب امرأ القيس على ماله وأهله، ففطن امرؤ القيس لذلك بشعر كان عامر ينطق به، وهو قوله:

فكم بالصَّعِيدِ من هِجَانِ مَوْبِلَةٍ      تَسِيرُ صِحاحاً ذاتَ قِيدٍ ومُرْسَلَةٍ  
أردتُ بها فَنَكاً فلم أرْتَمِضْته      ونههتُ نفسي بعدما كدتُ أفعَلَه

(١) الأغاني ٩: ٩٤، وكان سبب تحول امرئ القيس عن المعلّى بن نعيم كما يذكر الأصفهاني (٩: ٩٤-٩٥): أن امرأ القيس عندما أقام عند المعلّى زماناً اتخذ إبلاً هناك. ففدا قوم من بني جديلة يقال لهم بنو زيد فطردوا الإبل. وكانت لامرئ القيس رواحل مقيّدة عند البيوت خوفاً من أن يدهمه أمرٌ يسبق عليهن. فخرج حينئذ فنزل ببني نهبان من طييء، فخرج نفر منهم فركبوا الرواحل ليطلبوا له الإبل فأخذتهن جديلة، فرجعوا إليه بلا شيء. فقال في ذلك:

وأعْجَبْنِي مَسِيّ الحُرْقَةِ خالِدٍ      كَمَشِي أَتَانِ حُنْتِ بالمَنَاهِلِ  
فَدَغَ عنكَ نَهْياً صِيحَ في حَجْرَاتِهِ      ولكن حديثاً ما حديثُ الرواحِلِ

ففرقت عليه بنو نهبان فرقاً من معزى يحلبها...، وانظر المحبر: ٣٥٣-٢٥٤، الكامل في التاريخ ١: ٥١٨، تاريخ العرب قبل الإسلام ٣: ٢٦٢.

(٢) ديوان امرئ القيس: ٩٤.

فلما خافه على أهله وماله تغفله وانتقل إلى رجل من بني ثعل يقول له حارثة بن مُر<sup>(١)</sup> فاستجار به، فوَقعت الحرب بين عامر وبين الثعلبي<sup>(٢)</sup>.

وفي ديوان امرئ القيس من رواية الأصمعي<sup>(٣)</sup> أن امرأ القيس تحول عن خالد بن أصمع النبهاني فنزل على جارية بن مُر بن حنبل أخي بني ثعل<sup>(٤)</sup>، فأجاره وأكرمه.

فلما وقعت الحرب بين طيء من أجل امرئ القيس، خرج من عندهم، ونزل برجل من بني فزارة يقال له: عمرو بن جابر بن مازن، وكان كثير التردد على قيصر امبراطور بيزنطة والنعمان ملك الحيرة، فطلب منه الجوار حتى يرى ذات عيبة<sup>(٥)</sup>، فأشار عليه الفزاري بالذهاب إلى السمؤال بن عادياء بتيماء، فوافق، وأرسله في صحبة رجل من بني فزارة يقال له: الربيع بن ضبع الفزاري كان ممن يأتي السمؤال فيحمله ويُعطيه، فوفد الفزاري بامرئ القيس

(١) هو: أبو حنبل جارية بن مُر الطائي ثم الثعلبي في: المحبر: ٣٥٢، وفيه: "الثعلبي"، الشعر والشعراء: ٦٠، فصل المقال: ١٣٩، ٣١٥، بلوغ الأرب ١: ١٣٥، العقد الثمين: ١٠٠، وفي الكامل في التاريخ ١: ٥١٨ "حارثة بن مُر" بالحاء المهملة.

(٢) الأغاني ٩: ٩٥-٩٦، وفي ديوان امرئ القيس: ٢١٢ أن المنذر بن ماء السماء بعث في إثر امرئ القيس جيشاً "فلجاً إلى المعلى، وكان في طيء، ثم في بني جديلة، ثم أحد بني ثعلبة، وكسان سيّداً متيعاً فمنعه من المنذر... ثم خرج من قوره ذلك حتى جعل المنذر يطلبه في كل مكان؛ فخشي أن يصيبه فلم يُنهه دون أن أتى قيصر ملك الروم..."، وفي الشعر والشعراء: ٥٩ أن امرأ القيس تحول عن سعد بن الضباب الإيادي إلى جيل طيء، فنزل على قوم منهم عامر ابن جوين الطائي، وفي الكامل في التاريخ ١: ٥١٨ أنه رحل عن المعلى بن تيم الطائي، ونزل بعامر بن جوين الطائي، وانظر تاريخ العرب قبل الإسلام ٣: ٢٦٢.

(٣) ص: ٩٤، وروى البكري (فصل المقال: ٣١٥) في المثل: "هما ساقاً غادر شر" قصة امرئ القيس وأبي حنبل جارية بن مُر الطائي، ويقال: إن صاحب الخبر عامر بن جوين الطائي، وانظر ص: ١٣٩، وقال الأصمعي: المثل لعبيد بن شحنة، وقصة أبي حنبل في المحبر: ٣٥٢، بلوغ الأرب ١: ١٣٥-١٣٦.

(٤) انظر الحاشية رقم (١) من هذه الصفحة.

(٥) أي: ينظر في أمره ويصلح من شأنه.

إليه، فنزل عنده وأكرمه وعرف له حقه. ثم إنه طلب إليه أن يكتب له إلى الحارث بن أبي شمر الغساني بالشام ليوصله إلى قيصر، فاستجد له رجلاً، واستودع عنده ابنته هنداً وأدراعه وأمواله، وأقام مع ابنته "يزيد بن معاوية بن الحارث" ابن عمه، وخرج حتى انتهى إلى قيصر<sup>(١)</sup>.

(١) الأغاسي ٩: ٩٦-٩٩، وانظر ٢٢: ١١٨-١١٩، شعر السموأل: ٧، طبقات فحول الشعراء: ٢٧٩، المحبر: ٣٤٩، الشعر والشعراء: ٦٠، وفيه ذكر ابن قتيبة أن امرأ القيس لم يزل ينتقل من قوم إلى قوم بجبلي طييء، ثم سمت به نفسه إلى ملك الروم. فأتى السموأل بن عادياء اليهودي، ملك تيماء، وهي مدينة بين الشام والحجاز، فاستودعه مائة درع وسلاحاً كثيراً...، مجمع الأمثال ٢: ٤٤١، المستقصى ١: ٤٣٥، الكامل في التاريخ ١: ٥١٨. ويقرب من خبر الشعر والشعراء ما ذكره ابن سعيد في نشوة الطرب ١: ٢٥١، وأبو الفداء في المختصر في أخبار البشر ١: ٧٥، تاريخ ابن خلدون ٢: ٥٧٣، ٥٧٤، معاهد التنصيص ١: ٣٨٨، ٣٨٩-٣٩٠، بلوغ الأرب ١: ١٣٦-١٣٧، تاريخ أديب اللغة العربية ١: ١٠٨، تاريخ الأدب العربي لبلاشير: ٢٩٢، تاريخ العرب قبل الإسلام ٣: ٢٦٢، العرب قبل الإسلام لجرجي زيدان: ٢٤٦. أما اليعقوبي فإنه يروي في (تاريخه ١: ٢١٧-٢٢٠) عن امرئ القيس - منذ أن بلغه مقتل أبيه حُجِرَ إلى أن وصل إلى قيصر ملك الروم - رواية تختلف في كثير من أحداثها وتفاصيلها عن رواية صاحب الأغاني، يقول فيها: "فلما بلغه مقتل أبيه جمع جمعاً، وقصد لبني أسد، فلما كان في الليلة التي أراد أن يغير عليهم في صبيحتها نزل بجمعه ذلك، فذعر القطا، فطار عن مجانمه، فمرّ ببني أسد، فقالت بنت علباء: ما رأيت كالليلة قطاً أكثر! فقال علباء: لو ترك القطا لغطاً ونام، فأرسلها مثلاً. وعرف أن جيشاً قد قرب منه، فارتحل، وأصبح امرؤ القيس، فأوقع بكنانة، فأصاب فيهم وجعل يقول: يا للثارات! فقالوا: والله ما نحن إلا من كنانة! فقال:

ألا يا لهف نفسي، بعد قوم، ..... (الآبيات)

... ومضى امرؤ القيس إلى اليمن لما لم يكن به قوة على بني أسد ومن معهم من قيس، فأقام زماناً، وكان يُدْمِنُ مع نَدَامِي له، فأشرف يوماً، فإذا براكب مقبل، فسأله: من أين أقبلت؟ قال: من نجد! فسفاه مما كان يشرب، فلما أخذت منه الخمرة رفع عقيرته، وقال:

سقىنا امرأ القيس بن حُجْر بن حارث      كؤوس الشجا حتى تعود بالقهر  
والهاه شرب ناعيم وقرقر،      وأعياء تار كان يطلب في حُجْر  
وذاك لعمري كان أسهل مشرعاً      عليه من البيض الصواريم والسمر

ويرى جرجي زيدان أن امرأ القيس أتى السموأل لما تنكرت له القبائل في اليمن ونجد والحجاز، فلم يجره أحد "فاستجاره فأجاره... وهو لا يرى من يستصره على أعدائه إلا قيصر الروم، لأن ملوك الحيرة عمال الفرس نصروا أعداءه على جاري عادة العرب في ذلك العهد، إذا تظلموا من إحدى هاتين الدولتين استصروا الأخرى"<sup>(١)</sup>. في حين يزعم بعض المؤرخين أن امرأ القيس قرّر أن يذهب إلى القسطنطينية ليستجد بملك الروم لأن قبائل العرب رفضت نصرته خوفاً من بني أسد، وخوفاً من إغصاب المناذرة والفرس<sup>(٢)</sup>، وهو زعم يحتاج - في شقه الأول - إلى إعادة النظر، ليس هذا محله.

فزع امرؤ القيس لذلك، ثم قال: يا أبا أهل الحجاز! من قائل هذا الشعر؟ قال: عبيد بن الأبرص. قال: صدقت! ثم ركب، واستجد قومه، فأمدّوه بخمسائة من مذحج، فخرج إلى أرض معدّ، فأوقع بقبائل من معدّ، وقتل الأشقر بن عمرو، وهو سيّد بني أسد، وشرب في قحف رأسه، وقال امرؤ القيس في شعر له:

قُولاً لِسُدُودَانَ: عَبِيدِ الْعَصَا، ..... (الآبيات)

وطلب قبائل معدّ امرأ القيس، وذهب من كان معه، وبلغه أن المنذر ملك الحيرة قد نذر دمه، فأراد الرجوع إلى اليمن، فخاف حضرموت، وطلبته بنو أسد وقبائل معدّ، فلما علم أنه لا قوة به على طلب المنذر واجتماع قبائل معدّ على طلبه، ولم يمكنه الرجوع، سار إلى سعد بن الضباب الإباضي، وكان عاملاً لكسرى على بعض كور العراق، فاستتر عنده حيناً، حتى مات سعد بن الضباب، فلما مات سعد خرج امرؤ القيس إلى جبليّ طيّء، ... فنزل بقوم من طيّء ثم لم يزل ينتقل في طيّء مرّة، وفي جديلة مرّة، وفي نيهان مرّة، حتى صار إلى تيماء، فنزل بالسموأل بن عاديا... فأودعه أذراعاً، وانصرف عنه يريد ملك الروم، حتى صار إلى قيصر ملك الروم، فاستصره، فوجه معه تسعمائة من أبناء البطارقة.

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ١: ١٠٨، وانظر العرب قبل الإسلام للمؤلف نفسه: ٢٤٦.

(٢) العرب قبل الإسلام لحسين الشيخ: ١٧١، وانظر امرؤ القيس الملك الضليل: ٢٨-٢٩، الشوامخ امرؤ القيس: ١٧.

وثمة تأويل آخر نذهب إليه أن امرأ القيس ربّما فكّر خلال إقامته في بني فزارة - عند عمرو بن جابر بن مازن - أن يطلب العون والمدد من اميراطور بيزنطة، ولعله سمع عنه كثيراً منه<sup>(١)</sup>، وقد يكون الذهاب إلى قيصر اقتراحاً من مجيره الفزاري، وقوّاه الحارث الغساني. إذ يوحي الخبر السابق أن الحارث شجّع على الرحلة، وقَبِل أن يقدّمه إلى قيصر، لوجود هدف مشترك يجمع بينهما، فكان الغساسنة، ممثلو بيزنطة في الشام، أعداء ألداء للمناذرة في الحيرة، وقد كان لهؤلاء - بمعاونة الفرس - الدور الكبير في تحطيم ملك كندة<sup>(٢)</sup> وملاحقة امرئ القيس<sup>(٣)</sup>، الأمر الذي جعل كلمتهم هي النافذة بين القبائل الضاربة في شرق الجزيرة الشمالي ونجد، وكان للغساسنة وبيزنطة مصلحة عامة في دعم امرئ القيس لاستعادة سلطانه، كي يصبح شوكة في ظهر المناذرة خصومهم التقليديين<sup>(٤)</sup>.

(١) وذلك عند قوله له: "جنت قيصر وجنت النعمان" في سياق حديثه عن السموال، إذ يوحي الخبر أن الفزاري كان يتردّد على قيصر وعلى النعمان، وأنه لم يرَ مثل السموال في إغائة الضيف؛ قال: "لم أرَ لضيف نازل ولا لمُجند مثله ولا مثل صاحبه"، وربما عنى بهذا صاحب الربيع بن ضبّع الفزاري، كان ممن يأتي السموال فيخملُه ويعطيه. ولعل الخبر انطوى على أقوال أخرى في حق قيصر شجّعت امرأ القيس على الذهاب إلى بيزنطة، ولم يذكرها الرواة في الخبر الذي أورده صاحب الأغاني ٩: ٩٦-٩٧.

(٢) وذلك عندما عاد المنذر بن ماء السماء إلى ملكه في الحيرة في عهد أنوشروان، إذ هرب الحارث بن عمرو، وتبعته خيل المنذر، وقتل أهله. المصدر السابق ٩: ٨٠-٨١، وانظر امرؤ القيس الملك الضليل: ٢١.

(٣) وذلك منذ أن لاحق المنذر - بمساعدة الفرس - امرأ القيس عندما لجأ إلى ابن عمته عمرو بن المنذر، وبعد أن هرب إلى حمير، ومن ثم نزوله في بني حنظلة. الأغاني ٩: ٩٢-٩٣، وانظر امرؤ القيس الملك الضليل: ٢٨، أمير الشعر في العصر القديم: ٢٨١، الشوامخ امرؤ القيس: ١٧.

(٤) انظر امرؤ القيس حياته وشعره: ٨٥، ٨٧.

ويذكر الإخباريون أن قيصر قَبِلَ امرأ القيس وأكرمه، وصارت له منزلة عنده<sup>(١)</sup> ونادمه<sup>(٢)</sup>، وأنه دخل معه الحمام، وأن ابنته نظرت إليه فعشقتة، فكان يأتيها وتأتيه<sup>(٣)</sup>. ويذكرون كذلك أن قيصر<sup>(٤)</sup> أنجد امرأ القيس وبعث معه جيشاً كثيفاً فيهم جماعة من أبناء ملوك الروم، إذ طمع أن يكون له قوة في العرب يقاوم بها نفوذ الأكاسرة<sup>(٥)</sup>. ولكن رجلاً من بني أسد يقال له الطَّمَاح<sup>(٦)</sup> كان امرؤ القيس قد قتل أخاً له<sup>(٧)</sup>، لحق بامرئ القيس حتى أتى إلى بلاد الروم فأقام مستخفياً، فلما ارتحل امرؤ القيس قال لقيصر قوم من أصحابه<sup>(٨)</sup>: "إن العرب قومٌ غدر، ولا تأمن أن يظفر بما يريد ثم يغزوك بمن بعثت معه". وفي رواية لابن الكلبي أن الطَّمَاح قال لقيصر: "إن امرأ القيس غويٌّ عاهرٌ وإنه لمَّا انصرف عنك بالجيش ذكر أنه كان يرسل ابنتك ويواصلها، وهو قائل في ذلك

(١) الأغاني ٩: ٩٩، وانظر نشوة الطرب ١: ٢٥١، أمير الشعر في العصر القديم: ٢٩٢،

الشوامخ امرؤ القيس: ١٨، العرب قبل الإسلام لحسين الشيخ: ١٧١.

(٢) الشعر والشعراء: ٦١.

(٣) المصدر السابق: ٥٣، وانظر تاريخ الأدب العربي لبلاشير: ٢٩٢.

(٤) هو الامبراطور يوستينيانوس، انظر العرب قبل الإسلام لحسين الشيخ: ١٧١. ويرسم

أيضاً: جستنيان ويستنيان ويوستنيانوس ويوسطنيانوس.

(٥) امرؤ القيس لسليم الجندي: ٢٤.

(٦) في الشعر والشعراء: ٥٣ "الطَّمَاح بن قيس الأسدي"، وانظر الشامخ امرؤ القيس: ١٨،

وجاء في ديوان امرئ القيس: ١٠٨ من رواية الأصمعي عن الطَّمَاح قوله: إن الطَّمَاح

رجل من بني أسد، وإن الذي وشى بامرئ القيس عند قيصر هو رجل منهم، يقال له:

حبيب، وقال بعضهم: منقذ، وقد سمي الطَّمَاح بقول امرئ القيس: "لقد طمح الطَّمَاح من

بعد أرضه". وزعم "قوم أن الطَّمَاح رجل من بني أسد أرسله إليه قيصر بثوبه المسموم.

وقيل: الذي سار إليه بالثوب هو الطَّمَاح الأسدي".

(٧) في الشعر والشعراء: ٥٣ أن حُجراً قتل أباه.

(٨) في الشعر والشعراء: ٦٢ قِيلَ لقيصر: "إنك أمددت بأبناء ملوك أرضك رجلاً من العرب،

وهم أهل غدر، فإذا استمكن مما أراد وقهر بهم عدوةً غراك".

أشعاراً يُشهرها بها في العرب فيفضحها ويفضحك". فبعث إليه حينئذ بحلّة وبشي مسمومة منسوجة بالذهب وقال له: "إني أرسلت إليك بحلّتي التي كنت ألبسها تكريماً لك، فإذا وصلت إليك فالبسها باليمن والبركة، واكتب إليّ بخبرك من منزل منزل". فلما وصلت إليه لبسها واشتدّ سروره بها؛ فأسرع فيه السمّ وسقط جلده؛ فلذلك سمّي ذا القروح، فلما وصل إلى بلدة من بلاد الروم تُدعى أنقرة<sup>(١)</sup> احتضر بها<sup>(٢)</sup>.

ويرى اليعقوبي في وشاية الطمّاح الأسدي بامرئ القيس رؤية أخرى تغاير -كل المغايرة- رواية صاحب الأغاني، فهو يزعم أن امرأ القيس مدح قيصر فسار الطمّاح الأسدي إلى قيصر؛ فقال له<sup>(٣)</sup>: "إن امرأ القيس شتمك في شعره وزعم أنك علج أغلف، فوجّه قيصر إلى امرئ القيس بحلّة قد نضج فيها السمّ، فلما ألبسها تقطع جلده وأيقن بالموت". في حين يذكر ابن كثير أن امرأ القيس "امتدح قيصر ملك الروم يستنجده في بعض الحروب ويسترفده، فلم يجد ما يؤمله عنده فهجاه بعد ذلك، فيقال إنه سقاه سمّاً فقتله"<sup>(٤)</sup>.

- 
- (١) اسم للمدينة المسماة: أنكورية، معجم البلدان ١: ٣٢٢، وانظر نشوة الطرب ١: ٢٥٢.
  - (٢) الأغاني ٩: ٩٩-١٠٠، وانظر ديوان امرئ القيس: ٧، ١٠٨، ٢١٢-٢١٣، الشعر والشعراء: ٥٣، ٦٢، معجم البلدان ١: ٣٢٢، الكامل في التاريخ ١: ٥١٨-٥١٩، نشوة الطرب ١: ٢٥١-٢٥٢، ٣٨٩، تاريخ ابن خلدون ٢: ٥٧٣، المزهري ٢: ٤٤٣-٤٤٤، تاريخ آداب اللغة العربية ١: ١٠٨، تاريخ الأدب العربي لبلاشير: ٢٩٢، تاريخ العرب قبل الإسلام ٣: ٢٦٤، العرب قبل الإسلام لحسين الشيخ: ١٧١.
  - (٣) تاريخ اليعقوبي ١: ٢٢٠، وانظر تاريخ آداب اللغة العربية ١: ١٠٨، العرب قبل الإسلام لجرّي زيدان: ٢٤٦.
  - (٤) البداية والنهاية ١: ٢٠٤.

أما أبو الفداء فيشكك في صحة الخبر المروي عن الحلة، فيقول<sup>(١)</sup>: "وقد قيل إن ملك الروم سمّه في حلة وهو عندي من الخرافات"، ويستكر جرجي زيدان مدى فاعلية هذا السمّ في القتل، فيقول أيضاً<sup>(٢)</sup>: "ولا نعرف سمّاً يفعل هذا

(١) المختصر في أخبار البشر ١: ٧٥.

(٢) العرب قبل الإسلام لجرجي زيدان: ٢٤٦، وانظر تاريخ آداب اللغة العربية ١: ١٠٨. وقد تناول رواية الحلة المسمومة عدد من الباحثين؛ فمنهم من أنكرها ورفضها، ومنهم من كان محايداً حيالها، فأما الفريق الأول - وهم الأكثر - فكانوا يرون أن امرأ القيس أصيب بمرض نتجت عنه قروح التهبّت فأودت بحياته، وأما الفريق الثاني فقد ربط بين القروح التي ظهرت في جسمه والحلة المسمومة؛ وهم - بالإضافة إلى ما ذكر في المتن -:

- البستاني (امرؤ القيس منتخبات شعرية: ٣٩٣-٣٩٤) الذي اتكأ في ترجمته لامرئ القيس على بعض الأخبار التي نقلها عن المؤرخ نونوسوس، فهو يذكر أن نونوسوس لم يشر إلى ما تناقلته كتب الأدب العربي من أن امرأ القيس عشق ابنة قيصر، ونظم فيها الشعر، وأنه عندما علم قيصر بالأمر بعد رحيل الشاعر أرسل إليه بالحلة المسمومة، التي لم يكذبها حتى تناثر لحمه ومات. بيد أن المعروف أن الشاعر أصيب في أنقرة - وهو عائد إلى دياره من بيزنطة - بمرض كالجذري، فتوفي هناك، ولعلّ البثور والقروح الناتجة من هذا المرض أثارت مخيلة الرواة العرب، فرأوا أن حادثة الحلة المسمومة أكثر تشويقاً وأوفر شاعرية من هذا الموت العادي، فألفوا تلك الأسطورة الجميلة، وسموا الشاعر "ذا القروح".

- أما محمد صالح سمك (أمير الشعر في العصر القديم: ٢٩٣) فقد أنكر - هو الآخر - مسألة الحلة، وكان رأيه فيها مماثلاً لبعض الشيء لرأي جرجي زيدان؛ قال: ونحن لا نعرف حلة مسمومة كهذه الحلة لها هذا التأثير العجيب، ولذلك فهي في نظري أشبه بالخيال منها بالقول اليقين، بل إنها من خرافات التاريخ، وليس في شعر امرئ القيس ما يدل على أن موته كان بسبب حلة مسمومة، وكل ما دل عليه شعره أنه قد تفسّخ بدنه، وأن الطّمّاح وشى به إلى قيصر لا غير. والرأي عندي أن امرأ القيس مات بالجذري كما ذكر ذلك نونوسوس المؤرخ الروماني.

-- وأما سسلیم الجندي (امرؤ القيس: ٢٥) فقد فسّر موته بالحلة المسمومة على نحو مغاير، دون أن يشكك في الخبر المروي عنها، فيذكر أن موته بالحلة المسمومة يجوز أن يكون أصابه قروح من احتكاك الثياب بجسمه فخالطها السمّ، كما يجوز أن تكون تلك القروح التهبّت فأودت بحياته.

الفعل، وعلى كل حال فإن امرأ القيس قتل ولم ينل أرباباً، ويفند أحد محرري دائرة المعارف الإسلامية رأي القدماء في موت امرئ القيس بالحلة المسمومة بقوله<sup>(١)</sup>: "وتزعم الرواية العربية أن يوستينيانس أراد أن يثار لشرفه الذي لوته امرؤ القيس بتغريره بابنته فخلع عليه حلةً فظهرت في جسمه قروح، ومن ثم عرف بذئ القروح، والحق أنه لم يكن ببلاط يوستينيانس أو ببلاط خلفه يوستيوس أميرة لها نفس الأوصاف التي ذكرها امرؤ القيس".

ويبدو أن هذه الرواية - القائلة بموت امرئ القيس مسموماً بالحلة، وعلاقته بابنة القيصر التي كانت وراء حثفه - قد شغلت بعض المستشرقين في ترجماتهم لامرئ القيس؛ فيرى بروكلمان<sup>(٢)</sup> أن فجور هذا الشاعر بإحدى بنات ملك الروم، ثم أمره بقتله في أنقرة وهو في طريق عودته - مخترع عليه؛ لأنه كثيراً ما كان يفاخر بمغامراته مع النساء<sup>(٣)</sup>، وأن قصة موته محترقاً لأنه لبس

---

(١) دائرة المعارف الإسلامية ٤: ٤٠٦. وينقض هذا الرأي ما ذهب إليه الطاهر أحمد مكي (امرؤ القيس حياته وشعره: ٩١-٩٢)، فهو يرفض أن يكون الامبراطور غضب على شاعرنا لأنه شيب بابنته، إذ لا يستبعد أن يكون عندما رآها أعجب بها، ومن ثم تغزل بها، وهو أمر ليس مستغرباً من شاعر تعود الحديث عن النساء والتشبيب بهن، ولم يكن التغزل في امرأة جميلة مما يعاب في بيزنطة في عصر امرئ القيس ولا بعده. ويحتج لذلك بخبر رواه المقرئ (نفع الطيب ٢: ٢٥٨-٢٥٩) عن شاعر عربي وهو يحيى الغزال، جاء ببلاط قيصر سفيراً لعبدالرحمن الناصر خليفة الأندلس، فأعجبهت زوجة الامبراطور فتغزل بها، وكان الامبراطور مسروراً بما قيل عن جمال زوجته، وكانت زوجته أكثر منه سروراً.

(٢) تاريخ الأدب العربي ١: ١٥٦.

(٣) أوضح مثال على ذلك: يوم دارة جلجل، ديوانه: ١٠-١٢، وانظر: ١٣-١٨، ٢٩-٣٢، ١٥٨-١٥٩، ٢٣٠-٢٣١، ٢٤١-٢٤٢، الشعر والشعراء: ٦٥-٦٦، امرؤ القيس حياته وشعره: ٥٨-٦٠، امرؤ القيس شاعر المرأة والطبيعة: ١٤، امرؤ القيس الملك الضليل: ٥٢-٥٥، مجلس المرأة وزينتها في العصر الجاهلي: ٥٢-٥٥.

حلة مسمومة منحولة عليه أيضاً، ويعلّل منشأ ذلك - عند مَنْ ذهبوا هذا المذهب - سوء فهم بعض الأبيات من قصيدته: وبُذِلَتْ قرحاً دامياً بعد صحة<sup>(١)</sup>.

ولعل من أفضل الآراء في هذا الباب رأي الأستاذ حسن السندوبي الذي عرض لمسألة الخلّة وموت امرئ القيس، فهو يقول<sup>(٢)</sup>: "من تضارب هذه الأقوال يرجح أن مسألة الخلّة لا أصل لها: وإذا كان القيصر يريد إهداءه شيئاً لقدم إليه الهدية وهو عنده ولم يرسلها مع رسول بعد انفصاله عنه، وأن وشاية الطمّاح لم تترك لها أثراً في نفس القيصر وإلا لما أقام له هذا التمثال<sup>(٣)</sup>. ومن المعروف أن قياصرة الروم كانوا يتودّدون إلى العرب ويتألّفونهم ليكونوا في جانبهم ضدّ أكاسرة الفرس الذين كانوا معهم في نزاع دائم. والظاهر أن الطمّاح هو الذي أصيب بداء الجدري<sup>(٤)</sup> وسرت عدواه منه إلى امرئ القيس فتأثر به أشدّ تأثر حتى قضى عليه. ولذلك سمّاه في بيتيه الآتين داءً ولم يسمّه سمّاً، وفي ذلك يقول امرؤ القيس<sup>(٥)</sup>:

لَقَدْ طَمَّحَ الطَّمَّاحُ مِنْ بَعْدِ أَرْضِهِ      لِيَلْبِسَنِي مِنْ دَائِهِ مَا تَلْبَسَا  
فَلَوْ أَنَّهَا نَفْسٌ تَمُوتُ سَوِيَّةً      وَلَكِنَّهَا نَفْسٌ تَسَاقُطُ أَنْفَسَا "

(١) انظر ديوان امرئ القيس: ١٠٧-١٠٨، الأبيات ١١-١٣، وسيأتي الحديث عنها.

(٢) شرح ديوان امرئ القيس: ٢٨-٢٩.

(٣) سيأتي الحديث عن ذلك - عمّا قريب - في خبر للأب لويس شيخو اليسوعي.

(٤) انظر الحاشية السابقة.

(٥) انظر ديوان امرئ القيس: ١٠٧-١٠٨. باختلاف في رواية الألفاظ وبتقديم البيت الثاني

على الأول.

ويعلق على البيت الأول بقوله<sup>(١)</sup>: "عبر عن العدوى بالإلباس ولذلك سماه داءً. وقال: ما تلبسا، يريد ما أصيب به في هذا الداء. ولعل الرواة قد أخذوا بظاهر اللفظ فتوهموا أن هناك حلة تلبس".

إن ما انتهى إليه السندوبي من تفسير لبيت امرئ القيس، وما ترتب عليه من نتيجة قد قال به المؤرخون قبله وبعده، في القديم والحديث، فذكر بعضهم أن امرأ القيس كان مصاباً بداء قديم<sup>(٢)</sup>، ويغلب على الظن أنه - كما ذكر أبو الفداء - قرحة قد طالت به<sup>(٣)</sup>، وقد ذكر ذلك في شعره<sup>(٤)</sup>، وأن هذا الداء عاوده في بلاد الروم بعد منصرفه عن قيصر<sup>(٥)</sup>، فلما وصل إلى أنقرة ثقل واشتد عليه المرض، فمات هناك<sup>(٦)</sup>. أو أن السم فتك به، فتوفي في هذه المدينة<sup>(٧)</sup>. وفي رأي آخر يفيد أن امرأ القيس كان مصاباً بخلل جنسي في بنيته، وانعكس ذلك في التهاب جلدي لأن العلاقة بين أمراض الجنس وأمراض الجلد مقررة علمياً، وأن المرض هو الذي أودى به في الحقيقة<sup>(٨)</sup>. وفي رواية للأصمعي أن امرأ القيس لمّا بلغ أنقرة - بعد وشاية الأسدي به إلى قيصر - طعن وقُتل وارفَضَ عنه أصحابه<sup>(٩)</sup>.

(١) شرح ديوان امرئ القيس: ٢٨، الحاشية رقم (١).

(٢) تاريخ العرب قبل الإسلام ٣: ٢٦٤، وانظر العرب قبل الإسلام لحسين الشيخ: ١٧١.

(٣) المختصر في أخبار البشر ١: ٧٥.

(٤) ديوان امرئ القيس: ١٠٧، وانظر المختصر في أخبار البشر ١: ٧٥، وسيأتي الحديث عن ذلك.

(٥) انظر الحاشية رقم (٢).

(٦) الشعر والشعراء: ٦٣، وانظر تاريخ العرب قبل الإسلام ٣: ٢٦٤، العرب قبل الإسلام لحسين الشيخ: ١٧١.

(٧) تاريخ العرب قبل الإسلام ٣: ٢٦٤.

(٨) امرؤ القيس حياته وشعره: ٩٢.

(٩) ديوان امرئ القيس: ١٠٨.

والذي يبدو - من تجميع هذه الأخبار - أن امرأ القيس أُصيب بمرض هلك فيه، سواء أكان داءً قديماً أو عدوى سرت إليه من غيره؛ لأنه يتردد صدق هذه الحادثة في شعره، وأن الأقوال الأخرى التي ذكرت موته بغير المرض هي من قبيل الاحتمال والاستأويل والظن أو من نسج الرواة العرب. ويذكر أنه - بعد ذلك - رأى قبر امرأة من أبناء الملوك ماتت هناك فدُفنت في سفح جبل يقال له: عسيب؛ فسأل عنها فأخبر بقصتها، ثم مات فدُفن إلى جنب المرأة فقبره هناك<sup>(١)</sup>. وأشار الباحثي إلى قبره بأرض الروم في إحدى قصائده؛ فقال<sup>(٢)</sup>:

وَأَزْرَتِ الْخَيُْولَ قَبْرَ "امْرِئِ الْقَيْسِ" سِرَاعاً فَعُنَّ مِنْهُ بِطَاءِ

وفي الخبر الذي ضمّنه الأب لويس شيخو اليسوعي ترجمة امرئ القيس إضافة جديدة لنا عن رحلة هذا الشاعر إلى قيصر، ومن ثم تولّيه إمرة فلسطين، ودائسه الذي كان سبباً في موته، وقد رأيت أن أذكر قوله كاملاً لأهميته في هذا المجال؛ فهو يشير إلى أن امرأ القيس قد جاء ذكره في "تواريخ الروم مثل نونوز وبركوب وغيرهما وهم يسمّونه قيساً، وقد ذكروا أنه قبل وروده على قيصر يوستينيانس أرسل إليه [بواسطة الحارث الخامس الغساني]<sup>(٣)</sup> وفداً يطلب منه النجدة على بني أسد وعلى المنذر ملك العراق، [دفعه إلى ذلك ما كان يعرفه

(١) الأغاني ٩: ١٠٠-١٠١، وانظر الشعر والشعراء: ٦٣، الكامل في التاريخ ١: ٥١٩، المختصر في أخبار البشر ١: ٧٥، البداية والنهاية ١: ٢٠٤، تاريخ العرب قبل الإسلام ٣: ٢٦٤.

(٢) ديوانه: ١٨، وانظر تاريخ الأدب العربي لبروكلمان ١: ١٥٦.

(٣) الزيادة من كتاب: امرؤ القيس منتخبات شعرية: ٣٩٢، وذلك كما ذكر فوطيوس ناقل خبر سفارة نونوسوس إلى الحبشة والحميرين وقبائل البادية.

عن العهد المعقود بين جدّه الحارث وانسطاس قيصر، الامبراطور الأسبق<sup>(١)</sup>، وكان مع الوفد ابنة معاوية سيّره امرؤ القيس إلى قيصر ليبقى عنده كرهن. فكتب قيصر إلى النجاشي يأمره أن يجنّد الجنود ويسير إلى اليمن ويعيد الملك لصاحبه، ولعلّ هذا الوفد أرسله امرؤ القيس لما كان عند بني طيّء وطال عندهم مكثه. ثم أخبر المؤرخون الموما إليهم أن امرأ القيس لم يلبث أن سار بنفسه إلى قسطنطينية، فرغبة قيصر ووعده. وقد ذكر نونوز المؤرخ أن يوستينيانوس قلده إمرة فلسطين، إلاّ أنه لم يسع في إصلاح أمره وإعادة ملكه، فضجر امرؤ القيس وعاد إلى بلده وكانت وفاته نحو سنة ٥٦٥م. أصابه مرضٌ كالجدري في طريقه كان سبب موته، ودُكر في كتاب قديم مخطوط أن ملك قسطنطينية لما بلغه وفاة امرئ القيس أمر بأن ينحت له تمثال وينصب على ضريحه، ففعلوا وكان تمثال امرئ القيس هناك إلى أيام المأمون، وقد شاهده هذا الخليفة عند مروره هناك لما دخل بلاد الروم ليغزو الصائفة<sup>(٢)</sup>.

إن إرسال امرئ القيس وفداً قبله إلى القيصر أمر لم نعرفه من قبل، وكذلك لم يذكر أحد من الرواة العرب ذلك العهد الذي أشرنا إليه، والغريب أن رواية هذا الخبر من أوله إلى منتهاه، وغيره من الأخبار التي وردت في تواريخ الروم، لا أصل لها في الروايات العربية، وهي في ظني لا أساس لها من الصحة؛ لأنها تخالف ما تناقله جمهرة الرواة والإخباريين العرب عن رحلة

(١) الزيادة من المرجع السابق: ٣٩٢، وانظر تاريخ العرب قبل الإسلام ٣: ٢٦٦، المشرق: ١٠٠٥، وذكر الأب لويس شيخو اليسوعي أن القيصر انسطاس أرسل جدّ نونوسوس المؤرخ إلى الحارث ليعقد عهداً معه.

(٢) شعراء النصرانية ١: ٣٥، وانظر امرؤ القيس حياته وشعره: ٩٢، امرؤ القيس منتخبات شعرية: ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، أمير الشعر في العصر القديم: ٢٩٤، تاريخ أداب اللغة العربية ١: ١٠٨، تاريخ العرب قبل الإسلام ٣: ٢٦٦، الشوامخ امرؤ القيس: ١٧-١٨، المشرق: ١٠٠٥.

امرىء القيس من جهة، ولأنها قد تكون صيغت وقيلت لتحقق مطالب عندهم توافق مذهبهم من جهة ثانية، فقد ذكر أن يوستينيانس أجاب طلب امرىء القيس لسببين، أولهما: كون الطالب نصرانياً، إذ كان يوستينيانس من الغير على الدين، وثانيهما: وهو الأهم - كما يظهر من قول بركوب - أن عدو امرىء القيس كان المنذر، والمنذر من عمال الأكاسرة منافسي القياصرة في بسط السيطرة على أطراف الجزيرة العربية<sup>(١)</sup>.

ويضيف أحد محرري دائرة المعارف الإسلامية سبباً آخر جديداً تفرّد به، لرحلة امرىء القيس إلى الملك الرومي نختم به حديثنا في وصف هذه الرحلة، فيروي أن الامبراطور يوستينيانس أخذ بنصيحة الحارث بن أبي شمر الغساني والي بادية الشام، فدعا امرأ القيس إلى القسطنطينية حوالي عام ٥٣٠م ليستعين به على الفرس، ومكث هذا الشاعر طويلاً في القسطنطينية، ثم استعمله على الشام وعلى القبائل التي تعيش على الحدود، ولقب بلقب فيلارق Phylarck أي الوالي، ولكنه توفي في أنقرة فيما بين عامي ٥٣٠ و ٥٤٠م<sup>(٢)</sup> أثناء رحيله لتولي منصبه هذا<sup>(٣)</sup>.

وأرى أن ما روي عن دعوة الملك الرومي لامرىء القيس إلى القسطنطينية، وجعله أميراً على قبائل فلسطين ليستعين به على الفرس - منحول

(١) انظر امرؤ القيس منتخبات شعرية: ٣٩٢.

(٢) وانظر الشوامخ امرؤ القيس: ٢١. وقيل: كانت وفاته عائداً من القسطنطينية نحواً من عام ٥٦٥م، قريباً من أنقرة. امرؤ القيس حياته وشعره: ٩٢، أمير الشعر في العصر القديم: ٢٩٣.

(٣) دائرة المعارف الإسلامية ٤: ٤٠٦، وانظر شرح ديوان امرىء القيس: ٢٩-٣٠.

عليه للأسباب التي ذُكرت آنفاً، وأضاف بروكلمان أنه حدث حقيقة لابن عمه: قيس بن سلمة<sup>(١)</sup>. وهذا ما لم يقل به أحد من المؤرخين والرواة العرب أيضاً.

فإذا كان وصف رحلة امرئ القيس قد سار على هذا النحو، فذلك لأن المظان التي اعتمدنا عليها في هذا السرد وزوّدتنا بالأخبار السابقة، قد فصلت القول في تنقل امرئ القيس بين القبائل في داخل الجزيرة العربية واليمن، وفي ذكر الأماكن التي أقام فيها إقامة قصيرة أو طويلة، وأجملته في خارجها إلى أن وصل إلى قيصر، وهو وصف يدل - في عمومه وإن تضاربت بعض الآراء - على أن هذا الشاعر ابتدأ رحلته من الجزيرة العربية، ثم اتجه في سيره إلى الغرب إلى أن انتهى به المطاف إلى عاصمة الروم، ويؤرخ بعض المستشرقين هذه الرحلة فيذكر أن ذهب امرئ القيس إلى القيصر يوستينيانس كان حوالي سنة ٥٣٠ للميلاد<sup>(٢)</sup>.

ويبدو من الأخبار التي عرضنا لها أنه كان يعوزها - من أجل أن تكون دليلاً قائماً على صواب استنتاجنا - الشعر الجاهلي، ونعني به شعر امرئ القيس الذي سجّل فيه بعض الأحداث التي حدثت معه، أو الأماكن التي مرّ بها في طريقه إلى بلاد الروم، وفي إقامته عندهم، وفي طريق عودته إلى دياره بعد منصرفه عنهم، حيث انتهت به العودة إلى أنقرة التي كانت نهايته فيها؛ وكذلك شعر عمرو بن قميئة رفيقه في السفر.

---

(١) تاريخ الأدب العربي ١: ١٥٦.

(٢) تاريخ العرب قبل الإسلام ٣: ٢٦٥، وانظر الخبر السابق من دائرة المعارف الإسلامية. ويقرّر الطاهر أحمد مكي أن بداية رحلة امرئ القيس إلى القسطنطينية تقع في زمن قريب من عام ٥٦٣م. انظر حديثه عن ذلك وطرق استدلاله في كتابه: امرؤ القيس حياته وشعره: ٨٨-٨٩.

فإذا كان ذلك كذلك، فإن هذا يسهل علينا الانتقال في الحديث إلى المحور الثاني المتعلق بالأشعار التي أومأنا إليها.

\* \* \*

(٢)

يذكر الرواة أن عمرو بن قميئة كان رافق امرأ القيس في سفره إلى قيصر ملك الروم<sup>(١)</sup>، وقد أشار إلى ذلك امرؤ القيس في شعره؛ فقال<sup>(٢)</sup>:

بَكَى صَاحِبِي لَمَّا رَأَى الدَّرْبَ دُونَهُ      وَأَيَّقَنَ أَنَا لِأَحِقَّانِ بِقَيْصَرَ  
فَقُلْتُ لَهُ: لَا تَبْكْ عَيْنَكَ إِنَّمَا      نَحَاوِلُ مُلْكَأَ أَوْ نَمُوتَ فَنُعْذِرَا

ويذكرون أنه كان من قُدماء الشعراء في الجاهلية، وهو أقدم من امرئ القيس، قيل: كان مع حُجر أبيه، ولقيه امرؤ القيس في آخر عُمره فأخرجه معه إلى

---

(١) انظر المصادر في الحاشية رقم (١) في الصفحة التالية.

وقد ورد في ديوان امرئ القيس (ص: ٣٤٧) من رواية السكري أن الحارث بن حبيب السلمي كان خرج معه إلى الشام، ولكنه لم يكمل الرحلة، فمات في الطريق قريباً من بصرى في تلك الديار؛ فقال يرثيه:

ثَوَى عَسَدَ الوَدِيَّةِ جَوْفَ بَصْرَى      أَبُو الأَيْتَامِ وَالْكَلِّ العِجَافِ  
فَمَنْ يَحْمِي المَضْطَّافَ إِذَا دَعَا      وَيَحْمِلُ خُطَّةَ الأَنْسِ الضَّعَافِ

وانظر امرؤ القيس حياته وشعره: ٨٧.

(٢) ديوان امرئ القيس: ٦٥-٦٦، وفي رواية للمفضل الضبي (ص: ٢١٢): أن الذي خرج مع امرئ القيس إلى قيصر رجل من بني سدوس، ويقال إنه من ضبيعة هو عمرو بن قميئة، وجاء في معاهد التنصيص ١: ٣٨٩ أن هذين البيتين قالهما امرؤ القيس في الربيع ابن ضُبَعِ الفَزَارِي لَمَّا لَجَأَ إِلَى السَّمَوَالِ بن عاديء، وانظر تاريخ العرب قبل الإسلام ٣: ٢٦٢-٢٦٣.

قَيَّصِرَ فِي بِلَادِ الرُّومِ لَمَّا تَوَجَّهَ إِلَيْهِ يَسْتَمِدُّهُ عَلَى بَنِي أَسَدٍ، فَمَاتَ مَعَهُ فِي طَرِيقِهِ، وَسَمَّاهُ الْعَرَبُ عَمْرًا الضَّائِعَ لِمَوْتِهِ فِي غُرْبَةٍ وَفِي غَيْرِ أَرَبٍ وَلَا مَطْلَبٍ<sup>(١)</sup>.

ويروي ابن قتيبة في ترجمته لامرئ القيس، فيقول<sup>(٢)</sup>: "ثم سار ومعه عمرو بن قميئة أحد بني قيس بن ثعلبة، وكان من خدم أبيه، فبكى ابن قميئة وقال له: غررت بنا، فأنشأ امرؤ القيس يقول: "وروى أبياته<sup>(٣)</sup>. ويشكك بعض المستشرقين في مرافقة عمرو هذا لشاعرنا، فيذكر أن خروجه إلى الروم مع امرئ القيس ملك للأسطورة<sup>(٤)</sup>، دون أن يقدم دليلاً واحداً أو شاهداً مقنعاً على صحة رأيه، الذي خالف فيه ما أتى به الرواة قديماً وحديثاً، والذي نقض فيه قصيدة صحيحة النسبة لامرئ القيس من رواية عالم ثقة هو الأصمعي، من أبياتها أبيات تذكر عمرو بن قميئة وصحبته له والأحداث التي حصلت معهما في هذه الرحلة.

(١) الأغاني ١٨ : ١٣٩، وانظر ص: ١٤٤، ديوان امرئ القيس: ٢١٢، ديوان عمرو بن قميئة: ١٥٦، فحولة الشعراء: ١٠، طبقات فحول الشعراء: ١٦٠، الشعر والشعراء: ٢٩٢ المؤلف والمختلف: ٢٥٤، معجم الشعراء: ٤، الموشح: ٣٢، نشوة الطرب ٢: ٦٢٦، المختصر في أخبار البشر ١: ٧٥، خزنة الأدب ٤: ٤١٢، امرؤ القيس لسليم الجندي: ٢٣-٢٤، امرؤ القيس الملك الضليل: ٣٠، قراءة ثانية في شعر امرئ القيس: ٧٥، الملك الضليل امرؤ القيس: ١٤٥، ١٤٧.

(٢) الشعر والشعراء: ٦٠-٦١.

(٣) روى البيهقي السابقين (بكى صاحبي...) بزيادة بيتين آخرين عليهما، هما:

وَإِنِّي أَذِينُ إِنْ رَجَعْتُ مَمْلُكًا      بِسَيْرِ تَرَى مِنْهُ الْفُرَانِقُ أَزُورًا  
عَلَى ظَهْرِ عَادِي تَحَارُّ بِهَ الْقَطَا      إِذَا سَافَهُ الْعَوْدُ الدِّيَافِي جُرْجَرًا

(٤) انظر تاريخ الأدب العربي لبلاشير: ٢٨٥.

وتبيّن هذه الرواية وسابقتها أن بين امرئ القيس وعمرو بن قميئة سابق معرفة، وأن هذه المعرفة نمت وتطورت بحيث تمكّن شاعرنا من أن يعرض الرحلة وسببها على عمرو بن قميئة، فيوافق هذا الآخر ويكون رفيقه في سفره ذلك. في حين نجد صاحب الأغاني يروي رواية أخرى عن سفر امرئ القيس إلى قيصر تنفي - في محتواها - وجود المعرفة بين هذين الشعاعين، يقول أبو الفرج<sup>(١)</sup>: "نزل امرؤ القيس بن حُجر ب بكر بن وائل، وضرب قَبْتَه، وجلس إليه وجوه بكر بن وائل، فقال لهم: هل فيكم أحد يقول الشعر؟ فقالوا: ما فينا شاعر إلا شيخ قد خلا من عمره وكبر، قال: فأتوني به، فأتوه بعَمْرُو بن قَمِيئَة وهو شيخ، فأنشده فأعجب به، فخرج به معه إلى قَيْصِر، وإياه عَنَى امرؤ القيس بقوله:

بكي صاحبي ... ..... (البيتان)

وقال مؤرّج في هذا الخبر: إن امرأ القيس قال لعمرُو بن قَمِيئَة في سفره: ألا تركب إلى الصَيْد؟ فقال عمرو<sup>(٢)</sup>:

شَكَوتُ إليه أَنّي ذُو جِلالَةٍ      وأُنّي كَبِيرٌ ذُو عِيالٍ مُجَنَّبٍ  
فقال لنا: أهلاً وسهلاً ومرحباً      إذا سَرَكمُ لحمٌ مِنَ الوَحشِ فارْكَبُوا"

(١) الأغاني ١٨: ١٤٤، وانظر ديوان امرئ القيس: ٦٥، ديوان عمرو بن قميئة: ١٥٥-١٥٦،

وروي هذا الخبر في مقدمة القصيدة رقم (١٤) من ديوان ابن قميئة على نحو آخر، حيث

تقول الرواية: ومَرَّ امرؤ القيس بن حُجر الكندي ب بكر بن وائل، فـضرب قِبَابَه؛ فقال: أما

فيكم شاعر؟ فقالوا: بَلَى! بَقِيَ لنا شيخ من قيس بن ثعلبة فسألهم أن يأتوه به. فلما أتاه

استنشدَه، فأعجبه. فقال له امرؤ القيس: اصنحيتي! ففعل؛ فانطلق معه، فهلك؛ ولذا سُمِّيَ عَمْرُأ

الصنانع، فقال عمرو بن قميئة: ". (البيتان)، امرؤ القيس لسليم الجندي: ٢٣.

(٢) انظر ديوان عمرو بن قميئة: ١٥٦، ويروي: "مُحَنَّبٌ".

وسواء كان بين امرئ القيس وعمرو بن قميئة سابق معرفة أو لم تكن هذه المعرفة موجودة أصلاً، فإن امرأ القيس استصحبه معه في رحلته إلى قيصر في بلاد الروم، فأجابه إلى صحبتته، وأنه لما صار إلى سائيدما وهو جبل هناك<sup>(١)</sup>. تذكر أهله ودياره فبكى شوقاً إليهم؛ وفي ذلك يقول<sup>(٢)</sup>:

قَدْ سَأَلْتَنِي بِنْتُ عَمْرٍو عَنِ الْـ      أَرْضِ اللَّيْ تَنْكِرُ أَعْلَامَهَا  
لَمَّا رَأَتْ سَائِيْدَمَا اسْتَعْبِرَتْ،      لله دَرٌّ - الْيَوْمَ - مَنْ لَأْمَهَا!  
تَذَكَّرَتْ أَرْضاً بِهَا أَهْلُهَا      أَخْوَالَهَا فِيهَا وَأَعْمَامَهَا

وقد استدعى ظاهر البيت الأول الرواة إلى تعيين الشخص الذي بكى في هذه الرحلة، خاصة أن الإخباريين لم يشيروا إلى أن عمرو بن قميئة قد اصطحب ابنته معه؛ فقال أبو محمد الأسود الأعرابي في تفسيره عن أبي الندي<sup>(٣)</sup>: "سبب بكائها... أنها لما فارقت بلاد قومها، ووقعت إلى بلاد الروم بكت، وندمت على ذلك، وإنما أراد عمرو بهذه الأبيات نفسه لا بنته، وإنما كنى عن نفسه بها. وسائيدما: جبل بين مئافارقين وسعرت... وقال عمرو هذا الشعر حين خرج مع امرئ القيس إلى الروم<sup>(٤)</sup>، وقصتهما معروفة".

(١) سيأتي الحديث عن "سائيدما" فيما بعد.

(٢) المصدر السابق: ١٨١-١٨٤.

(٣) فرحة الأديب: ٨٧، وانظر تحصيل عين الذهب ١: ٩١، وفيه قال الأعم الشنتمري - ونقله عنه البغدادي في الخزانة (٤: ٤٠٨) - "وصف امرأة نظرت إلى سائيدما - وهو جبل بعينه بعيد من ديارها - فذكرت به بلادها فاستعيرت شوقاً إليها، ثم قال: لله در اليوم من لامها على استعبارها وشوقها، إنكاراً على لائمها، لأنها استعيرت بحق، فلا ينبغي أن تلام"، وعقب البغدادي على كلام الأعم، فقال: "هذا كلامه. وليس هذا معنى الشعر فتأمل"، معجم البلدان ٣: ١٩٠، خزانة الأدب ٤: ٤٠٧.

(٤) في معجم البلدان وخزانة الأدب: "ملك الروم" مع اختلاف يسير في بعض ألفاظ الخبر.

ومما يؤيد القول إن عمرو بن قميئة لم يُردّ بهذه الأبيات بنته، وإنما أراد نفسه قول امرئ القيس: "بكى صاحبي..."، حيث أشار إلى بكاء عمرو عندما صحبه في رحلته، فهما لماً جاوزا بلاد العرب وصارا ببلاد الروم، وأيقن عمرو أنهما لاحقان بقيصر حنّ إلى بلاده فبكى، وكذلك قول ابن قتيبة في ترجمته لامرئ القيس، وأبي الفرج الأصفهاني في ترجمته لعمرو بن قميئة السابقين.

فإذا كان شعر عمرو بن قميئة قد زوّدنا بأبيات يسيرة عن هذه الرحلة، دلّت - في مضمونها - على الموضوع الذي كانت إليه الرحلة وانتهت فيه؛ فإن هذا يدفعنا إلى التساؤل: أي الطرق سلّك، وما هي الأماكن التي مرّ بها، وإلى أي الجهات توجّه؟ ولعل شعر امرئ القيس أوفر حظاً في الإشارة إلى شيء من ذلك! ولكن - قبل أن نمضي في الحديث عن ذلك - لا مناص من أن أشير إلى بيت لعبيد بن الأبرص شاعر بني أسد، وكان معاصراً للأحداث، يذكر فيه رحلة امرئ القيس إلى قيصر، ويسخر من وعيده، ويدعو عليه بالهلاك وأن يلقى مصيره وهو بالشام؛ يقول<sup>(١)</sup>:

أزَعَمْتَ أَنْكَ سَوْفَ تَأْتِي قَيْصِرًا؟      فَلْتَهْلِكَنَّ إِذْنِ وَأَنْتَ شَامِي<sup>(٢)</sup>

إن خبر امرئ القيس مع الغساسنة في طريقه إلى قيصر لا نعلم عنه شيئاً، وليس في شعره هو ما يشير إلى أنه ذهب إليهم رجاء التوسط في الوصول إليه<sup>(٣)</sup>، سوى ما ذكرناه عن صاحب الأغاني وغيره من أنه طلب إلى السموأل بن عادياث أن يكتب له إلى الحارث بن أبي شمر الغساني بالشام -

(١) ديوان عبيد: ١٢٤، وانظر امرؤ القيس حياته وشعره: ٩١.

(٢) وأنت شامي: أي وأنت بالشام قبل أن تصل إلى قيصر.

(٣) تاريخ العرب قبل الإسلام ٣: ٢٦٣.

صاحب النفوذ عند قيصر الروم يومئذ<sup>(١)</sup> - ليوصله إليه، ففعل، واستصحب معه رجلاً يدلّه على الطريق، ومضى حتى انتهى إلى قيصر.

وكذلك لم تشر الأخبار العربية إلى سفره إلى القسطنطينية، ولا إلى كيفية وصوله إلى قيصر<sup>(٢)</sup>، وليس "في كتب الروم أو السريان الواصلة إلينا إشارة إلى هذه الحوادث التي يرويها الإخباريون عن ذهاب امرئ القيس إلى القسطنطينية، وطلبه النجدة من القيصر وموته في أنقرة، ولا عن الشعر الذي قاله في حق القيصر، وفي حق القبر الذي شاهده، وما إلى ذلك مما يذكره الإخباريون. فأمر مثل هذه لا يعرفها هؤلاء"<sup>(٣)</sup>. ويبدو من شعره أنه سلك طريق الشام<sup>(٤)</sup>، وأنه مرّ على "حورّان"<sup>(٥)</sup> و"بعلبك"<sup>(٦)</sup> و"حمص"<sup>(٧)</sup> و"حماة" و"شيزر"<sup>(٨)</sup>، وقال في مسيره قصيدته المشهورة التي مطلعها<sup>(٩)</sup>:

سَمَا لَكَ شَوْقٌ بَعْدَمَا كَانَ أَقْصَرََا      وَحَلَّتْ سُلَيْمَى بَطْنَ قَوْ فَعَرَعَرَا

أمّا ما بعد ذلك من الأماكن التي مرّ عليها حتى وصل إلى عاصمة الروم، فلا نعرف عنها شيئاً.

(١) تاريخ آداب اللغة العربية ١: ١٠٨، وانظر العرب قبل الإسلام لجرّجى زيدان: ٢٤٦.

(٢) تاريخ العرب قبل الإسلام ٣: ٢٦٣.

(٣) المرجع السابق ٣: ٢٦٥.

(٤) سيأتي الحديث عن القصيدة، وانظر بالإضافة إليها: الأغاني ٢٢: ١١٨، ١١٩، تاريخ ابن خلدون ٢: ٥٧٤، معاهد التنصيص ١: ٣٨٨، ٣٩٠.

(٥) مدينة بالشام.

(٦) قرية بالشام بين دمشق وحمص.

(٧) مدينة بالشام.

(٨) موضعان في ناحية الشام، وانظر مروره في هذه الأماكن - بالإضافة إلى القصيدة - في: المختصر في أخبار البشر ١: ٧٥.

(٩) القصيدة في ديوان امرئ القيس: ٥٦-٧١، وانظر المختصر في أخبار البشر ١: ٧٥، شعراء النصرانية ١: ٤٥-٤٩، العقد الثمين: ٧٧-٨٠.

وقد حفظ لنا ديوان امرئ القيس ثلاث قصائد<sup>(١)</sup> من الشعر الذي يتصل بالرحلة إلى قيصر، يلتقي في روايتها العالمان الجليلان الأصمعي والمفضل الضبّي وآخرون<sup>(٢)</sup>، وقصيدة<sup>(٣)</sup> وردت في زيادات ملحق الطوسي من المنحول الثاني<sup>(٤)</sup>، لم تثبت في رواية المفضل والأصمعي وأبي عبيدة، ونسبها غيرهم إلى امرئ القيس، ومقطوعة تفرد الضبّي بروايتها، ومقطوعتان مما زاده السكّري على غيره من الرواة.

والقصيدة الأولى هي الرابعة في الديوان<sup>(٥)</sup>، وعدد أبياتها أربعة وخمسون بيتاً، وقد سبقت الإشارة إلى أنه قالها في الطريق إلى قيصر. جمعت هذه القصيدة صفات شعره في الطور الأول من حياته<sup>(٦)</sup>، فإنه شَبَّبَ فيها بصويحباته،

(١) رواية الأصمعي من نسخة الأعم.

(٢) انظر الفصل الخاص بذلك في ديوان امرئ القيس: تحقيق رواية الديوان: قصائده وأبياته في المواضع: ٣٩٠، ٤٠٠، ٤٠٥، امرؤ القيس حياته وشعره: ٩٤.

(٣) مطلعها:

أَذْكَرْتَ نَفْسَكَ مَا لَنْ يَعودَا      فهاجَ التَّنْكَرُ قَلْباً عَمِيدَا

انظر ديوان امرئ القيس: ٢٥١-٢٥٤.

(٤) وهو الشعر الذي ألحقه شارح النسخة بها، وسمّاه "المنحول الثاني" مما كتبه عن غير الطوسي، والنحل في قصائد هذا القسم ومقطوعاته - وعددها ست وعشرون - بيّن، وتكاد تكون نسبتها لامرئ القيس معدومة. انظر المصدر السابق: ١٢ (المقدمة).

(٥) الذي حقّقه محمد أبو الفضل إبراهيم، والذي اعتمدت عليه في هذا البحث، ص: ٥٦-٧١، وهي الرابعة في مخطوطة الأعم الشنتمري، والخامسة في مخطوطة الطوسي (فيما قرأه الطوسي على ابن الأعرابي من رواية المفضل)، والخامسة في مخطوطة السكّري ومخطوطة البطليوسي، والسادسة عشرة في مخطوطة ابن النحاس، والأربعون في مخطوطة أبي سهل. وانظر امرؤ القيس حياته وشعره: ٩٤-٩٩، امرؤ القيس شاعر المرأة والطبيعة: ١٩٥-٢٠٢، أمير الشعر في العصر القديم: ٣٠٥-٣١٢، قراءة ثانية في شعر امرئ القيس: ٦٤، ٧٤، ٧٥، ١١٠، ١٣١، ١٤٢.

(٦) الطور الأول قبل مقتل أبيه، والثاني بعده.

وذكر الأماكن والديار التي مرَّ بها، ووصف الطرق التي سلكها. وهي تصوّر شخصية امرئ القيس أصدق تصوير في النزوع إلى الماضي والتطلع إلى المستقبل، وتعبّر عن مشاعره المتلونة أوضح تعبير وهو يتأرجح بين جزر اليأس ومدّ الأمل، فهي صدّي حقيقي لواقع قائم، وتجربة قاسية مرَّ بها، وحياة مأهولة بالمتاعب خاضها متحدياً لها. بدأها بمقدمة ظلّية هي أطول مقدمة في ديوانه، وتلائم موضوع الرحلة وتنسجم معه، فقد بعثت صاحبته وقومها، وحلّوا في موضعين متباعدين عن دياره، فاشتدّ لذلك شوقه وتضاعف حزنه، وصاحبته كنانية القبيلة يعمرية الحي، انقطعت عنه وجاورت غسان، ومع ذلك فإن ودّها باق في صدره لا يذهب ولا يتلاشى، فلما ارتحلوا - عن المرتبَع الذي جمعهم - اتّبعهم بنظره حزناً لفراقهم حتى غابوا وراء الأنهار من جنب تيمر. وتراءى للشاعر - وهو في هذا الموقف المؤثر - مظهر الطعائن الجميل وهي تغادر الديار، فأرسل خياله في تصوير هذا المنظر تصويراً ينمّ عن الشعور بالجمال والإحساس بروعة الأشياء، فهوادجهن عالية مختلفة الألوان، تغذّ السير، فتبدو للرائي - من بعيد - حدائق دُوم أو سفينةً مطلياً بالقار تدفعه الرياح، أو نخيلاً عاليات بأسقات يغمر أسافلها الماء، من نخيل ابن يمين في هجر دون الصفا وبعد المُشَقَّر<sup>(١)</sup>. ولكن هذه الطعائن الجميلة الموشاة بألوان من الصوف الأحمر والأصفر لا تشبه حدائق الدُوم أو السفين المطلي أو النخيل ذا الألوان المختلفة وحسب، وإنما تشبه تماثيل من تماثيل سَقْف<sup>(٢)</sup>، على قوائم مرمرية تكسو وادي الساجوم المزبد<sup>(٣)</sup> بنقش ملون، أو صور مزخرفة على جدر مطلية.

وَحَلَّتْ سُلَيْمَى بطنَ قَوْ فَعَرَعَرَا	سَمَا لَكَ شوقٌ بعدما كان أَقصرَا
مجاورة غسان والحسيّ يغمرا	كنانية بانّت وفي الصّدْرِ ودّها
لدى جانب الأفلج من جنب تيمرا	بعينيّ ظغْنُ الحيّ لَمّا تحمّلوا

(١) قصران بناحية اليمامة.

(٢) سَقْف: موضع فيه صور.

(٣) المزبد: ذو الرّبْد.

فَشَبَّهَتْهُمُ فِي الْأَلِّ لَمَّا تَكَمَّشُوا      حَدَائِقَ دَوْمٍ أَوْ سَفِينًا مَقِيرًا  
أَوْ الْمُكَرَعَاتِ مِنْ نَخِيلِ ابْنِ يَامِنٍ      دُوَيْنَ الصَّنَا اللَّائِي يَلِينُ الْمَشْقَرَا  
كَأَنَّ دُمَى سَفْفٍ عَلَى ظَهْرِ مَرْمَرٍ      كَسَسَا مَزِيدَ السَّاجُومِ وَشَيْئًا مُصَوَّرَا

وأتبع الشاعر الحديث عن رحلة الطعائن بغزل حيي وقور على غير ما عرف عنه من الغزل الإباحي والخلاعة والمجون والتهتك الخلقى الفاحش، ولعلَّ انشغاله بما يقضَّ عليه مضجعه، ويستحوذ على عقله صرفه عن التفكير بنوازع فواده وإرضاء شهواته، والتلذذ بها ولو على سبيل الذكرى. فالنسوة في الطعائن منعمات مصونات يتحلين بالياقوت<sup>(١)</sup> ويقطع من الذهب المصوغ على هيئة فقار الجردة<sup>(٢)</sup>، ويتطيبن بالطيب الذكي الرائحة الذي انتشرت رائحته العطرة في أرجاء المكان، كما لو كان حقه حميرية<sup>(٣)</sup> رميت بمسك إذفر<sup>(٤)</sup> قد فتقت نافجته فانتشرت رائحته وقويت. وبضروب أخرى من الطيب والعطور كالبان واللبني وأعواد من البخور الهندي كالألوة والرند والكباء<sup>(٥)</sup>. هؤلاء النسوة ذهبن بقلبه، واستولين عليه، وعلقن بحب حبيب لا يستطعن الانفكاك عنه، وكانت سليمي صاحبه تدعيه ثم فارقته وذهبت هي الأخرى بقلبه، وقطعت ما بينه وبينها من حبل الوصال، وكان هذا الحبيب لها فيما خلا من الدهر خليلاً، يختلس النظر إلى

(١) انظر مجلس المرأة وزينتها في العصر الجاهلي: ١٤٠-١٤١، الزينة في الشعر الجاهلي: التزين بالحلي: ١٤٩-١٥٠.

(٢) انظر مجلس المرأة وزينتها في العصر الجاهلي: ١٣٧، ١٥٠ والحاشية رقم (٢)، الزينة في الشعر الجاهلي: التزين بالحلي: ١٥٧.

(٣) هي أداة أو وعاء لحفظ الطيب والحلي، وتكون من الخشب والعاج. انظر مجلس المرأة وزينتها في العصر الجاهلي: ٢٠٦-٢٠٧.

(٤) الإذفر: القوي الرائحة.

(٥) لمزيد من التفصيل في الحديث عن هذه الأنواع من الطيب والعطور، انظر المرجع السابق: ١٦٨-١٧٢، ١٧٧-١٧٨، ١٨١، ١٨٢، الزينة في الشعر الجاهلي: زينة الطيب والعطور: ٢١٠، ٢١١، ٢١٤-٢٢٤، ٢٢٧-٢٢٨، ٢٥٠-٢٥١، ٢٥٧، ٢٦٠-٢٦٣.

خبائنها ذي الأستار الصفاق مخافة الرقباء، إذا فجأها فنظر إليها فزَع قلبه وخَفَق، كَفَزَع التَّمَل إذا نظر إلى الخمر فاستفظعها ورهب منها مع محبته فيها وحرصه على التلذذ بالسُّكَّر منها. وكانت فاترة نشوى، إذا قامت لأمر تمايلت منثنية تداري فؤادها لتشدّد، وتحمل نفسها على التماسك، وتتكلف الجَد لئلا تنهار. ولقد تغيّر ودّها، فإن قطعت ما بينه وبينها لبعده عنها، ووصلت غيره، ومالت بهواها إلى آخر، فله العذر حينئذ أن يستبدل بها غيرها، وأن يميل بهواه إلى امرأة أخرى، فالجزاء من جنس العمل، وإنما يقول هذا عند خروجه إلى قيصر، ومفارقته أهله ودياره. وربما أثر الشاعر - في هذه الأبيات - "مزج ثنائية (الحرمان - الجمال) في تجربة من تجاربه؛ ليعبر بهذا المزج التقابل بينه وبين المرأة، فهو يتمناها من ناحية، لكنه - على غير المألوف - يهتئ لفراقها من ناحية أخرى، وهذا التقابل يبدو جلياً في تجربة مزدوجة بين سلمى وأسماء، حيث يستخلصهما من بين نسائه لهذه المغامرة المميزة"<sup>(١)</sup>.

غرائرُ في كِنِّ وِصُونٍ وَنَعْمَةٍ	يُحَلِّينَ ياقوتاً وشذراً مفقراً
ورِيحَ سَنَا فِي حَقَّةِ حَمِيرِيَّةٍ	تُخَصُّ بمفروك من المسك أذفراً
وباناً وألويّاً من الهند ذاكياً	ورنداً ولبنى والكباء المقترا
غلقن برهن من حبيب به ادعت	سليمي فأمسى حبلاًها قد تبتترا
وكان لها في سالف الدهر خلّة	يسارق بالطرف الخباء المسترا
إذا نال منها نظرة ريع قلبه	كما دعت كأس الصبوح المخمراً
نزيفاً إذا قامت لوجه تمايلت	تراشي الفؤاد الرخص ألا تخترا
أسماء أمسى ودّها قد تغيّرا	سنبدل إن أبدلت بالودّ آخراً

(١) قراءة ثانية في شعر امرئ القيس: ١٠٩.

وانتقل بعد ذلك إلى تذكر أهله الصالحين، وما هو عليه من سفر واغتراب، مسجلاً في الأبيات التالية أحزانه وآلامه النفسية التي اعتورت فؤاده، ورافقتة في مسيره إلى أرض الروم منذ أن فارق أهله ودياره، فهو عندما صار إلى بعض مواضع الشام إلى "خَمَلَى" و "أَوْجَرَ"<sup>(١)</sup> وقد بَعُدَ عن أهله وعن ديار محبوبته، تذكّرهم واشتاق إليهم، ولما دنا من "حَوْران" فبدت له في الآل<sup>(٢)</sup> دون أسماء لم ير شيئاً يسرُّ به، إذ كان كل ما رآه جديداً عليه غريباً عنه، لا يصله به نسب ولا تشدُّه إليه عاطفة<sup>(٣)</sup>، فكان كل ما رآه غير مرئي لحقارته وقبحه في عينه، فلما جاوز حماة وشيّر تقطعت به أسباب الحاجة إلى مَنْ أحب يأساً من اللقاء، وشغلاً بما لقيه من الشدة والعناء. ولطول المسافة وبعد الديار كانوا يسيرون متعجلين، فقد أخذت القافلة تغدّ السير، وتجهد نفسها بسرعة فوق طاقتها، حتى ضجّت الإبل المسنة من سرعتهم، فكان مَنْ تخلف منهم لشيء أصابه لم يتربّص عليه حتى يدركهم. ورغم الأهوال التي ألمّت به، وما لقي من عناء السفر، وبُعد الشقّة<sup>(٤)</sup> لم ينس نساءً في هودج مرتفعة، جلّت حملتهن بالخمل، خضراء اللون كأثل وادي الأعراض، فارقتة عند انقضاء المرتبوع والرجوع إلى المياه، مررن "ببيشة" وخلفن "الغمير" قاصدات "غضور".

تَذَكَّرْتُ أَهْلِي الصَّالِحِينَ وَقَدْ أَنْتَ      عَلَى خَمَلَى خُوصُ الرِّكَابِ وَأَوْجِرَا  
فَلَمَّا بَدَتْ حَوْرَانُ فِي الْآلِ دُونَهَا      نَظَرْتُ فَلَمْ تَنْظُرْ بَعِينِيكَ مَنْظُرَا  
تَقَطَّعَ أَسْبَابُ الْأَسْبَابِ وَالْهَوَى      عَشِيَّةَ جَاوَزْنَا حِمَاءَ وَشَيْزِرَا  
بَسِيرٍ يَضِجُ الْعَوْدُ مِنْهُ يَمْنُهُ      أَخُو الْجَهْدِ لَا يَلْوِي عَلَيَّ مَنْ تَعَدَّرَا

(١) موضعان قبل الشام.

(٢) الآل: السراب.

(٣) امرؤ القيس حياته وشعره: ٩٥.

(٤) الشقّة: بُعد مسير إلى الأرض البعيدة.

ولم يُنْسِنِي مَا قَدْ لَقِيتُ ظَعَانِنَا      وَخَمَلًا لَهَا كَالْقَرِّ يَوْمًا مُخَدَّرًا  
كَأَنَّكَ مِنَ الْأَعْرَاضِ مِنْ دُونِ بَيْشَةَ      وَدُونَ الْغَمَّيْرِ عَامِدَاتٍ لِعَضُورًا

وخرج من هذا إلى وصف ناقته الجسرة<sup>(١)</sup> الذمول<sup>(٢)</sup> وإلى الفخر بنفسه، حتى إذا أرضى نفسه في وصفها بستة أبيات أشار إلى أنها تحمل على ظهرها فتى لم تحمل الأرض مثله، وفاء بما عاهد، وصبراً على ما يجد. ويفخر بنفسه على بني أسد ويخوفهم منه، فيذكر الأعمال التي قام بها للتأثر لأبيه، فهو المنزل الألوفا من حصن ناعط بأرض همدان، فإذا أرادوا النجاة بأنفسهم فعليهم أن ينزلوا بما غلظ من الأرض وخشن، وأن يتحصنوا بالجبال. ويزعم أنه لو شاء لغزاهم من أرض حمير بقومه وأصحابه، ولكنه استنجد بملك الروم، وطلب العون منه، تشجيعاً عليهم، وإبلاغاً في نهكهم، وتبيين شرفه وفضله لمشاركة ملك الروم له.

فَدَعَّ ذَا وَسَلَّ الْهَمَّ عَنْكَ بِجِسْرَةٍ      ذَمُولٍ إِذَا صَامَ النَّهَارُ وَهَجَّرَا

.....

عليها فتى لم تحمل الأرض مثله      أهرِّ بميثاقٍ وأوقى وأصبراً  
هو المنزل الألوفا من جو ناعط      بني أسد حزنًا من الأرض أوعراً  
ولو شاء كان الغزو من أرض حمير      ولكنه عمداً إلى الروم أنقرا

ويرافقه في هذه الرحلة - كما أخبرنا - عمرو بن قميئة، وكان شيخاً كبيراً<sup>(٣)</sup>، وقد أحس عمرو خلال هذه الرحلة الشاقة بقسوة الغربة، وعذاب

(١) الجسرة: الناقة النشيطة.

(٢) الذمول: التي تسير سير الذميل، وهو سير سريع.

(٣) الأغاني ١٨: ١٣٩، ١٤٤، وغيره.

الوحدة، ووحشة الدار، فعندما جاوز وصاحبه بلاد العرب إلى بلاد الروم، مخلفين وراءهما أرضاً عزيزة وذكريات جميلة، وأيقن عمرو أنه صائر إلى قيصر لا محالة، حنَّ إلى بلاده فبكى، فيسليه امرؤ القيس عن البكاء، ويخفف من آلامه وأحزانه بأن يصير على ما يجد حتى يدركا ما يطلبان من الملك، بالوصول إلى قيصر والرجوع إلى قتال بني أسد، إلا أن يحول الموت دون ذلك، فيكون لهما العذر إذ لم يقصرا في الطلب. ويطيب خاطرهم ويهدئ من روعه فيذكر له لئن استجاب له قيصر، ورجع من عنده بجيش عظيم يستعيد به ملكه، فإنه كفيل بأن يسير سيراً شديداً، يطوي الأرض طياً، فيبلغا ديارهما في زمن وجيز.

بَكَى صَاحِبِي لَمَّا رَأَى الدَّرْبَ دُونَهُ      وَأَيَّقِنَ أَنَا لِأَحِقَّانِ بِقَيْصَرَ  
فَقُلْتُ لَهُ لَا تَبْكِ عَيْنُكَ إِنَّمَا      نَحَاوِلُ مُلْكاً أَوْ نَمُوتَ فَتَعْدِرَا  
وَإِنِّي زَعِيمٌ إِنْ رَجَعْتَ مُمْلِكاً      بِسَيْرٍ تَرَى مِنْهُ الْفُرَاتِقُ<sup>(١)</sup> أَرْوَرَا

ثم أعقب ذلك في وصف الطريق الذي سلكه، فهو طريق غير مسلك ليس فيه علم ولا منار فيبهتدي به، إذا شمته الإبل المسنة رغت لبعده وما تلقى من مشقته، على فرس قوي مقصوص الذنب استعمل من قبل في سير البريد، خميص البطن كذنب الغضا، ماض في الجري، يتحدر العرق من جوانبه لشدة السير ومشقته، إذا حركه بالركض وبالزجر من جانبيه كليهما تبخر في مشيه، ومال في أحد جانبيه، ثم حرك فمه باللجام عبثاً ونشاطاً.

فإذا اطمأن الشاعر إلى أنه خفف عن رفيقه ألم الغربة، وهون عليه بُعد الشقة، واصل مسيره حتى إذا جهدا وشقَّ عليهما السير دعا امرؤ القيس الفرانق

(١) الفرانق: الذي معه، دليل أو غيره.

إلى الغناء والتطريب لبروح عنهما، ويسليهما عن بعض ما يجدا من المشقة والعناء، فأرن وهو على فرس قوي شديد، لئن العروق والمفاصل، مقطوع الذنب.

على لأحب لا يهتدى بمناره  
على كل مقصوص الذنابي معاود  
أقب كسر جان الغضا ممتطر  
إذا زغته من جانبيه كليهما  
إذا قلت روعنا أرن فرانق  
إذا سافه العوذ النباطي جزراً  
بريد السرى بالليل من خيل بربرا  
ترى الماء من أعطافه قد تحذراً  
مشى الهندي في دقه ثم فرقراً  
على جعد واهي الأبالج أبتراً

ويواصل الشاعر سيره في الشام متنقلاً في قراها في مواضع كان فيها غريب اليد واللسان، إلى أن صار إلى بعثتك فأنكره أهلها، وكان أهل حمص أشد إنكاراً له، وذلك لعدم معرفتهم به، وحينئذ أرسل خياله يرود آفاق الوطن فتذكر الأحبة فأخذ يراقب هطول المطر ليعلم أين وقع ومصبه، طمعا منه أن يكون في ديار من يحب، فيشتفي بذلك، ولكن لا شيء يشفيه من الشوق إلى ابنة عفزر والحنين إليها. هي من المتحبيات إلى أزواجهن اللاتي لا تطمح أعينهن إلى غيرهم تعففاً وحسن صحبة، ناعمة رقيقة لو مرت نملة صغيرة فوق ثوبها لأثرت في جلدها.

وليست ابنة عفزر المرأة الوحيدة - من بين النساء اللاتي عرفهن - التي تذكرها والتي كانت تشده إلى وطنه، وإنما كان لصاحبتيه أم هاشم والسياسة ابنة يشكر ماضٍ معه وذكرى، فهو يلوم نفسه إن مضت به الرحلة وأمسى بعيداً عنهما، نائياً عن ديارهما، لما يلقي من الوجد بهما والاشتياق إليهما.

تَقْدُ أَنْكَرْتَنِي بَعْلَبِكُ وَأَهْلَهَا      وَلَاابِنُ جُرَيْجٍ فِي قُرَى حِمَصٍ أَنْكَرَا  
نَشِيمُ بُرُوقِ الْمُزْنِ أَيْنَ مَصَابِهِ      وَلَا شَيْءَ يَشْفِي مِنْكَ يَا بِنَةَ عَقْرَا  
مَنْ الْقَاصِرَاتِ الطَّرْفِ لَوْ دَبَّ مَحْوِلٌ      مِنْ الذَّرِّ فَوْقَ الْإِتْبِ مِنْهَا لِأَثْرَا  
لَهُ الْوَيْلُ إِنْ أَمْسَى وَلَا أُمَّ هَاشِمٍ      قَرِيبٌ وَلَا الْبَسْبَاسَةَ ابْنَةَ يَشْكُرَا

ولم يزل امرؤ القيس كذلك ينتقل من بلد إلى آخر، حتى إذا أمضى خمس عشرة ليلة سيراً وراء الحساء من أعمال قيصر، بدا له أن أم عمرو بن قميئة تبكي عليه لبعدها عنه وشوقها إليه، وما كان أصبرها قبل فراقها له<sup>(١)</sup>!

ويبدو أن امرأ القيس لم يلق في الديار الجديدة ما يسره ويقرّ عينه، فأخذ يشكو حظه من الدنيا، ويتألم لتغير الدهر له، فهو كلما لقي إنساناً ورجا منه حسن الصحبة خانته وتغير عنه، وأخلف ظنه، فانتقل إلى آخر واستبدل به غيره، ولكن الناس سواسية في هذا الخلق.

أَرَى أُمَّ عَمْرٍو دَمَعُهَا قَدْ تَحَدَّرَا      بكَاءَ عَلَى عَمْرٍو وَمَا كَانَ أَصْبِرَا  
إِذَا نَحْنُ سِرْنَا خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً      وَرَاءَ الْحِسَاءِ مِنْ مَدَافِعِ قَيْصِرَا  
إِذَا قَلْتُ هَذَا صَاحِبٌ قَدْ رَضِيْتُهُ      وَقَرَّتْ بِهِ الْعَيْنَانِ بَدَلْتُ آخِرَا  
كَذَلِكَ جَدِّي، مَا أَصَاحِبٌ صَاحِبًا      مِنَ النَّاسِ إِلَّا خَانَنِي وَتَغَيَّرَا

ويختتم الشاعر قصيدته مفتخراً بقومه في أصلهم البعيد، فقد كانوا قبل غزوة قرمل يتوارثون الغنى والمجد كائناً عن كائناً، ولئن تراخى أصحابه عن اللقاء - في أحد الأيام - فليس ذلك لجبن أدركهم، أو ضعف استولى عليهم،

(١) أو وما كان عمرو أصبر من أمه حين بكى لما رأى الذرب دونه، بعيداً عن صحبه وأماكن لهوه.

ولكنهم ذكروا المواطنين والأهل، وحنّت نفوسهم إليها، فرجعوا عن العدو حرصاً على اللحاق بالأهل، ولتشفى النفوس بلقائهم. وما أكثر الأيام التي شهدتها في "تأذف"<sup>(١)</sup> و "طرطر" فكانت له فيها الظفر والغلبة، ولكن ليس يوم - في حياته - مثل يوم "قذاران" حيث كان ظفره في هذا اليوم أشدّ ظفراً، وغلبته أقوى غلبة، وإن كان قد أصاب حاجته وأدرك طلبته، فقد كان وأصحابه فيه على حذر وقلة طمأنينة كأنهم على قرن ظبي. ويزهو بعادة كانت موجودة عندهم أنهم كانوا يشربون حتى يذهب السكر عقولهم، ويحير أبصارهم فيحسبوا الخيل حولهم غنماً، والسود حمراً.

وَكُنَّا أَنَاسًا قَبْلَ غَزْوَةِ قَرْمَلٍ	وَرَثْنَا الْغِنَى وَالْمَجْدَ أَكْبَرَ أَكْبَرًا
وَمَا جِئْت خَيْلِي وَلَكِنْ تَذَكَّرْتُ	مَرَابِطَهَا مَسْنِ بَرَبِيعِصَ وَمَيْسَرًا
أَلَا رَبُّ يَوْمٍ صَالِحٍ قَدْ شَهِدْتُهُ	بِتَأْذِفِ ذَاتِ اللَّئْلِ مِنْ فَوْقِ طَرْطَرًا
وَلَا مِثْلَ يَوْمٍ فِي قُذَارَانَ ظَلَّتُهُ	كَأَنِّي وَأَصْحَابِي عَلَى قَرْنِ أُعْقَرًا
وَنَشْرَبُ حَتَّى نَحْسِبَ الْخَيْلَ حَوْلَنَا	نِقَادًا وَحَتَّى نَحْسِبَ الْجَوْنَ أَشْقَرًا

إن انتقال الشاعر انتقالاً مفاجئاً من الحديث عن رحلته إلى قيصر، وعن المتاعب والأهوال التي واجهته في سفره هذا إلى الفخر بقومه، يجعلنا نشعر بوجود فجوة كبيرة بين الموضوعين تحول دون ترابطهما في المعنى والمضمون، وفي تسلسل الأحداث، إمّا لأن الشاعر لم يحسن الانتقال من موضوع إلى آخر، ولم يأت بأداة يربط بها بينهما ولو كانت محاولة متكلفة، وإما - وهو احتمال نذهب إليه - أن تكون أبيات بينهما قد ضاعت، ويقال من قيمة هذا الاحتمال أن أحداً من الرواة الثقات لم ينصّ على ذلك.

(١) في معجم ما استعجم: ٣٠٠ دون همز، موضع قبل طرطر.

ويبدو أن أخبار امرئ القيس مع قيصر كانت قليلة، أو أنه لم يسجل في شعره ما دار بينه وبين الملك الرومي من أحاديث شتى عن منادمته له، وبيان منزلته عنده، أو عشقه لابنته، وقد نجد له العذر في عدم الاهتمام بتضمين هذه الأحداث في شعره وقتئذ، لأنه كان مشغولاً بإقناع قيصر بتقديم العون والمدد له على بني أسد قتلة أبيه، وربما استغرق اقناعه وقتاً، لأن "النجدة التي طلبها امرؤ القيس كبيرة جداً، والجيس الرومي لم يكن مستعداً للقتال في الصحراء، ثم إن الغاية التي جاء من أجلها امرؤ القيس - وهي الأخذ بثأر رجل واحد - كانت بعيدة عن سياسة الروم ومألوفهم، فضلاً عن أن الامبراطورية الرومانية كانت مهتدة بهجمات البرابرة، ومن ثم فالامبراطورية كانت في حاجة إلى الدفاع عن امبراطوريته بنفسها"<sup>(١)</sup>. حتى هذه الحادثة - التي هي هدف الرحلة - لم يذكرها امرؤ القيس في شعره إلا ذكراً يسيراً، كما هو الحال في هذه القصيدة.

والذي يبدو لي أن امرأ القيس لم يكن معنياً - عندما رحل إلى القسطنطينية - في الأخذ بثأر أبيه، وأن الدافع إلى الرحلة كما تناقله الرواة والإخباريون قد يكون وهماً وقع فيه القدماء، وتبعهم المحدثون على ذلك، لأنه - في الحقيقة - ثأر لأبيه، وقتل أناساً كثيرين وهو في داخل الجزيرة العربية، واحتمال أن يرحل إلى الامبراطور البيزنطي من أجل هدف كهذا يبدو أمراً مستهجناً حقاً. والواقع أن امرأ القيس كان يسعى لاستعادة سلطانه وإحياء عرش أبيه وأجداده، بحيث يصبح ملكاً موفور الجانب، مسموع الكلمة، في منطقة تضم العديد من القبائل العربية، ويذل خصمه المنذر بن ماء السماء<sup>(٢)</sup>، وقد صرح بهدفه هذا في قوله لرفيقه:

(١) العرب قبل الإسلام لحسين الشيخ: ١٧١.

(٢) انظر في ذلك امرؤ القيس حياته وشعره: ٩١، امرؤ القيس شاعر المرأة والطبيعة: ١١، امرؤ القيس الملك الضليل: ٤٤، أمير الشعر في العصر القديم: ٢٧٣، الشوامخ امرؤ القيس: ١٦، الملك الضليل امرؤ القيس: ١٤٦.

فقلتُ له: لا تَسْبِكْ عَيْنَكَ إِنَّمَا نَحاولُ مُلْكاً، أو نَمُوتَ فَنُعْذِرًا

والقصيدة الثانية التي تتصل برحلة امرئ القيس إلى قيصر هي القصيدة الثالثة عشرة في الديوان<sup>(١)</sup>، وهي أقصر من الأولى ومن التي تليها، عدد أبياتها أربعة عشر بيتاً، ويبدو منها أنه قالها لما شارف على أنقرة في طريق عودته إلى دياره. ويذكر الرواة في مناسبتها أن قيصر أرسل معه جيشاً كثيفاً، فلما قفل به راجعاً إلى دياره، وشى به الطمّاح عنده، فأرسل قيصر في طلبه رسولاً، فأدركه دون أنقرة بيوم، ومعه حلة مسمومة منسوجة بالذهب، فلبسها في يوم صائف فرحاً بها، فتناثر لحمه، وتفتّر جسده، فسمي لذلك ذا القروح، فقال هذه القصيدة يصف ما به، على أن مضمونها يوحي بغير ذلك، ويناقض هذا الخبر مناقضة واضحة.

بدأ القصيدة بمقدمة طالية قصيرة لا تتجاوز ثلاثة أبيات، يدعو فيها صاحبيه إلى النزول على الطلل مساعدة له حتى يسأله عن أهله، وقد ناداه وتحدّث إليه فلم يجبه، وكأنه ينادي أو يكلم أخرساً، خلت الديار من أهلها فلا أنيس بها يستقرّ عندهم، ويقوم فيهم، ولو أن أهل الدار فيها كما عهدهم زمن

(١) ص: ١٠٥-١٠٨، وهي الثالثة عشرة في مخطوطة الأعم الشنتمري، والرابعة عشرة في مخطوطة الطوسي (فيما قرأه الطوسي على ابن الأعرابي من رواية المفضل)، والتاسعة عشرة في مخطوطة السكري، والرابعة عشرة في مخطوطة البطليوسي، والسادسة والثلاثون في مخطوطة ابن النحاس، والثالثة والأربعون في مخطوطة أبي سهل. وانظر الشعر والشعراء: ٦٢، تاريخ اليعقوبي ١: ٢٢٠، الأغاني ٩: ١٠٠، الكامل في التاريخ ١: ٥١٩، نشوة الطرب ١: ٢٥٢، المختصر في أخبار البشر ١: ٧٥، شعراء النصرانية ١: ٣٣-٣٤، امرؤ القيس حياته وشعره: ١٠٠-١٠١، امرؤ القيس الملك الضليل: ١٣٦-١٣٨، أمير الشعر في العصر القديم: ٣١٢-٣١٤، الشوامخ امرؤ القيس: ١٨-٢٠ قراءة ثانية في شعر امرئ القيس: ٦٣، ٦٤، ١٣١، ١٤٢.

المرتبع لنزل فيهم ظهراً واستراح عندهم ليلاً. أنكره أهلها لما أتاها فلم يجد فيها ما يوافقها ويسرّ عينه، وهو الذي عرفوه وصحبوه أياماً ارتبَعوا فيها غَوَلاً والعس.

أَلَمَّا عَلَى الرَّبْعِ الْقَدِيمِ بَعَسَسَا      كَأَنِّي أَنَادِي أَوْ أَكَلَمُ أَخْرَسَا  
فَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الدَّارِ فِيهَا كَعَهْدِنَا      وَجَسَدْتُ مَقِيلًا عِنْدَهُمْ وَمُعْرَسَا  
فَلَا تُتَكْرَوْنِي إِنِّي أَنَا ذَاكُمْ      لِيَالِي حَلَّ الْحَيِّ غَوَلاً فَالْعَسَا

والمقدمة ذات صلة بموضوع القصيدة، أراد الشاعر فيها أن يبين أنه أصبح بعيداً عن دياره، غريباً عن أهله وقومه، في مواضع لا يعرفه أحد، ولا يعرفهم، ولا يجد فيهم من يواسيه، ويخفف من آلامه وأوجاعه، ولذلك كان انتقاله إلى ذكر مرضه انتقالاً طبيعياً مهدت له هذه المقدمة، فهو يتحدث عن داء فيه منها يمنعه النوم، ويدفعه إلى السهر، فلا ينام منه شيئاً إلا أن يُكَبَّ<sup>(١)</sup> فينعس. ومع ظلمة الليل يتذكر داءه القديم ويخشى أن يصاب بنكسة<sup>(٢)</sup> يعاوده فيها هذا المرض، ويبدو أن امرأ القيس أصيب في هذه الديار بداء ذكر شيئاً من أعراضه - فيما يلي من أبيات - يختلف عن دائه القديم، الذي عاوده كذكرى مع الليل، وهو الوقت الذي ينفرد فيه الإنسان بنفسه، ويتذكر همومه وآلامه. ويظهر أن في هذين البيتين فصلاً بين نوعين من الداء الذي أصيب به شاعرنا، داء جديد أصيب به في ديار الروم، وداء قديم أصيب به في دياره، وأن الداء الجديد كان وراء موته، ولكن لا مانع من التأويل أنه بعد أن تردت صحته وصار إلى حالة من البؤس والعجز عاوده مرضه القديم فاجتمع الاثنان، فكانت نهايته بهما.

(١) الإكباب: ملازمة الشيء مع انعطافٍ عليه وانحناء.

(٢) نُكِسَ الرجل: إذا ضعف وعجز.

فإِذَا تَرَيْتَنِي لَا أَعْمَضُ سَاعَةً      مِنْ اللَّيْلِ إِلَّا أَنْ أُكَبَّ فَأَنْعَسَا  
تَأْوِبَتَنِي دَائِي الْقَدِيمُ فَعَلَسَا      أَحَازِرُ أَنْ يَرْتَدَّ دَائِي فَأَنْكَسَا

ومع إحساس الشاعر بالعجز والضعف يفرّج عن نفسه ويخفف من مصابه باستعادة ذكرياته أيام الشباب والقوة، فيتبادر إلى ذهنه الأعمال التي قام بها وهو سليم معافى، فما أكثر ما أنجد مكروباً، عطف من ورائه وطاعن عنه أصحاب الخيل - وهو هارب منهزم - حتى أفلت منهم، وما أكثر الأيام التي كان يُعنى فيها بنفسه مرجلاً شعره، فيبدو شاباً ناعماً حبيباً إلى الصبايا، يشدّهن صوته، فيرجعن إليه حباً وكلفاً به، كما ترجع النوق الفتية إلى الفحل. ولكنه اليوم غيره بالأمس فقد قلّ ماله وشاب شعره وتقوَّس ظهره، وهذه أمارات الكبر وعلامات الهرم تنفر النساء منه، ومن أي إنسان، على أن امرأ القيس إذا لجأ إلى التعميم كان كلامه حكماً وأمثالاً<sup>(١)</sup>.

فِيَا رَبِّ مَكْرُوبٍ كَرَرْتُ وِرَاءَهُ      وَطَاعَنْتُ عَنْهُ الْخَيْلَ حَتَّى تَنْفَسَا  
وَيَا رَبِّ يَوْمٍ قَدْ أَرُوخُ مَرْجَلًا      حَبِيبًا إِلَى الْبَيْضِ الْكَوَاعِبِ أَمَلَسَا  
يِرْعَنُ إِلَى صَوْتِي إِذَا مَا سَمِعْتَهُ      كَمَا تَرَعَوِي عَيْطٌ إِلَى صَوْتِ أَعْيَسَا  
أَرَاهُنَّ لَا يُحِبُّنَّ مَنْ قَلَّ مَالُهُ      وَلَا مَنْ رَأَيْنَ الشَّيْبَ فِيهِ وَقَوَّسَا

ويعود الشاعر بعد ذلك إلى مرضه، ويبدو أنه كان يأمل البرء منه ولكنه طال واشتدّ عليه في تلك الأونة، فهو لا يخشى أن تقسو عليه الحياة، حتى ولو ضعف وشقَّ<sup>(٢)</sup> عليه المرض بحيث يعجز معه عن ارتداء ثيابه بنفسه، وأسوأ ما

(١) الشوامخ امرؤ القيس: ٢٠.

(٢) أي ثقّل عليه.

يمرّ عليه في مرضه أن نفسه لا تخرج مرّة واحدة، ولكنها تموت شيئاً بعد شيء، وكأنها مؤلفة من عدة أنفس تموت الواحدة منها تلو الأخرى، وفي ذلك أبرع تصوير لطول عذاب النفس في مرض الموت<sup>(١)</sup>. لقد بدّل بصحته مرضاً، وتناثرت القروح على جسده، ولعل ما به من شدة الحال والبلاء عوض من الموت أو بدّل منه. انتقلت عدوى هذا المرض إليه من رجل يدعى الطّمّاح، كان أصيب بداء تأثر به امرؤ القيس أشدّ تأثر حتى قضى عليه.

ورغم ما لحق به من عناء السفر، وقسوة المرض، وتغيّر الحال، فإنه يتعلّق بالأمل في أن يعقب الشدة رخاء، والفقير غنى، والشيب عمراً ومستمتع.

وما خفتُ تبرّيحَ الحياة كما أرى	تضيقُ ذراعي أن أقومَ فألبسنا
فلو أنها نفسٌ تموتُ جميعاً	ولكنّها نفسٌ تساقطُ أنفساً
وبدلتُ قرحاً دامياً بعد صحّة	لعلّ مَنايانا تحوّلن أبوساً
لقد طمّح الطّمّاح من بُعد أرضه	ليلبسني من دائه ما تلبسنا
ألا إنّ بُعد الغدّم للمرء قنوة	وبعد المشيب طولُ عمُرٍ وملبسا

والقصيدة الثالثة التي تتصل برحلة امرئ القيس هي القصيدة التاسعة في الديوان<sup>(٢)</sup>، وهي أقصر من الأولى وأطول من الثانية، عدد أبياتها سبعة عشر بيتاً، ويبدو منها أنه قالها في أثناء عودته إلى بلاده لما ثقل واشتدّ عليه

(١) المرجع السابق: ٢٠.

(٢) ص: ٨٩-٩٣، وهي التاسعة في مخطوطة الأعم الشنتمري، والثامنة في مخطوطة الطوسي (فيما قرأه الطوسي على ابن الأعرابي من رواية المفضل)، والحادية عشرة في مخطوطة السكري، والعاشر في مخطوطة البطليوسي، والثانية والخمسون في مخطوطة ابن النحاس، والثالثة والثلاثون في مخطوطة أبي سهل.

المرض<sup>(١)</sup>. بدأها بمقدمة طليية قصيرة يدعو فيها رفيقيه إلى الوقوف في ديار محبوبته، والبكاء عليها، والتعرف إليها، فقد تغيرت معالمها ودرست آثارها. تعاورتها السنون، وبعُد أهلها بالأنيس حتى تغيرت رسومها وعفت آياتها، فأصبحت كالكتاب خفاء ودقة. تذكره - هذه الرسوم - بالحي مجتمعين زمن المرتبع، وتهيج بقايا ألم في الفؤاد لم يستطع إخفاءه، فتسيل دموعه سيلاناً يبيل رداءه، كما يسيل الماء من مزادة<sup>(٢)</sup> ذات خروق ورقع.

قفا نَبكِ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبِ وَعِرْقَانِ	وَرَسَمِ عَقَبَتْ آيَاتُهُ مِنْذُ أَرْمَانِ
أَنْتِ حَجَجٌ بَعْدِي عَلَيْهَا فَأَصْبَحَتْ	كخَطِّ زُبُورٍ فِي مَصَاحِفِ رُهْبَانِ
ذَكَرْتُ بِهَا الْحَيَّ الْجَمِيعَ فَهَيَّجَتْ	عَقَابِيلَ سُقْمٍ مِنْ ضَمِيرِ وَأَشْجَانِ
فَسَحَّتْ دُمُوعِي فِي الرِّدَاءِ كَأَنَّهَا	كُلِّي مِنْ شَعِيبِ ذَاتِ سَحٍّ وَتَهْتَانِ

وانتقل من هذه المقدمة إلى وصف حاله مريضاً يحمل على سرير، يحمله جابر بن حنّي التغلبي<sup>(٣)</sup> في رحالته<sup>(٤)</sup>، قد ذوى جسمه، واتسعت عليه ثيابه، فهي تضطرب لاستقبالها الريح وتحريكها لها. وفي مثل هذه الحالة من الضعف والعجز يفسح لخياله مجالاً للعودة به إلى الماضي، يسترجع به ذكرياته، وأيام شبابه وفتوته، فكم محصور رجع إليه وقد أحاط به العدو، وقاتل عنه واستنقذه،

(١) شعراء النصرانية ١: ٦٦ ذكر الأب لويس شيخو اليسوعي في مناسبة القصيدة: أنه أنشدها في طريقه إلى قيصر وكان أصابه مرض، وذكر الطاهر أحمد مكي (امرو القيس حياته وشعره: ٩٩) أنه يبدو من جوّ هذه القصيدة أنها كانت تالية في الخلق للقصيدة الأولى.

(٢) قرية الماء.

(٣) في ديوان امرئ القيس: ٩٠ كان جابر بن حنّي وعمرو بن قميئة يجملانته، وفي الشعر والشعراء: ٥٣ أن جابر بن حنّي التغلبي هو الذي كان يحمله.

(٤) الرحالة: خشيات كان يُحمل عليها امرؤ القيس وكان مريضاً، وهي الحراج.

وأسير فداه بماله فحلّ وثاقه وسرح، ولو كان أسيره منّ عليه وأطلقه، وأصدقاء له أيقظهم مبكرين، فقاموا وهم بين عاثٍ<sup>(١)</sup> ونشوان<sup>(٢)</sup>، وأرض واسعة تتخرق فيها الرياح قطعها على ناقة قوية الخلق، لينة المشي، مذعان<sup>(٣)</sup>، وسهول أصابتها سحب قوية، شديدة الصوت، فأعطت نباتاً مختلف الألوان كألوان الفنا<sup>(٤)</sup>، هبطها على فرس ضخم كهيكل النصارى، يعطيك ما عنده من الجري قبل أن تكلفه ذلك وتسأله إياه.

فإمّا ترئني في رحالة جابرٍ	على حرج كالقمر تحفق أكفاني
فيا ربّ مكروب كررت وراءه	وعان فككت الغلّ عنه فقداني
وفتيان صدق بعثت بسحرة	فقساموا جميعاً بين عاثٍ ونشوانٍ
وخرق بعيد قد قطعت نياطه	على ذات لوث سهوة المشي مذعانٍ
وغيث كالوان الفنا قد هبطته	تعاور فيه كل أوطف حنانٍ
على هيكل يعطيك قبل سؤاله	أفانين جري غير كز ولا وانٍ

ثم يأخذ في وصف الحصان - إلى نهاية القصيدة - بأبيات لا تعكس من واقع الرحلة شيئاً، ولا تمت إليها بصلة<sup>(٥)</sup>.

"يتبع في القسم الثاني"

(١) العاثي: المتناول للشيء، وكثر ذلك في كلامهم حتى استعملوه في الفساد، وأراد أنه لما

أثارهم من نومهم تناول هذا ثوبه ليلبسه، أو ناول غيره وهو كالسكران من النعاس.

(٢) نشوان: سكران.

(٣) المذعان: المذلة المطاوعة.

(٤) الفنا: عنب الثعلب، وقيل: هو نبت يشبهه.

(٥) انظر امرؤ القيس حياته وشعره: ١٠٠.

مع الكتب



## اللباب في علل البناء والإعراب

### للعكبري

د. علاء الدين محمد علي حمويته

قسم اللغة العربية - جامعة آل البيت

أخرجه المحققان الفاضلان الدكتور غازي طليمات والدكتور عبد الإله نبهان عن نسختين، أولاهما نسخة مكتبة الأحقاف، رمزها في المطبوع (ح)، وثانيتها نسخة مكتبة الأزهر، رمزها في المطبوع (م).

والكتاب من مطبوعات مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث بدبي، أصدرته دار الفكر المعاصر - بيروت ودار الفكر - دمشق ط ١-١٦٤١٦هـ = ١٩٩٥م.

قال الدكتور غازي طليمات في مقدمته: " ويبدو أن في المغرب العربي والعراق نسختين أخريين أعيانا الوصول إليهما بعد سعي أخطاه السنجح، وأن أولاهما في جامع القرويين، والثانية في جامعة البصرة، ومما شجعنا على الرضى عما لدينا والاكتفاء به جودة نسختي الأحقاف والأزهر وقدمهما" (المقدمة ص: ٢٤).

وأما منهج المحققين في عملهما فقد بسطه الدكتور غازي في ذيل مقدمته، فقال: " بعد أن أنجزت مع أخي الدكتور عبد الإله نبهان تحقيق الجزأين الأول والثاني من الأشباه والنظائر في النحو سنة ١٩٨٠م، وجدنا الاشتراك في التحقيق أعوَدَ بالفائدة على الأثر من أن يحتج به محقق واحد، فوقع اختيارنا على كتاب ( اللباب في علل البناء والإعراب ) لأبي البقاء العكبري، وجعلناه شركة، نحققه معاً على هدي من تجربتنا السابقة. أخذت الجزء الأول الخاص بالنحو، واستقل الدكتور عبد الإله بالجزء الثاني الخاص بالصرف .... نسخت في بداية العمل مخطوطتي الكتاب، فلم أجعل إحداهما أصلاً للأخرى، لأنهما سواء في النفاسة. ثم رحت أتعقب النصوص

التي نقلها العكبري من كتب المتقدمين، ليقم منها ومن علله متن اللباب. فرددت ما استطعت رده منها إلى منابته وأصوله، وحرصت في أثناء هذا الرد على أن أتقرى عن نصوص كثيرة منها في كتاب المرتجل لشيخه ابن الخشاب. وأكملت في الحواشي المبتور والمختزل بما يتمه أو يوضحه من المرتجل.

ولما كان العكبري في لبابه معنياً بالعلل زاهداً في القواعد والأمثلة فقد وجدته مضطراً إلى توضيح الغوامض، فشغعت القاعدة بالمثل، وقبست من أمثلة النحاة أقباساً أضأت بها الأحكام، وأثبتها في الحواشي معزوة إلى مصادرها. ثم صنعت للكتاب أربعة عشر فهرساً، تعين القارئ على الظفر بطلبته، وثرىه من التتقير عما ينشد" (المقدمة ص: ٣٦-٣٧).

ولا ريب أن المحققين الفاضلين بذلا غاية جهدهما للوفاء بهذا الذي أخذاه به نفسيهما. وكان حظهما من التوفيق كبيراً، فجاء عملهما عملاً مرضياً في جملته، أعانتهما على ذلك معرفة واسعة بمصادر هذا العلم. ومع ذلك رأيت وأنا أقرأ هذا السفر الجليل مواضع تحتاج إلي تصويب، وأخرى تحتاج إلى إكمال، وثالثة تحتاج إلى فضل لنظر. ووجدت في بعض ما علق به المحققان الفاضلان على مواضع من الكتاب سهوات وهنات فارتأيت ألا أترك ذلك ليرى فيه أهل هذا العلم رأيهم. فكان ما انتهيت إليه في هذا المقال. وقد ألحقت به ثبناً بما رأيته في الكتاب من خطأ مطبعي أو مما غلب على ظني أنه كذلك.

وأعانني في توضيح ما وقفت عليه العودة إلى كتب النحو والصرف واللغة راجياً أن أكون وقفت لتقويم المواضع التي وقفت عليها إنصافاً لأبي البقاء وخدمة لهذا السفر الجليل.

## الجزء الأول:

١- جاء في ص ٤٤س الأخير ما نصه: "... ولم يُسمَّ عملاً لأن الفعل أعم من العمل، وكان يقع على كل حركة وعزم... الأشبه "... إذ كان."

٢- جاء في ص ٤٩ س ٧ ما نصه: " وإنما اختصت ( السين ) بالفعل لأن معناها جواب ( لن يفعل ) (٦) "... قال المحقق في حاشيته رقم (٦): " وجاء في كتاب سيبويه ٢١٧/٤: " والسين التي في قولك ( سيفعل ) زعم الخليل أنها جواب ( لن يفعل ) " ويبدو أن الجواب في كلام العكبري هنا وفي كلام الخليل قسيم النفي لا قسيم السؤال ". وهذا ما قاله المحقق، والحق أن ( لن ) لا معنى لها إلا في المستقبل فكان جوابها في المستقبل أيضاً. فالجواب في كلام الخليل والعكبري ليس قسيماً للنفي. بل الجواب لا يكون قسيماً للنفي مطلقاً.

٣- جاء في ص ٦٥س ٩ ما نصه: " ولم يدخل الجزم الأسماء لستة أوجه: أحدها ... والثاني... والثالث... وبعد الثالث جاء في ص ٦٦: " باب البناء " والحق أن هناك خللاً في ترتيب الصفحات، وأن استقامته على النحو الآتي: ص ٦٦ حقها أن تكون ص ٦٨، وص ٦٧ حقها أن تكون ص ٧٠، وص ٦٨ حقها أن تكون ص ٦٦ إذ في هذه الصفحة جاءت بقية الأوجه الستة التي ذُكر منها ثلاثة في ص ٦٥، وص ٦٩ حقها أن تكون ص ٦٧، وص ٧٠ حقها أن تكون ص ٦٩. وبذلك يلتئم النص.

٤- جاء في ص ٧٤س ٣ في حديثه عن سبب زيادة التنوين في الاسم المنصرف ما نصه "... لأن حروف المدّ تعددت زيادتها لما فيها من التقلل.. الظاهر أن قوله: " التقلل " تصحيف، وأن الصواب " النقل ". يؤيد هذا ما نقله المحقق في حاشيته رقم (١) من كلام ابن

الأنباري في (أسرار العربية) ص ٣٥-٣٦ ونصه: " ألا ترى أنهم لسو جعلوا الواو علامة للصرف لانقلابت ياء في الجر لانكسار ما قبلها وكذلك حكم الياء والألف في الاعتلال والانتقال من حال إلى حال، وكان التوين أولى من غيره، لأنه خفيف يضارع حروف العلة...".

٥- جاء في ص ٨٠ اس ٦ ما نصه: " وإنما سميت (حروف العلة)، لأن العلة هي المعنى المغير للشيء... الظاهر أن قوله: " هي " تحريف، وأن الصواب "في" .

٦- جاء في ص ٨٥ اس ٦ في سبب عدم ظهور الحركة في الألف اللينة ما نصه: " .... والحركة تمنع الحرف من الجري، وتقطعه عن استطاعته... الظاهر أن قوله: "استطاعته" تحريف، وأن صوابه: " استطالته ".

٧- جاء في ص ٨٦ اس ٢ في كلامه عن ألف (حبلى وبشرى) وعلة عدم تحريكها ما نصه: "... ولكن لما وقعت خبراً جعلت حرف إعراب... الظاهر أن قوله: "خبراً" تحريف، وأن الصواب " أخراً "؛ لأن الألف حرف إعراب في الخبر وغيره.

٨- جاء في ص ٨٧ اس ١ في آخر حديثه عن الاسم المعتل ما نصه: "فصل: والياء المشددة ياءان، الأولى منها ساكنة، فيصير كظبي ولخي" الظاهر أن قوله: " منها " تحريف، وأن الصواب "منهما" . وهذه العبارة تبدو قلقة في هذا الموضع، والذي أميل إليه أن حقها أن تكون في آخر السطر الثالث من ص ٩٥ حيث تحدث المؤلف عن سبب مجيء (أب وأخ وحم وهن) مضافةً إلى ياء المتكلم بياء ساكنة مخففة فقال ما نصه: "... والثاني أن المضاف هنا مبني (كذا) وهذه الحروف دوال على الإعراب، وقائمة مقامه فلم يجتمعا. وأما (في) فرَدَ فيه المحذوف لئلا يبقى على حرف واحد، وكان يشبه حرف الجر. (والياء المشددة ياءان الأولى منهما ساكنة فيصير كظبي ولخي) " .

٩- جاء في ص ٩٩س ٤ في كلامه عن مجاز التثنية ما نصه: " ومنه ذكر المثني بلفظ الجمع كقولك " (ضُرِبَتْ رؤوسهما )، لأن التثنية في الحقيقة جمع. وقد أمن اللبس ههنا، إذ ليس للواحد إلا رأس واحد، ويجوز (رأساهما)<sup>(٢)</sup> على القياس".<sup>(٣)</sup> قال المحقق في الحاشية<sup>(٢)</sup>: "في (م) و(ح): رأسيهما". وفي الحاشية<sup>(٣)</sup>: "سقط السطر السابق كله من (م)". وفيما سلف أمران : الأول: أن الصواب ما ورد في الأصلين (م) و(ح)، وكان حق العبارة أن تضبط كما يأتي: " ضُرِبَتْ رؤوسهما... ويجوز (رأسيهما) على القياس ". والثاني: أن المحقق ذكر في الحاشية<sup>(٣)</sup> أن السطر السابق كله سقط من (م) فكيف قال في الحاشية<sup>(٢)</sup>: "في (م) و(ح): رأسيهما!؟"

١٠- جاء في ص ١١٣س ٩ في سياق تعليقه لتثنية (قالتا) وجمع (طائعين) في قوله تعالى (قالتا أتينا طائعين ) ما نصه: "... والثاني أن المراد ( أتينا ومن فيها طائعين ) وغلب المذكر. الأظهر " ... ومن فينا...".

١١- جاء في ص ١٧س ٧ في معرض تعليقه لحمل المنصوب فيما جمع بألف وتاء مزيدتين على الجر ذكر وجهين، وذكر في أولهما أنه من باب حمل الفرع على الأصل .... ما نصه: "والوجه الثاني أن المؤنث بالتاء في الواحد تقلب تاؤه هاء في الوقوف، ولا يمكن ذلك في الجمع. فكما غُيِّرَ في الواحد غُيِّرَ في الجمع، فحمل النصب على غيره، إذ كان تغييرا، والتغيير يؤنس بالتغيير"<sup>(٤)</sup>.

قال المحقق في حاشيته رقم(٤): " الوجه الثاني دون الأول، إذ يمكن الاعتراض عليه فيقال: إن التغيير - وإن يؤنس بالتغيير - لا يقوم حجة ههنا، لأن قلب تاء الواحد هاء في الوقف يعني إظهار حركة ما قبل الهاء، وهي الفتحة في كل حال. تقول: هذه شجرة، وغرست شجرة، ومررت بشجرة، فكأنك حملت الرفع والجر على النصب، ولم تحمل النصب على الجر...!!" واضح أن بين ما أراده المؤلف وما قاله المحقق بونا شاسعا.

١٢- جاء في الصفحة نفسها س الأخير في ردّه على ما ذهب إليه الأَخفش من أنّ الكسرة في جمع المؤنث في حالة النصب بناء ما نصه: "... ولو صح ما قاله لكان فتح المجرور فيما لا ينصرف والتثنية والجمع في النصب بناء" كذا جاءت العبارة، والظاهر أن فيها سقطاً، وأن تكملتها "... فيما لا ينصرف و(ياء) التثنية والجمع..."

١٣- جاء في ص ١١٩ س ٤ في ذكره أن حذف أولي تائي (مسلمات) ونحوه أولى ما نصه: " أحدهما: أن التثنية تدل على التأنيث والجمع مع الألف، فلو حذفت لبطلت دلالة الجمع" الظاهر أن قوله: " التثنية " تحريف، وأن الصواب " الثانية " .

١٤- جاء في ص ١٢٥ آخر الحاشية رقم (٢) ما نصه: " وقد ذكر هذا المثل في ص ٤٣ من هذا الكتاب مع الشاهد الثالث" والواقع أن المثل ذكر في ص ٤٨ مع الشاهد الأول.

١٥- جاء في الصفحة نفسها س ٤ في سياق ذكره لتجرد المبتدأ من العوامل اللفظية ما نصه: "... لأن العامل اللفظي إذا تقدّم عليه عمل فيه ينسب<sup>(٤)</sup> إليه..." قال المحقق في حاشية (٤): "كذا في م و ح، ولعل أصل العبارة: " ونسب إليه العمل." الأولى من هذا تقرير سقوط الواو فقط " ... عمل فيه، (و) ينسب إليه..."

١٦- جاء في ص ١٢٨ س ٨-٩ في أثناء ردّه لقول أبي علي: إن المبتدأ هو العامل في الخبر ما نصه: "... والثاني أن المبتدأ لو عمل في الخبر لم يبطل بدخول العامل اللفظي، لأنه لفظي أيضاً. ومن مذهبه أن العامل اللفظي<sup>(٥)</sup> لا يعمل في المبتدأ والخبر" قال المحقق في الحاشية رقم (٥): "سقطت (لا) من (ح). " الظاهر أن صواب العبارة يكون بتقدير سقط، وحذف (لا): "...لم يبطل (عمله) بدخول العامل... ومن مذهبه أن العامل اللفظي يعمل في المبتدأ والخبر". فالمراد أن من مذهب أبي علي عمل العامل

اللفظي نحو (إن) و (كان) و (ظن) وأخواتهن في المبتدأ والخبر.  
ينظر التبيين عن مذاهب النحويين ص ٢٣٢.

١٧- جاء في الصفحة نفسها من الأخير في السياق السابق ما نصه:  
" والقول الثالث أن الابتداء والمبتدأ جمعياً يعملان في الخبر . وقد  
بيّننا أن المبتدأ لا يصلح للعمل، فلا يصلح له مع غيره. وأما العامل  
في الشرط والجزاء فسنبينه في موضعه" فقله: " وأما العامل في  
الشرط... في موضعه" يشعر بسقط، أكملته من التبيين ص ٢٣١:  
"جمعياً يعملان في الخبر (كما أن (إن) الشرطية تعمل في فعل  
الشرط، ثم يعملان في الجزاء) وقد بيّننا أن المبتدأ...".

١٨- جاء في ص ١٣٣ س ٣ من تحت ما نصه: "... أحدهما أن  
(أن) المفتوحة تكون في موضع المبتدأ في كل موضع لا يصح  
فيه<sup>(٧)</sup> دخول (إن) المكسورة عليها..." قال المحقق في الحاشية (٧): "  
أضفنا (فيه) لإقامة العبارة!! وعبارة المؤلف في التبيين هي:  
"وإنما امتنع كون المفتوحة مبتدأ في موضع يصح دخول (إن)  
المكسورة عليها..." التبيين ص ٢٤٣.

١٩- جاء في ص ١٣٦ س ٦ ما نصه: "... ومررت بقوم عرب  
أجمعون، أي تعربوا كلهم<sup>(٣)</sup> أجمعون" قال المحقق في الحاشية (٣):  
"في ح: ومررت بقوم عرب كلهم أجمعون أي تعربوا كلهم أجمعون"  
الظاهر أن ما في (ح) هو الصواب، ليصح النسق.

٢٠- جاء في ص ١٣٩ س ٨-٩ في كلامه عن حذف الضمير  
العائد من الجملة إلى المبتدأ ما نصه: " ... وكقوله تعالى: (ولمن  
صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور)<sup>(٧)</sup> أي إن ذلك منه" قال  
المحقق في الحاشية (٧): " ... ولم يوجد العائد في الآية فكان  
مراداً تقديرأ، وإنما حذف لقوة الدلالة عليه، والمعنى: إن ذلك  
الصبر منه، أي الصابر" (كذا) والأولى اعتبار اسم الإشارة هو  
الرابط، وينظر البحر المحيط ٥٢٣/٧.

٢١- جاء في ص ١٤٦-١٤٧ حصل خلط من الطابع بين الحاشية رقم (٣) من ص ١٤٦ والحاشية رقم (١) من ص ١٤٧.

٢٢- جاء في ص ١٤٧ اس ٥ بعد تحليله لقولهم: (أما زيد فمنطلق) ما نصه: "ولا تدخل الفاء على الخبر في غير ذلك إلا في خبر (الذي) إذا وصل بفعل أو ظرف فيه ما يؤذن بأن<sup>(٤)</sup> ما في الخبر مستحق الصلة" قال المحقق في الحاشية (٤): "العبارة في م و ح: فيه يؤذن. ولعل الصواب: فيه ما يؤذن، على النحو الذي أثبتناه." الأظهر: "... أو ظرف، فيؤذن بأن ما في الخبر مستحق للصلة"

٢٣- جاء في ص ١٦٠ س ٣-٤ ما نصه "... وبقراءة عاصم (وكذلك نجى المؤمنين) (٥) أي: نجى النجاء..." واكتفى المحقق في الحاشية رقم (٥) بالترجمة لعاصم. وكان الأولى أن يشير إلى أن هذا الحرف هو برواية أبي بكر بن عياش عنه، وبه قرأ ابن عامر وأما رواية حفص عنه فهي (ننجي) وكذلك قرأ باقي العشرة. قال المصنف في التبيين: "أما السماع فقوله تعالى<sup>(٦)</sup> (كذلك نجى المؤمنين) قراءة حفص عن عاصم بتشديد الجيم، فلا وجه له إلا نجى النجاء." التبيين ص ٢٧١. قوله: "قراءة حفص عن عاصم..." وهم، والصواب كما ذكر قراءة أبي بكر عن عاصم (ينظر النشر ٣٢٤/٢ والبحر المحيط ٤٦٢/٧) ولم يخرج محقق التبيين القراءة أيضاً مكتفياً بالترجمة لحفص وعاصم.

٢٤- جاء في ص ١٦٢ س ٢-١ من تحت في حديثه عن عدم جواز إقامة الحال مقام الفاعل ما نصه: "... والرابع أن الحال كالصفة في المعنى، لأنها هي صاحب الحال، وإنما يقام مقام الفاعل غيره." العبارة غير واضحة، ولم أنته فيها إلى شيء.

٢٥- جاء في ص ١٦٧ س ٤ من تحت ما نصه: "وإنما جاز تقديم أخبارها على أسمائها لتصرفها. فأما تقديم خبر (ما زال)

وأخواتها عليها فمنعه البصريون" كذا جاءت العبارة، ولا نسجامها مع ما بعدها في الفصل الذي هي اوله لا بد من تكملة: "...تقديم أخبارها(عليها) وعلى أسمائها...".

٢٦- جاء في ص ١٧٥س ٢ ما نصه: "القياس ألا تعمل (ما) لأنها غير مختصة<sup>(١)</sup>" قال المحقق في الحاشية(١): "هذا القول معزو إلى الكوفيين في الإنصاف ١/٦٥". والحق أن قولهم: "الأصل في الحروف ألا يعمل منها إلا ما كان مختصاً" أصل مستنبط من كلام العرب، وهو مما أطبق عليه أئمة المصنّين.

٢٧- جاء في ص ١٧٧س ٩ وما بعده ما نصه: "فصل: ويبطل عملها بتقديم معمول الخبر كقولك: ما طعامك زيداً أكل، لأن معمول الخبر لا يقع إلا حيث يقع العامل، فتقديمه كتقديم العامل ولو تقدّم العامل لكان مرفوعاً، فكذلك إذا تقدّم معموله. وكل موضع لا ينتصب فيه خبر (ما) لا تدخل عليه الباء كما لا يدخل على خبر المبتدأ. فأن قلت: طعامك ما زيداً أكلاً لم يجز، نصبت الخبر أو رفعت، لأن (ما) لها صدر الكلام... الظاهر أن قوله: "وكل موضع لا ينتصب فيه خبر(ما) لا تدخل عليه الباء كما يدخل على خبر المبتدأ". مقحم في هذا السياق. وظني كل ظني أن تمّ فصلاً ساقطاً تحدّث فيه المؤلف عن دخول الباء في خبر(ما) تقع فيه العبارة السالفة الذكر.

٢٨- جاء في ص ١٧٩س ١ بعد ذكره بيت الكتاب المشهور (...فأنا ابن قيس لا براح) ما نصه: "أي: لا لي براح...". كذا جاءت العبارة، والصواب: "لا براح لي...". لأن خبرها لا يتقدم على اسمها مع بقاء عملها، كما لا يتقدم خبر(ما) على اسمها مع بقاء عملها. بل الأمر مع(لا) أشد؛ لأنها فرع في العمل على (ما).

٢٩- جاء في ص ١٨٤س٨ عند حديثه عن إضمار فاعل (نعم وبئس) ما نصه: "... ولم يظهر فيه ضمير التثنية والجمع استغناء بصيغة الاسم المميز للضمير إذ هو في المعنى." الظاهر أن قوله: " إذ هو في المعنى" لا معنى له، وأن استقامته تكون بتقدير التكملة الآتية: "... للضمير، إذ هو (هو) في المعنى."

٣٠- جاء في الصفحة نفسها س الأخير ضمن السياق السابق ما نصه: "... والاختيار أن يجمع بين الفاعل والتمييز، لأن التمييز ههنا مفسر للمضمر، ولا مضمر." والمشهور في كتب النحاة أن الاختسار عدم الجمع بين الفاعل والتمييز، فالصواب بالتكملة الآتية: "... والاختيار أن (لا) يجمع بين...".

٣١- جاء في ص ١٩٦ في أثناء حديثه عن (ما) التي للتعجب ما نصه: " وإنما عدل عن (شيء) إلى (ما)، لأن (ما) أشد إبهاماً، إذ كانت لا تثني ولا تجمع ولا تقع للتحقير، ولأنها يؤكد بها إبهام (شيء) فيقال: ما أخذت منه شيئاً ما. فإنها تثني وتجمع، وتذكر للتحقير، كقولك: عندي شيء، أي حقير."

كذا جاءت العبارة، والظاهر أن قوله: "... شيئاً ما. فإنها تثني..." فيه سقط، لأن المؤلف يتكلم عن (ما)، و(ما) لا تثني ولا تجمع، وتكلمة العبارة: "... شيئاً ما. (فأما شيء) فإنها تثني وتجمع..."

٣٢- جاء في الصفحة نفسها بعد النقل السابق ما نصه: " ولم يستعملوا في التعجب (مَنْ) بمن يعقل، ولا (أَيًّا) لأنها كشيء فيما ذكرنا" الظاهر أن قوله " (مَنْ) بمن يعقل " سقط منه، وأن تمام السياق يكون بالتكملة الآتية: "... (مَنْ) ( لأنها مخصوصة) بمن يعقل..."

٣٣- جاء في ص ٢٠٢س ٨ في كلامه عن صيغة (ما أفعله) ما نصه: "... ولا يجوز أن يكون المفعول هنا نكرة غير موصوفة كقولك: ما أحسن زيداً ! لأنه غير مفيد..." الظاهر أن قوله "زيداً" تصحيف، وأن الصواب (زنداً) أو (يداً) ؛ لأن (زيداً) معرفة لا نكرة، فيها يفوت الاستشهاد بالمثل.

٣٤- جاء في ص ٢٠٤س ٣ في ذكره لزيادة (كان) في صيغة التعجب ما نصه: "... ولا فاعل لها عند أبي علي، وإنما دخلت تدل على الماضي الظاهر أن قوله: "تدل" تحريف، وأن الصواب "لتدل".

٣٥- جاء في الصفحة نفسها س ٥ في السياق السالف ما نصه: "... لكانت هي خبر (ما) لا يكون هنا إلا (أفعل)". الظاهر أن قوله: "... (ما) لا يكون " مضطرب، وأن الصواب يكون بالتكلمة الآتية "... (ما)، (و) لا يكون...".

٣٦- جاء في ص ٢٠٦س ٨ في حديثه عن أصل (لكن) أمفردة هي أم مركبة ودفعه القول بتركيبها ما نصه: "... ثم إن فيه أمرين آخرين يزيدانه بعداً، وهما زيادة الكاف في وسط الكلمة، (وحذف الهمزة) (٣) وحذف الهمزة في مثل هذا يحتاج إلى دليل قطعي." قال المحقق في الحاشية رقم (٣): " ما بين المعقوفتين زيادة على الأصل. والكاف، وهو قول حسنٌ لندرة البناء وعدم النظير، ويؤيده دخول (اللام) في خبر (أن) على مذهبهم، ومنه: ولكنني من حبها لعميد" (كذا). الظاهر أن ما بين معقوفتين مقم في النص، وأن الصواب حذفه.

٣٧- جاء في ص ٢١٠س ٦ ضمن كلامه على جواز تقديم شبه الجملة إذا كانت متعلقة بالخبر المحذوف على اسم (إن) وأخواتها ما نصه: "... أن الظرف متعلق بالخبر لاشتماله عليه فهو كاللازم

للجملة، فساغ تقديمه لذلك، ولهذا ساغ الفصل بالظرف بين (إن) واسمها به أيضاً... الظاهر أن قوله: " بالظرف" و"به" معاً مخلّ بالعبارة، وأن الصواب حذف أحدهما.

٣٨- جاء في ص ٢١١س ٩ في أثناء حديثه عن العامل في خبر (إن) وأخواتها ما نصه: "... واحتجوا أيضاً بقول العرب: إن بك تكفل زيدا، فجعل الفعل في اسمها، ولو كانت الفاعلة (٣) في الخبر لم تكن كذلك." قال المحقق في الحاشية (٣): " في الأصل: الفاصلة. واللفظ لا يؤدي المعنى، وخيل إلينا أنها مصحفة عن الفاعلة." والأولى اعتبارها محرفة عن ( العاملة)؛ لأن هذا اللفظ هو الشائع عند أهل هذا العلم، وهو الذي يستخدمه المؤلف في هذا الكتاب. ولم أقف على موضع واحد له استخدم فيه لفظ (الفاعلة).

٣٩- جاء في ص ٢٢٠س ٣ في تخريجه لبيت بن يزيد الحكم التقي:

فليت كفافاً كان خيرك كله وشرك عني ما ارتوى الماء مرتوي

ما نصه: "... و(كفافاً) خبر(كان)، (خيرك) اسمها... الظاهر أن العبارة فيها سقط، وأن تكلمتها "... خبر (كان)، (و) (خيرك) اسمها...". والبيت من شواهد المصنف في التبيين أيضاً برواية: " أليت كفافاً... " ص ٣٣٩.

٤٠- جاء في ص ٢٢٢س ٣ من تحت في تخريجه لضبط (ظبية) بالرفع والنصب والجر في البيت المشهور "... كأن ظبية تعطو...". ما نصه: " فيروى بالرفع مع الإلغاء، والتقدير: كأنها ظبية... الظاهر أن قوله: " مع الإلغاء " سهو، وأن الصواب " مع الإعمال ".

٤١- جاء في ص ٢٢٩ س ٥ ما نصه: "... والبناء لا يحصل بعامل، لأن العامل غير المعمول، والبناء شبه التركيب، وجزء المركب شيء واحد " الظاهر أن قوله: " شبه " تحريف، وأن الصواب " لشبه " وتُنظر المسألة في التبيين ص ٣٦٢ وما بعدها.

٤٢- جاء في ص ٢٣٢ س ٥ ما نصه: " فصل: والمشابه للمضاف من أجل طوله ما<sup>(٦)</sup> كان عاملاً فيما بعده، وكان ما بعده من تمام معناه " قال المحقق في الحاشية (٢) ما نصه: " (ما) هنا زائدة، لأن الشبيه بالمضاف يعمل فيما بعده، فلا موضع للنفي في العبارة " والظاهر أن (ما) في هذا السياق موصولة، وهي خبر (المشابه).

٤٣- جاء في ص ٢٣٥ س ٣ من تحت في حديثه عن الوجوه الجائزة في وصف اسم (لا) قبل الخبر ما نصه: " ولما جرتا مجرى الشيء الواحد بنوهما قبل دخول (لا) كما بُني (خمسة عشر)، وكما بنوا ( ابن أم ) و ( زيد بن عمرو ) فيمن فتح الدال، ثم أدخلوا عليه حرف النداء<sup>(٧)</sup>، دخلت (لا)<sup>(٨)</sup> على اسم مركب مبني " قال المحقق في الحاشية (٧): " في م: حرف النفي " وفي الحاشية (٨): " في م: فدخلت على اسم " الظاهر أن ما في (م) هو الصواب، فلا معنى لحرف النداء هنا، والعبارة بدون الفاء منقطعة، والضمير في الفعل ( فدخلت ) يرجع إلى (لا) المذكورة آنفاً، فلا حاجة لذكرها.

٤٤- جاء في ص ٢٣٩ س ١ ضمن كلامه عن الوجوه الجائزة إذا تكررت (لا) مع المعطوف ما نصه: " والخامس أن ترفع الأولى على ما ذكرنا، وتبنى على أصل البناء " قوله: " تبنى على.. " لا يمكن أن يكون للأولى؛ إذ كيف ترفع وتبنى في أن واحد. والصواب أن العبارة سقط منها، وأن تكملتها: " وتبنى (الثانية) على أصل البناء. "

٤٥- جاء في ص ٢٤٠ س ٨ في حديثه عن دخول (لا) على المعرفة ما نصه: " ... لأنه جواب من قال: أزيد في الدار أم (١) عمرو؟ فلو قلت: لا، مقتصراً عليها لم يطابق الجواب السؤال... " قال المحقق في الحاشية (٢): " في م: وعمرو، وفي ح: أو عمرو، والصواب: أم عمرو كما أثبتنا... " الظاهر أن ما في (ح) صواب محض، فلا حاجة لتغييره؛ لأن الهمزة في المثال ليست للتسوية.

٤٦- جاء في ص ٢٤٢ س ٤ في ذكره لغات (لا أبا لك) ما نصه: " واللغة الثالثة ( لا أبا لك ) بحذف اللام... " الظاهر أن قوله: " لا أبا لك " سهو، وأن الصواب: " لا أباك "؛ لقوله: " بحذف اللام ".

٤٧- جاء في ص ٢٤٦ س ٦ في تخريجه لقولهم: " لا خيرَ بخير بعده النار، ولا شرَّ بشرٍ بعده الجنة " ما نصه: " أحدهما أن قوله: (بخير) خبر (لا)، و(بعده) صفة الخبر، والباء بمعنى (في). والثانسي أن (بعده) صفة اسم (لا) و (بخير) خبره مقدّم، والباء زائدة. والتقدير: لاخيرَ بعده النارُ خيرٌ. "، الظاهر أن (بعده) في الوجه الأول متعلق بمحذوف خبر مقدّم، و(النار) مبتدأ مؤخر، فالعبارة إذاً تحتاج إلى تكملة " ... خبر (لا)، و(بعده [النار]) صفة الخبر... " فجملة (بعده النار) هي صفة الخبر المحذوف، الذي هو متعلق الجار والمجرور (بخير). والظاهر أيضاً أن قوله: "خبره" في الوجه الثاني تحريف، وأن الصواب " خيرٌ " . وقوله: " والتقدير: لا خيرَ بعده النارُ خيرٌ " دليل على أن (النار) مبتدأ في الوجهين.

٤٨- جاء في ص ٢٤٩ س ٢-١ من تحت وص ٢٥٠ في حديثه عن إعمال وإلغاء أفعال الظن ما نصه: " وإذا توسطت بين المفعولين جاز الإعمال والإلغاء. وإنما كان كذلك، لأنها ضعيفة... وقد ازدادت ضعفاً بالتأخير. ألا ترى أن الفعل الذي لا

يلغى إذا تأخر حسن دخول اللام على مفعوله كقولك: (لزيد ضربت)، ولا يحسن (ضربت لزيد) ... "الظاهر أن ضبط (لزيد) في الموضعين بفتح اللام والرفع وهم، وأن الصواب أن يضبط فيهما (لزيد) بكسر اللام والجر، لأن هذه اللام هي لام التقوية، وليست بلام الابتداء. وهي كذلك لأن المؤلف قال: "دخول اللام على مفعوله" ولام الابتداء لا تدخل على المفعول البتة. فهي كاللام في قوله تعالى (الرؤيا تعبرون) (يوسف: ٤٣). ينظر البحر ٦/٢٨١.

٤٩- جاء في ص ٢٥٠ س ٣-٤ من تحت ضمن السياق السابق ما نصه: "وازداد الفعل ضعفاً بالتأخير بخلاف ما إذا توسط، لأن نسبته إلى الرتبة الأولى كنسبته (إلى) الرتبة الثالثة. وإذا تأخر صار بينه وبين الرتبة الأولى مرتبة وسطى" اللفظ في هذه العبارة لا يؤدي المعنى المطلوب؛ إذ لو كانت نسبة الفعل إلى الرتبة الأولى كنسبته إلى الرتبة الثالثة لكان حقه الأعمال متأخراً، فالمعنى المراد يحتاج إلى تكملة: "... إلى الرتبة الأولى (ليست) كنسبته..."

٥٠- جاء في ص ٢٥٦ س ٥ في حديثه عن الأفعال المتعدية إلى ثلاثة مفاعيل بالهمزة ما نصه: "... إذ لا يتصور أن يوجد الإسناد<sup>(١)</sup> لأكثر من واحد حتى يصير بذلك فاعلاً" قال المحقق في الحاشية (٢): "العبارة في الأصل: يوجب الإنسان، فخيل إلينا أنها مصحفة عن (يوجد الإسناد). ومعناها على الوجه الذي أثبتناه: أن الفعل (علمت) لا يسند إلى فاعلين، ولو أسند لتحول الفاعلان في (علمت) إلى مفعولين في (أعلمت) وبذلك يتعدى إلى أربعة. وهو أمر غير متصور" [كذا]، والظاهر أن ما في الأصل صواب محض، وذلك لقول المصنف في س ١ من الصفحة نفسها: "وقد توجب هذا الفعل لغيرك فتصير فاعلاً في المعنى، لما تحدثه له..."

٥١- جاء في الصفحة نفسها س٣-٢ من تحت في تحديته عن (نبأت) و(أنبأت) ما نصه " فالحكم بزيادة الحروف في تلك المواضع لا يجوز. فأما حرف الجر فأسوغ من الحكم بزيادته..."  
الظاهر أن السياق يشعر بسقط، وأن تكلمته..فأما [ الحكم بحذف ] حرف الجر...".

٥٢- جاء في ص٢٥٩س٩ ما نصه: " ولا يجوز إلغاء هذه الأفعال بتعليقها عن العمل، ولا بتوسطها وتأخرها، لأن المفعول الأول فيها فاعل في المعنى، وليس بمبتدأ في الأصل. فعلى هذا لا تقول: (أعلمت<sup>(١)</sup> لزيد عمرو ذاهباً)، لأنك إن جعلت (ذاهياً) لـ (عمرو) لم يعد على زيد ضمير، وكذلك إن جعلته لزيد..."  
قال المحقق في الحاشية(١): " في م وح: أعلمته. ويخيل إلينا أن إسقاط الهاء أقرب إلى الصواب، إذ لو بقيت لاجتمع أربعة مفاعيل: الهاء، وزيد، وعمرو، وذاهب. والأصل قبل دخول اللام: أعلمت زيدا عمراً ذاهباً والظاهر أن اللام في قوله: " لزيد" مقحمة، وأن ما في الأصليين صواب محض، وأن صحة المثال: "أعلمته زيد عمرو ذاهباً"، فتكون الهاء المفعول الأول، وهي ضمير الشأن، علقت الفعل عن العمل في اللفظ، وتكون جملة (عمرو ذاهب) خبر (زيد)، وجملة (زيد عمرو ذاهب) في محل نصب سدت مسد المفعولين الثاني والثالث. يُنظر ما قاله المصنف ص٢٤٨. ومع التذكير بأن المثال مرفوض - كما ذكر المصنف - لأن هذه الأفعال لا تعلق.

٥٣- جاء في ص٢٦٣س١٠-١١ في ذكره لقيام الآلة مقام المصدر ما نصه: " ... والثاني أن في قولك (سوطاً) دلالة على المرة الواحدة. ألا ترى أنك تقول: ضربته أسواطاً، ولو كانت السبأ مراده لم تدل<sup>(١)</sup> على ذلك" قال المحقق في الحاشية(٦): " في م: يدل". الظاهر أن قوله: " تدل" تصحيف، وأن الصواب " يدل" كما في (م).

٥٤- جاء في ص ٢٦٤س ١٠-١١ في كلامه عن ثنية المصدر وجمعه ما نصه: " فإذا وجدت فيه<sup>(٣)</sup> أعداد احتيج إلى ما يدل عليها" قال المحقق في الحاشية(٣): " في م: منه". الظاهر أن قوله "فيه" تحريف، وأن الصواب (منه) كما في (م).

٥٥- جاء في ص ٢٦٨س ٢ من تحت ضمن حديثه عن الفعل المتعدي بنفسه وتخريجه لقوله تعالى: ( هل يسمعونكم إذ تدعون) ما نصه: ففيه قولان: أحدهما أن التقدير: هل يسمعون دعاءكم، كما قال في الأخرى: ( لا يسمعون دعاءكم).والآخر أن المفعول الثاني محذوف أي: يسمعونكم إذ تدعون" الظاهر أن قوله: "يسمعونكم إذ تدعون" تقدير ناقص لعدم ذكر المفعول الثاني، وأن العبارة تستقيم بتقديره: "... أي يسمعونكم [ الجواب ] إذ تدعون".  
في هذه التكملة أو بمثلها تصح العبارة. (يُنظر البحر ١٦٣/٨).

٥٦- جاء في ص ٢٧٢س ١ وما بعده ما نصه: " وإنما عمل الفعل في جميع أسماء الزمان، لأن صيغة الفعل تدل عليه كما تدل على المصدر، إلا أن دلالتها على الزمان من جهة حركاته وعلى المصدر من جهة حروفه، وكلاهما لفظ. أحدهما أنها تخص جزءاً من الجهة التي تدل عليها...الظاهر أن قوله: "أحدهما" كلام منقطع عما قبله، وأن العبارة تصح بمثل التكملة الآتية أوبها: "...وكلاهما لفظ وإنما عمل الفعل في أسماء المكان المبهمة دون المختصة لسببين]: أحدهما...".

٥٧- جاء في ص ٢٧٣ س الأخير وأول ص ٢٧٤ في ذكره اختلاف النحويين في ( دخلت البيت) ما نصه: " وقال الجرْمِي: هو متعد مثل (بنيت) و (عمرت) ونحو ذلك أخذها أنه لو كان متعدياً...الظاهر أن قوله: " أحدها " وما بعده منقطع عما قبله، وأن السياق يلتزم بالتكملة التالية أو بمثلها: "... و(عمرت) ونحو ذلك [ الجواب عن قوله من أربعة أوجه ] أخذها : أنه لو كان...".

٥٨- جاء في ص ٢٨٣ س ٢ ما نصه: "... فإنما نقول ذلك في المنع من التعرُّض به" الظاهر أن أحد اللفظين من قوله: " التعرُّض به" محرَّف ، وأن الصواب: " التعرُّض له " أو " التعريض به " .

٥٩- جاء في ص ٢٨٨ س الأخير في حديثه عن تقديم الحال ما نصه: " ... فهذا يجوز فيه تقديم الحال على صاحبها، وعلى العامل فيه، لأن العامل قوي متصرف... " قوله: " فيه " تحريف، والصواب " فيها" ؛ لأن الحال وإن كانت عند أهل اللغة وأكثر النحويين تُذَكَّر وتُؤنَّث إلا أن العكبري اعتبرها مؤنثة فقط، فقال في أول الباب: " الحال مؤنثة لقولك في تصغيرها " حُوَيْلَةٌ " وهو في كتابه هذا ملتزم التأنيث فيها، وكذلك حاله في التبيين. (ينظر التبيين ص ٣٨٣ وما بعدها، وص ٣٨٦ وما بعدها مثلا لا حصراً).

٦٠- جاء في ص ٢٩٣ س ٢ تحت ما نصه "... والجواب أن الفرق بينهما أن الحال والاستقبال متقاربان<sup>(٦)</sup>، لأن المنتظر يصير إلى الحال..." قال المحقق في حاشية (٦): "قي م: متقاربان" الظاهر أن قوله: " متقاربان " تحريف، وأن الصواب: "متقارنان" كما في (م).

٦١- جاء في ص ٣٠٤ س ٤ من تحت في إبطاله لقول الفراء بتركيب (إلا) ما نصه: " والثاني أنه لو سلّم ذلك لم يلزم بقاء حكم واحد من المفردين كما في (لولا) و(كأن) إلا بدليل ظاهر، ولا دليل بحال. والثاني أنه لو سلّم ذلك لم يلزم بقاء حكم واحد من المفردين كما في (لولا) و(كأن) وغيرهما، لأن التركيب يحدث معنى لم يكن وبحدوثه يبطل العمل. الظاهر أن قوله: " والثاني أنه لو سلّم ... كما في (لولا) و(كأن) وغيرهما. " مكرر، وأن قوله: " إلا بدليل ظاهر، ولا دليل بحال " مقحم في هذا السياق.

٦٢- جاء في ص ٣٠٧س ٤-٥ في حديثه عن علة اختيار النصب دون البديل في غير الجنس في الاستثناء ما نصه: "... لأن اللفظ الأول لا يشتمل عليه حتى يخرج بالاستثناء فيتمحض فضلة في المعنى، فيجعل صفة في اللفظ." الظاهر أن قوله: " صفة " تحريف، وأن الصواب " فضلة " .

٦٣- جاء في الصفحة نفسها س ٤ من تحت وما بعده ما نصه: "... كقولك: قام القوم ليس زيدا، أي : ليس بعضهم زيدا. والضمير ههنا يوحد على كل حال، لأنه ضمير (بعض) و (لا يكون) اسمها مظهراً هنا للاختصار. و ( لا يكون) ك (إلا) في أنه ليس بعدها سوى المنصوب. ولذلك لا يجوز العطف على المنصوب بها، فلا تقول: جاء القوم ليس زيدا ولا عمراً." في العبارة السالفة أمران: الأول: الظاهر أن قوله: "... (بعض) و (لا يكون) اسمها..." لا تحتاج (لا يكون) إلى أقواس، لأنه لا يراد بها (لا يكون) التي تقام مقام (إلا) كما هو الحال في قوله: " و (لا يكون) ك (إلا)..." الثاني : الظاهر أن قوله: " ليس " وهم، وأن الصواب " لا يكون " .

٦٤- جاء في ص ٣١٨س ٥ وما بعده ما نصه: " وقد ترفع النكرة بعد (كم) في الاستفهام، ويكون المميز محذوفاً، ويقدر ما يحتمله الكلام." الظاهر أن قوله: " ما " تحريف، وأن الصواب: "مِمَّا " .

٦٥- جاء في ص ٣٢٩س ٧ ما نصه: " وقال آخرون العامل فيه حرف النداء، لأنه أشبه الفعل من ثلاثة أوجه: أحدها أن معناه معنى الفعل بل أقوى من حيث إن الفعل عبارة عن الفعل الحقيقي كقولك (ضرب) و(يا) هي العمل نفسه، وتعبير عنه بـ (نادى)." الظاهر أن قوله: "... و(يا) هي العمل نفسه، وتعبير عنه بـ(نادى)." عبارة غير واضحة، لم أنته فيها إلى شيء. والظاهر أيضاً أن قوله:"نادى" تحريف وأن الصواب " أنادى " .

٦٦- جاء في ص ٣٣٧ س ٢ من تحت وما بعده في حديثه عن ( أيها الرجل ) ما نصه: " فان وصفت الرجل هنا رفعت الصفة، وإن كانت مضافة لأن الموصوف معرب. وإذا حملت تلك الصفة على موضع (أي) جاز النصب والرفع في المفرد، ولم يكن في المضاف إلا النصب." (٥) قال المحقق في الحاشية (٥): " جاء في شرح الكافية ١/١٤٣: اعلم أن تابع التابع على ظاهر إعراب التابع سواء كان المنادى (أي) أو (هذا) أو (غيرهما)". وعلى هذا يصح الرفع في الصفة المضافة نحو ( يا أيها الرجل ذو المال " والمؤلف يأبى إلا النصب" [ كذا] الظاهر أن المؤلف يفرق بين حالين: الحال الأولى أن يجري تابع التابع عليه، وهي الحال التي أرادها الرضي بقوله: " اعلم أن تابع التابع على ظاهر إعراب تابع". الحال الثانية أن تحمل الصفة على محل (أي) وهو النصب ففي هذه الحالة أجاز في المفردة الرفع على اللفظ، والنصب على المحل. ولم يجز في المضافة إلا النصب على المحل.

٦٧- جاء في ص ٣٤٠ س ٨ وما بعده في حديثه على حذف حرف النداء إلا من المبهم والذكرة ما نصه: " وأما المبهم فلشدة إبهامه يحتاج إلى مخصص، [ فلو حذف المخصص (٣) لبقى على إبهامه]. ولذلك جاز أن يكون المبهم وصفاً لـ (أي) في النداء كما كان اسم الجنس" قال المحقق في الحاشية (٣): " المقصود بالمخصص ما يعد (أي)، كالناس ممن قولك: " أيها الناس" [كذا] والظاهر أن المقصود بالمخصص حرف النداء. وأن المقصود بالمبهم اسم الإشارة لا (أي) كما مثل المحقق، يدل على ذلك قوله: " جاز أن يكون المبهم وصفاً لـ (أي) في النداء... " ومراد المؤلف قولهم: (أيها) يُنظر ص ٤٩٤ من الكتاب.

٦٨- جاء في الصفحة نفسها س٣ من تحت ضمن حديثه عن أوجه نداء المضاف الصحيح الآخر إلى ياء المتكلم ما نصه: "أحدهما حذف الياء نحو: يا غلام، لأن الكسرة تدل عليها في الإثبات"<sup>(٥)</sup> قال المحقق في حاشية (٥): "سقط من م: في الإثبات" الظاهر أن قوله: "في الإثبات" لا معنى له في هذا السياق، وأن الصواب إسقاطه، كما في (م).

٦٩- جاء في ص ٣٤١ س١ في نفس السياق ما نصه: "والرابع إبدال الفتحة كسرة، والياء ألفاً..." الظاهر أن قوله: "الفتحة كسرة" وهم، وأن الصواب "الكسرة فتحة".

٧٠- جاء في الصفحة نفسها س٤-٥ ما نصه: "وقد جاء الحذف في: يا ابن عمي<sup>(١)</sup>، ويا ابن أمي، ويا ابن صاحبي<sup>(٣)</sup>" قال المحقق في حاشية (٢): "في ح: ويا بن عم بحذف الياء" وفي الحاشية (٣): "سقط من ح: يا ابن صاحبي" الظاهر أن قوله: "يا ابن عمي ويا ابن أمي" تحريف، وأن الصواب: "يا ابن عم ويا ابن أم" كما في (ح). والظاهر أيضاً أن قوله: "يا ابن صاحبي" مقحم في هذا السياق لقول المؤلف في آخر الفصل: "وإنما اختص هذان الاسمان بهذا الحكم في النداء لكثرة الاستعمال" فالصواب كما في (ح) أيضاً.

٧١- جاء في ص ٣٤٣ س٧ ما نصه: "لا يجوز أن تلحق علامة السندبة الصفة نحو: (وازيد الظريفاه)، وأجازه الكوفيون<sup>(٤)</sup> ويونس" قال المحقق في الحاشية (٤): "ومعهم كما جاء في المفصل يونس بن حبيب [كذا] وأبو الحسن بن كيسان".

٧٢- جاء في ص ٣٤٥ س٤ بعد تفسيره الترخيم في اللغة ما نصه: "وبهذا المعنى سُمي الترخيم والنداء" الظاهر أن قوله: "والنداء" سهو، وأن الصواب "في النداء".

٧٣- جاء في ص ٣٤٨ الحاشية (٣) ما نصه: "مما دحض به أبو البركات مذهب البصريين قوله في الإنصاف ١/٣٦٢ "وأما الجواب عن كلمات الكوفيين... الظاهر أن قوله " البصريين " سهو، وأن الصواب " الكوفيين " .

٧٤- جاء في ص ٣٤٩س٧ ما نصه: " ولا يُرَخَّم المبهم وإن زاد على ثلاثة أحرف<sup>(٢)</sup> " قال المحقق في الحاشية(٣): " لعله يريد نحو: يا أيها الإنسان " ومراد المؤلف بالمبهم اسم الإشارة والاسم الموصول. ينظر التعليق رقم (٦٧)، وينظر ص ٤٩٤ من الكتاب.

٧٥- جاء في ص ٣٥٩س٤ ما نصه: " وأما (على) فتكون حرف جر، وحقيقتها للدلالة على الاستعلاء" الظاهر أن قوله: " للدلالة " تحريف، وأن الصواب " الدلالة " .

٧٦- جاء في ص ٣٦٥س١٠ ما نصه: "ولذلك استعملوا (أقل) بمعنى النفي كقولهم: أقل<sup>(١)</sup> رجل يقول ذلك إلا زيد، أي: ما رجل" قال المحقق في الحاشية (١): " في ح: قل". كلا اللفظين صواب محض، ينظر سيبويه ١/٣٦١، والمقتضب ٤/٤٠٤، واللسان(قلل).

٧٧- جاء في ال ٣صفحة نفسهاس٣ من تحت ما نصه: "وتضم (رب) بعد الواو والجر بها. وقال المبرد<sup>(٢)</sup> والكوفيون الجر بالواو" قال المحقق في الحاشية(٢): " قال المبرد في المقتضب ٤/٤٠٤: وتقول: أقل رجل رأيتَه إلا زيد، إذا أردت النفي بأقل... وأن يكون أقل في موضع نفي أكثر " ، لا علاقة ألبتة بين إضمار (رب) بعد الواو والجر بالواو أو برب وبين الحديث عن النفي بـ ( أقل ) الذي نقله المحقق في الحاشية عن المقتضب للمبرد.

٧٨- جاء في الحاشية (١) ص ٣٦٩ ما نصه: " قال ابن هشام في المغني ٣٧٢: " إنهما حرفا جرّ بمعنى (من) إن كان الزمان ماضياً، وبمعنى (في) إن كان حاضراً، وبمعنى (إن) و(إلى) إن كان معدوداً، نحو: ما رأيته مذ يوم الخميس، أو مذ يومنا أو عامنا، أو مسذ ثلاثة أيام " الظاهر أن قوله: " إن " تحريف، وأن الصواب "من" كما في المغني. والظاهر أن قوله: " بمعنى (من) و(إلى) إن كان معدوداً " يوهم أنهما تكونان بمعنى (من) وبمعنى (إلى) ... ولنفي هذا الوهم قال ابن هشام: "... وبمعنى (من) و(إلى) جميعاً إن كان معدوداً " ينظر المغني ص ٤٤١.

٧٩- جاء في ص ٣٧٠ س ٥ ضمن حديثه عن (منذ ومذ) ما نصه: "... وحجة البصريين أن الأصل عدم المركّب... " الظاهر أن قوله: " المركّب " تحريف، وأن الصواب " التركيب ".

٨٠- جاء في الصفحة نفسها س ٩ ضمن السياق السابق ما نصه " فنفي دعوى التركيب تحكّم... " الظاهر أن قوله : " فنفي " تحريف، وأن الصواب " فني "؛ لأن المصنف يدفع دعوى التركيب في (منذ)، ويؤكد قول البصريين بإفرادها.

٨١- جاء في ص ٣٧٣ س ٢، ما نصه: " وإنما بُنيت (مذ)، وهما اسمان لوجهين... " الظاهر أن السياق يقتضي تقدير سقط، وأن تكملته: " ... (مذ) و(منذ)، وهما... ".

٨٢- جاء في ص ٣٨٦ س ٤ ما نصه: " ... فتلغو (حتى) لدخولها على الجملة تقديراً... " الظاهر أن قوله: " فتلغو " تحريف، وأن الصواب " فتلغى ".

٨٣- جاء في ص ٣٨٧ س ٣ في باب الإضافة ما نصه: " ... لأن الاسم الأول ملتصق بالثاني ومعتمد عليه، كاعتماد المستند بما

يستند إليه.، الظاهر أن قوله: " بما " تحريف، وأن الصواب " على ما " ويؤيد ذلك أن المصنف قال: "...ومعتمد عليه".

٨٤- جاء في ص ٤١٩س ٢-١ من تحت في حديثه عن عدم جواز زيادة الواو ما نصه: " والثاني أن الحروف وضعت للمعاني، فذكرها دون معناها يوجب اللبس وخلوها عن المعنى. وهو خلاف الأصل" الظاهر أن قوله: " وهو " مقحم في هذا السياق، وأن الصواب إسقاطه مع النقطة التي قبلها. فتكون العبارة: "...فذكرها دون معناها يوجب اللبس. وخلوها عن المعنى خلاف الأصل".

٨٥- جاء في ص ٤٢٢س ٢-١ من تحت ضمن حديثه عن (الشك) أحد معاني (أو) ما نصه: "...كقولك: قام زيدٌ أو عمرو، والمعنى أحدهما، ولذلك تقول: فقال كذا أو كذا، ولا تقول: فقالهما<sup>(٥)</sup>" قال المحقق في الحاشية(٥): في الأصل: "فقالا " الظاهر أن قوله: " فقالهما " تحريف، وأن الصواب " فقالا " كما في الأصل؛ لأن المراد (زيد أو عمرو) فأحدهما الذي يقول: كذا وكذا، لا كلاهما؛ لذلك لا يجوز أن تقول: فقاما؛ لأن المتكلم شك في أيهما الذي قام، ولم يشك في قيام أحدهما. والظاهر أن قوله: "كذا أو كذا " حُرِّفَتْ فيه (أو) لتناسب(فقالهما)، وأن صواب العبارة: "كذا وكذا " بالواو.

٨٦- جاء في ص ٤٢٩س ٢ في كلامه عن (أم) المتصلة والمنقطعة ما نصه: " وإن كان بعد (أم) جملة تامة مخالفة للأولى كانت منقطعة، كقولك: أزيد عندك أم عمرو في الدار، لأن (أَيًّا) لا تقع ههنا، وسببه أن (أيهما) اسم مفرد، فالخبر عنه واحد، فإذا اختلف الخبران لم يستند إلى أيهما" الظاهر أن قوله: " لم يستند " تحريف، وأن الصواب " لم يُسندًا " .

٨٧- جاء في ص ٣٣٤س ٥ وما بعده في الفصل الذي عقده لعدم جواز العطف على عاملين ما نصه: " واحتج الآخرون بقوله تعالى: [ واختلاف الليل والنهار ] إلى قوله: [ آيات (٣) لقوم يعقلون ] فـ (اختلاف) بالجبر والعطف على (خلقكم)، و (آيات) الثالثة معطوفة على (آيات) الأولى<sup>(٤)</sup> المنصوبة بـ (إن)... " قال المحقق في الحاشية (٣): " في الأصل: (لآيات)" وقال في الحاشية (٤): " في الأصل: (الثانية)، ولم يكن بدُّ من تصحيح الأصل ليطابق ما نزل به الوحي الأمين" [كذا]. فيما سلف نقله أمور عدة:

أ- الظاهر أن قوله "آيات" سهوٌ في هذا السياق، وأن الصواب " لآيات " كما في الأصل، وأن مراد المؤلف قراءة عبدالله بن مسعود وأبي بن كعب (لآيات) في الثانية والثالثة كما في الأولى.

ب- الظاهر أن قوله: "الأولى" وهم، وأن الصواب " الثانية " كما في الأصل. وأن قوله: " المنصوبة بـ (إن) المراد به أن حرف العطف ينوب مناب عامل واحد، فاعتبارها معطوفة على (لآيات) الأولى يفوت الاستشهاد، ويؤيد ما ذهب إليه قوله: " فاختلاف بالجبر معطوف على خلقكم" ولم يقل معطوف على ( في السموات).

ج- والظاهر أيضاً أن القراءات الواردة في هذه الآيات أو في موضع الشاهد من هذه الآيات لم تحقق حتى يتبين وجه الاستشهاد بها. فقد قرأ الجمهور (آيات) بالرفع في الثانية والثالثة وعليها يفوت الاستشهاد لما نحن فيه. وقرأ الأعمش والجحدري وحمزة والكسائي ويعقوب بالنصب فيهما. وزيد بن علي برفعهما مع الإفراد (آية) وعليها يفوت الاستشهاد وأيضاً، وأبي وعبد الله (لآيات) فيهما كالأولى. يُنظر البحر ٤١٣/٩، والكشف عن وجوه القراءات ٢٦٧/٢.

٨٨- جاء في ص ٤٥٤س ٦-٨ في حديثه عن أسماء الأفعال ما نصه: "... وحقيقة القول فيه أن (صنة) اسم لـ (اسكت). وليس

اللفظان عبارتين عن شيء واحد. مثل اسكت واصمت، ف (صنة) اسم ومسماه لفظ آخر، وهو: السكت. فالزمان معلوم من المسمى لا من الاسم<sup>(٢)</sup> " قال المحقق في الحاشية (٢): " لعله يريد أن الزمان يفهم من المسمى (اسكت) من اسم الفعل (صه) [كذا] أما (السكت) فلا زمان فيه " الظاهر أن قوله: " السكت " تحريف، وأن الصواب " اسكت "، لأنه قال: " ... أن (صه) اسم ل (اسكت).. ف (اسكت) مسمى (صه).

٨٩- جاء في ص ٤٥٦س ٥ ضمن حديثه عن خروج بعض أسماء الأفعال من الخطاب إلى الغيبة ما نصه: "...وقد حكى عن بعض العرب أنه قال: عليه رجلاً ليسي، يريد: ليطلب رجلاً غيري. والأصل: ليس إياي، فحصل في الحكاية شذوذ من وجهين<sup>(٤)</sup> " قال المحقق في الحاشية (٤): " لعل المقصود بوجهي الشذوذ خروج اسم الفعل (عليه) من الخطاب إلى الغياب ومن الأمر إلى المضارع المقرون بلام الأمر، ووقوع الضمير المتصل خيراً لليس. ولك أن تضيف وجهاً ثالثاً، وهو تجرد (ليس) من نون الوقاية" والحق أن الشذوذ الأول هو ما ذكره المحقق من خروج اسم الفعل من الخطاب إلى الغيبة، وهو ما صرح به المؤلف. أما الشذوذ الثاني فهو أن اسم الفعل جعل خيراً عن الغائب، ولم يذكر الغائب مقدماً ولا مؤخراً. ويؤيد ذلك قول المصنف في س ٢: "وأما الخبر عن الغائب فيفتقر إلى ذكره مقدماً أو مؤخراً".

٩٠- جاء في ص ٤٦١س ٢ ما نصه: " وأسماء فعل الأمر لا يتقدم معمولها عليها عند البصريين لقصورها عن الفعل، وأنها غير مشتقة منه" الظاهر أن قوله: " وأنها " تحريف، وأن الصواب " لأنها ".

٩١- جاء في ص ٤٦٣س ٧ وما بعده ما نصه: " وأما (إيالك والشر) فمنصوب بفعل محذوف أيضاً، ولا بد فيه من مفعول آخر

معطوف بالواو ومُعَدَّى إليه بحرف جر كقولك: (إياك من الشر) ... وجاءوا بالواو وحرف الجر ليدلوا على ذلك الفعل المحذوف "الظاهر أن قوله: " ... ومُعَدَّى ... وحرف الجر ... " وهم، وأن الصواب " ... أو مُعَدَّى ... أو حرف الجر ... ".

٩٢- جاء في ص ٤٦٥س٦ في كلامه عن (لبيك وسعديك وحنانيك) ما نصه: " ... وهذه التثنية في معنى الجمع عند سيبويه وأصحابه. وقال سيبويه: هو مفرد قلبت ألفه ياءً مع المضمرة ... " الظاهر أن قوله: " وقال سيبويه " وهم، وأن الصواب " وقال يونس " أو تكون العبارة محتاجة إلى تكملة على النحو الآتي: " وقال سيبويه: [ قال يونس] ... " ينظر الكتاب لسيبويه (بولاق ١/١٧٦).

٩٣- جاء في ص ٤٦٩س٦ في باب الاشتغال ما نصه: " و(إن) الشرطية كذلك. تقول: إن زيدا تُكْرِمُهُ أَكْرِمُهُ، لأن الشرط لا معنى له إلا في الفعل<sup>(١)</sup> " قال المحقق في الحاشية (٢): ولذلك رُجِحَ النصب في (منفس) من قول النمر بن تُوَلب:

لا تجزعي إن منفساً أهلكته      وإذا هلكت فعند ذلك فاجزعي

الحق أن الرفع والنصب في (منفس) في البيت المذكور يتبع لتقدير العامل، لا لما ذكره المحقق. فهم أجازوا تقدير العامل في مثل هذا الموضع من لفظ الفعل الذي بعده أو من معناه، فالرفع في (منفس) على تقدير العامل من معنى الفعل الذي يليه: أي: "إن هلك منفساً أهلكته..) والنصب على تقدير العامل من لفظ الفعل الذي يليه، أي: (إن أهلكت منفساً أهلكته...) فلا ترجيح للنصب على الرفع فيه.

٩٤- جاء في ص ٤٧١س٤ من تحت ضمن حديثه عن سبق النكرة للمعرفة ما نصه: " والثاني أن النكرة تقع على الأشياء المجهولة، وعلى المعدوم والموجود، والقديم والمحدث، والجسم والعرض، كقولك: شيء، ومعلوم، ومذكور، وموجود "

الظاهر أن قوله: " ومعلوم" تحريف، وأن الصواب" ومعدوم"؛ لأن المؤلف قال قبل ذلك: " وعلى المعدوم" ولم يقل: وعلى المعلوم. والأشبه أن قوله: " ومذكور " مقحم لعدم ذكره كما ذكر (معدوم وموجود).

٩٥- جاء في ص ٤٧٢س ٢ ما نصه: " وبعض النكرات أنكر من بعض، فكل اسم تتاول مُسميات تتاولاً واحداً كان أنكر من اسم تتاول دون تلك المسميات. فعلى هذا فأنكر الأشياء (معدوم) و(منكور)<sup>(٢)</sup>" قال المحقق في حاشية رقم (٢): في الأصل(مذكور) ويُخَيَّل إلينا أنها (منكور) وأنها مصحفة... " في هذا السياق أمران: أولهما: الظاهر أن قوله: " تتاول دون " سقط منه المفعول به، وأن تكلمته : " تتاول[ما] دون... " والثاني: أن قوله: " ومنكور" مقحم في هذا السياق؛ لأن أنكر الأشياء يُعَبَّر عنه بلفظ واحد؛ ولأن المصنف بعد ذلك يذكر (معدوم) على أنه أنكر الأشياء، ثم يذكر ما هو أخص منه، ولا يذكر(منكور). يُنظر للاستئناس كتاب( الكليات) لأبي البقاء الكفوي ص ٦٥٥ و ص ٦٩٤.

٩٦- جاء في ص ٤٧٤س ١٠ وما بعده ما نصه: " وإنما كان في الضمائر المرفوعة والمنصوبة متصل ومنفصل... فإذا تقدّما انفصلا لحاجتهما إلى القسيام بأنفسهما، وإذا تأخرا انفصلا لاعتمادهما على العامل" الظاهر أن قوله: (انفصلا) وهم، وأن الصواب " اتصلا".

٩٧- جاء في ٤٨٠س ١ وما بعده ما نصه: " وحكي عن بعض العرب أنه قال: " إذا بلغ الرجل الستين فإياه وإيا الشواب" وهذا ضعيف لما تقدّم، والحكاية شاذة لا تقوي الاحتجاج بها " الظاهر أن قوله: " لا تقوي الاحتجاج " يحتاج ضبطاً: " لا تُقَوِّي الاحتجاج".

٩٨- جاء في ص ٤٨٢س ١٠ وما بعده ما نصه: " وكذلك(أنتما) لو فتحت التاء لاشتبهت بـ( أنتماء)<sup>(٣)</sup>؛ ولأن التاء هنا في مجاورة الواحد، فضمت كنون( نحن)... " قال المحقق في الحاشية(٣) ما نصه: "في

الأصل رسمت (انتماء) بهمزة وصل، ويُخَيَّلُ إلينا أن الصواب القطع كما أثبتنا. لأن همزة (انتماء) بمعنى الانتساب مكسورة، وكسرها ينفي عنها الاشتباه. وأما (أنتما) بقصر الممدود، وقطع الهمزة فيجعل الكلمة مشتبهة بـ (أنت ماء). " في العبارة السابقة وكلام المحقق أشياء أوف عندها:

أ - الظاهر أن قوله: "أنتماء" تحريف وتصحيف، وأن الصواب "أنتمى"، ولا يعترض عليه بصورة الرسم؛ لأن العبارة هنا بالاشتباه في اللفظ، فهو يتكلم عن زمن الوضع، وهو سابق لزمن الرسم.

ب- الظاهر أيضاً أن قوله: "مجاورة تحريف وتصحيف، وأن الصواب "مجاوز"؛ لأن المراد الزائد عن الواحد كما أن (نحن) كذلك. ينظر ما سلف ص ٤٧٦ من الكتاب.

ج- قول المحقق: " وأما (أنتما) بقصر الممدود وقطع الهمزة... " مجانب للصواب؛ لأن أبا البقاء بصري المذهب، وهم لا يجيزون قصر الممدود في غير ضرورة الشعر؛ ولذلك نجده يرد قول الكوفيين بجواز ذلك (ينظر ج ٢ ص ٩٨-٩٩ من الكتاب). ولا معنى أيضاً للفظ (أنتماء) التي قال المحقق إنها قصرت، فأصبحت (أنتما).

٩٩- جاء في ص ٤٨٣ س ٢ من تحت وما بعده ما نصه: " والاسم العلم هو الموضوع على المسمى تمييزاً له، لا لدلالته عليه اشتقاقاً، ولذلك يجوز أن يُسمَى الأبيض حقيقة (أسود). ويُسمَى الإنسان زيدا لا لزيادته، و(عباساً) لا لعبوسه، بل للتمييز كما ذكرنا. وإنما يثبت أنه علم يعرف به بعد المسمى غيره بالتسمية... " في السياق السابق أمران: الأول: الظاهر أن قوله " علم يعرف " لا يؤدي المعنى المراد، وأنه يحتاج إلى تكملة " علم (لا) يعرف... ". الثاني: الظاهر أن قوله: " بعد تحريف، وأن الصواب " قَصْدٌ ".

١٠٠- جاء في ص ٤٨٦س ٦ في سياق ردّه على قول الكوفيين إنّ اسم الإشارة الذال وحدها، وأن الألف زائدة للتكثير ما نصه: " والثالث أنه قد عوّض من الذاهب بتشديد النون<sup>(١)</sup>، فكانه لم يذهب" قال المحقق في الحاشية(١) ما نصه: " لعله يعني نون (ذان) في بعض القراءات. جاء في شرح المفصل ١٢٩/٣: " ( فأما قوله تعالى: [ إنّ هذان لساحران] فقد قرأ ابن كثير وحفص (إن) بالتخفيف، وقرأ أبو عمرو [ إنّ هذين (كذا) لساحران بتشديد النون والياء في (هذين) وقرأ الباقر بتشديد النون والألف". الظاهر أن نص ابن يعيش لا يشير إلى تشديد النون من (هذان) و(هذين)، وأن قوله: " وقرأ أبو عمرو [ إن هذين لساحران ] بتشديد النون، والياء في (هذين) " يريد به: بتشديد النون في (إن)، وبالياء في (هذين) أي قرأ (هذين) بالياء، ولم يقرأ(هذان) بالألف. والذي قصد إليه العكبري بقوله: " أنه قد عوّض من الذاهب بتشديد النون، فكانه لم يذهب". قولهم(ذاتك) بتشديد النون. فقد ذهب بعضهم إلى أن تشديد النون عوض من الألف المحذوفة من (ذان). ينظر التاج(ذا) في باب الألف اللينة. والتشديد لغة تميم وقيس، ووردت بها بعض القراءات. ينظر أوضح المسالك ١٣٩/١-١٤٠.

١٠١- جاء في الصفحة نفسها س الأخير وأول ص ٤٨٧ ما نصه: "...فأما(أولاء) فجمع المذكر والمؤنث من غير لفظه. وفيه المد والقصر، و(الكاف) حرف للخطاب بلا خلاف" الظاهر أن في العبارة سقطاً، وأن تكملتها: " والكاف (في أولئك) حرف...؛ لأنه قال بعد ذلك: " والكاف في ذلك"، وقال أيضاً: " فأما اللام في (تلك)".

١٠٢- جاء في ص ٤٨٧س ٧ وما بعده في تعليقه لكسر اللام في (ذلك) ما نصه: "... وحركت لئلا يلتقي ساكنان، وكسرت لأمرين: أحدهما: أنه الأصل في التقاء الساكنين. والثاني: للفرق بينها وبين لام الملك. فصل: فأما(اللام) في (تلك) فبقيت على سكونها، لأن الياء قبلها حذفت لئلا تقع الياء بين كسرتين، إذ الجمع يدعو إلى كسر اللام، وكسرة التاء

تدل على الياء المحذوفة " الحق أن المصنف لم يكن موفقاً في تعليقه هنا، فقله: "أحدهما: أنه الأصل في التقاء الساكنين" تسرع منه، فالمعلوم من كتبهم أن الأصل في التخلص من التقاء الساكنين إذا كان أولهما حرف مد يكون بحذف حرف المد، لا بتحريك الحرف الذي يليه كـ (قَلَّتْ) مثلاً. وقوله: " للفرق بينها وبين لام الملك" تسرع أيضاً؛ لأن كسر اللام في (ذلك) لا يحقق الفرق؛ إذ لام الملك مكسورة أيضاً. وقوله: : فأما اللام في (تلك) ... بين كسرتين" بعيد عن الصواب؛ لأن الياء حذفت لالتقاء الساكنين؛ إذ الأول منهما حرف مد. وقوله: " إذ الجمع يدعو نالي كسر اللام" يعني أن الجمع بين الياء واللام سيؤدي إلى كسر اللام للتخلص من التقاء الساكنين كما ذكر في (ذلك). وهذا غير سديد كما ذكر في (ذلك).

١٠٣- جاء في ص٤٨٨س٥ ما نصه: "فصل (١)" قال المحقق في الحاشية (١): " موضع هذا النص في بحث الضمائر، ويبدو أن المؤلف نسيه هناك وتذكره الآن وهو يتحدث عن الحذف" والحق أن المؤلف تحدث عن (هو) و(هي) في الفصول التي عقدها لها في باب " المعرفة والنكرة " (يُنظر ص٤٧٧وما بعدها من الكتاب). ولما ناقش هنا قول الكوفيين: إن اسم الإشارة هو الذال فقط والألف للتكثير قرن به قولهم: إن الهاء في (هو) و(هي) هي الاسم، وما بعدها مزيد للتكثير.

١٠٤- جاء في ص٤٩٠س٧ في ذكره أولى حجتي من قال: إن اللام وحدها للتعريف ما نصه: " أحدهما: أن التعريف الحاصل في الاسم يجعله غير النكرة، ولذلك إذا جاء آخر بيت نكرة، وآخر بعده معرفة لم يكن إيطاء... الظاهر أن قوله: " وآخر بعده " لا يؤدي المعنى المراد إلا بتقدير تكملة: " .... وآخر (ما) بعده...".

١٠٥- جاء في ص٤٩٢س٢ من تحت ما بعده في ذكره لمعاني اللام ما نصه: " والثالث أن تكون للمعهود بين المتكلم والمخاطب كقولك لمن

تخاطبه: جاء الرجل الذي عهدناه "الظاهر أن قوله: " جاء الرجل الذي عهدناه " سقط منه لفظ (أي)، وأن الصواب: " جاء الرجل [أي]: الذي عهدناه" .

١٠٦- جاء في ص ٤٩٣س ٩ ما نصه: "... ولأن الهاء اسم مضمرة يعرف بما قبله بالإضافة " الظاهر أن قوله: " بما " تحريف، وأن الصواب " ما " .

١٠٧- جاء في ص ٤٩٦س ٥ وما بعده ما نصه: " فصل: في (الفصل) الذي يسميه الكوفيون (العماد)، وهو (أنا) و(نحن) و (هو) للغائب و(هي). ولا يفصل إلا بضمائر المرفوع المنفصل على حسب ما قبله من المتكلم والمخاطب والغائب" كذا جاءت العبارة، والأشبه أن قوله: " وهو (أنا)... و(هي) مقحم في هذا السياق من بعض النساخ أو القراء؛ وذلك لقول المصنف: " ولا يفصل إلا بضمائر المرفوع المنفصل..."، ولوضوح قلق قوله: " للغائب " في هذا السياق؛ ولأنه لم يذكر (أنت).

١٠٨- جاء في ص ٤٩٨س ٦ في حديثه عن المسألة الزنبورية ما نصه: "وقال ثعلب: هو عماد<sup>(٣)</sup>، أي وجدته إياها" قال المحقق في الحاشية (٣): "جاء في أسرار العربية ٣٤٢: " وذهب الكوفيون إلى أن المضمرة هو الكاف و(إيا) عماد، وهذا ليس بصحيح؛ لأن الشيء لا يُعمد بما هو أكثر منه" الظاهر أن المراد بالعماد في نص أبي البقاء ضمير الفصل، وجاء بلفظ العماد لأنه جاء ضمن كلام منقول بنصه عن ثعلب، والعماد مصطلح كوفي كما ذكر المصنف في أول الفصل. ويؤكد ما ذهب إليه قول أبي البقاء في الرد على ثعلب في آخر ص ٤٩٩ " ولا يصح جعل (هو) فصلاً؛ لأن الفصل يكون بين اسمين، وليس هنا." وهو بذلك غير العباد الذي ورد في نقل المحقق عن (أسرار العربية) فمراد أبي البركات بالعماد في النقل المذكور التقوية أو الدُعامة (يُنظر ما سلف ص ٤٨٠).

١٠٩- جاء في ص ٥٠٠س ٨ في باب ما لا ينصرف ما نصه: "أحدهما أن استحقاق الاسم الصرف أصل متأكد، فالشبه الواحد دون تأكده بالأصالة." الظاهر أن قوله: " فالشبه الواحد دون تأكده بالأصالة" لا معنى له، وأن الصواب يكون بالتكلمة الآتية أو بنحوها: "... دون تأكده [لا يقدح] بالأصالة."

١١٠- جاء في الصفحة نفسها س ٥ من تحت ما نصه: "... والشبه الواحد لا يَرَجِّحُ الأصالة..." الظاهر أن قوله: " لا يَرَجِّحُ " تحريف، وأن الصواب "لا يمنع".

١١١- جاء في ص ٥٠١س ٥ ما نصه: " فالاسم يصير فرعاً بحدوث أمر ثانٍ لغيره ومسبوق به." الظاهر أن السياق يشعر بوجود سقط، وأن تكملته: "... بحدوث أمر [هو معه] ثانٍ لغيره.." فهذه التكلمة أو بمثلها تستقيم العبارة.

١١٢- جاء في الصفحة نفسها س ٦ ما نصه: " وتلك الأمور تسعة: وزن الفعل، والتعريف، والزيادة، والوصف، والعدل، والعجمة، والجمع، والتركيب. وكل منها مسبوق بضده أو خلافه" الظاهر أنه ذكر أن العلل المانعة تسعة، وعدد ثمانية، والتي لم تذكر هي (التأنيث)، وحقها أن تكون بين (التعريف) و(الزيادة). فتكون بذلك موافقة لترتيبه إياها عندما تحدث عنها علة علة.

١١٣- جاء في ص ٥٠٣س ٣ ما نصه: " فأما (عثمان) و(عريان) إذا سُمِّي فيمتنع صرفهما..." الظاهر أن قوله: "...إذا سُمِّي فيمتنع..." لا تؤدي المعنى، وأنها تحتاج إلى التكلمة الآتية: "... إذا سُمِّي [بهما] فيمتنع..."

١١٤- جاء في الصفحة نفسها س ٦ في سياق الكلام السابق ما نصه: " أحدهما: أن الألف والنون كألقي التأنيث فيما ذكرنا. والثاني أنه

وصف قد اجتمع فيه سببان. "الظاهر أن قوله: " قد " تحريف، وأن الصواب "فقد". وأن السياق يحتاج إلى نقطة " ... وصف. فقد...".

١١٥- جاء في ص ٥٧س ٩ ما نصه: " فإن سميت بـ ( قيل ) و( بيع ) صرفت، لأن هذا الوزن يكثر في الأسماء، ولم ينقل إلى أصله الذي هو فعل، لأنه رفض وصار كأنه أصل. "الظاهر أن قوله: " ولم ينقل " تحريف، وأن الصواب " ولم ينظر " .

١١٦- جاء في ص ٥٨س ٤ ما نصه: " إذا كان الاسم على ثلاثة أحرف ساكن الأوسط معرفة، نحو(هند)... "الظاهر أن قوله: " إذا كان الاسم على ثلاثة ... " لا يصح على إطلاقه، وأنه يجب تقييده بالتكملة الآتية: "...الاسم [المؤنث] على ثلاثة...".

١١٧- جاء في ص ٥١٣س ٢ ما نصه: " إذا كان الوصف تاء التانيث نحو(ضاربة)... "الظاهر أن قول: " ...الوصف تاء التانيث... " لا معنى له، وأن الصواب يكون بالتكملة الآتية: "... الوصف [فيه] تاء التانيث...".

١١٨- جاء في الصفحة نفسها س ٢ من تحت ما نصه: " أحدها المعرفة، وهو لا تدخله الألف واللام نحو (جشم)... "الظاهر أن قوله: "... وهو لا تدخله... " لا يؤدي المعنى، وأن الصواب يكون بالتكملة الآتية: "... وهو [ما] لا تدخله...".

١١٩- جاء في ص ٥١٤س ٥ وما بعده ما نصه: " وأما ما غُذِل من الصفات فيجىء على (فعال)... وعلى (مفعَل)...، وهو غير مصروف. "الظاهر أن قوله: " وهو " تحريف، وأن الصواب " فهو " لقوله في أول العبارة: " وأما...".

١٢٠- جاء في ص ٥١٨س ٦ ما نصه: " فأما (أباتر) فينصرف بكل حال، لأنه كثير الأسماء... "الظاهر أن قوله: " كثير الأسماء " لا معنى له، وأن الصواب يكون بالتكملة الآتية: "... كثير [في] الأسماء...".

## الجزء الثاني:

١- جاء في ص ١٥ س ٣ وما بعده في ذكره لاختلافهم في أي أقسام الفعل أصل لغيره ما نصه: " وفعل الحال يمكن الإشارة إليه فتتحقق وجوده [فيصدق الخبر عنه، وقال قوم: الأصل هو المستقبل لأنه يخبر عنه عن المعدوم ثم يخرج الفعل إلى الوجود فيخبر عنه بعد وجوده] " الظاهر أن قوله: " عنه في المواضع الثلاثة تحريف، وأن الصواب " به". فالفعل يخبر به ولا يخبر عنه، ولو كان (عنه) لما قال المؤلف: "... لأنه يخبر عن المعدوم...".

٢- جاء في ص ٢١ س ١ ضمن حديثه عن علة إعراب الفعل المضارع ما نصه: " فإن قيل: لم لم يجعل من أحكام الاسم غير الإعراب؟ قيل: الإعراب لا يُغَيِّر معنى الفعل. " الظاهر أن قوله: " لم يجعل من أحكام الاسم" لا يؤدي المعنى، وأن الصواب يحتاج إلى التكملة الآتية: "... لم يجعل [له] من أحكام...".

٣- جاء في ص ٢٥ س ٤ من تحت وما بعده: " واحتج للكسائي: بأن الفعل قبل حرف المضارعة مبني وبعد وجوده وحده مرفوع، والرفع عمل لا بد له من عامل، ولم يحدث<sup>(٤)</sup> سوى الحرف، فوجب أن يضاف العمل إليه، وإنما بطل عمله بعامل آخر لأنه أقوى منه كما (إن) الشرطية يبطل عملها بـ(لم). " قال المحقق في الحاشية(٤): " في م: ولا محدث. " في السياق السابق أمران: الأول: الظاهر أن قوله: " لم يحدث " تحريف، وأن الصواب ما في(م) مع تكملة يقتضيها السياق: "... ولا محدث [له] سوى الحرف...". الثاني: الظاهر أن قوله: " كما إن" يصح بالتكملة الآتية: " كما [أن] (إن) الشرطية...".

٤- جاء في ص ٢٧ س ٤ في حديثه عن الأمثلة الخمسة ما نصه: "أحدهما أن المعنى الذي أعرب به<sup>(٢)</sup> المضارع موجود فيها من غير مانع. " قال المحقق في الحاشية(٢): " في ح: له ". الأشبه ما في(ح)، وكان حقه أن يُبَيَّن في النص؛ لأن المحققين عدا النسختين أصلاً، فلا مزية لإحداهما على الأخرى.

٥- جاء في الصفحة نفسها س ٥ من تحت في دفعه لكون الضمير في الأمثلة الخمسة حرف إعراب ما نصه: " والثاني باطل أيضاً لأنه اسم في موضع رفع معمول للفعل فليس منه، ولا علامة لشيء هو فيه " الظاهر أن الواو في قوله " ولا " مقحمة في هذا السياق.

٦- جاء في ص ٢٨ س ٨ ما نصه: "... أن الماضي سَكَنَ لثلاثا تتوالى أربع حركات وكذلك هو المضارع. وسكون الثاني عارض لا يعتد به، وإن الساكن غير<sup>(٥)</sup> حصين، وحرف المضارعة متحرك وهو من نفس الفعل. وإن<sup>(٦)</sup> زيادة الحرف ناب مناب الحركة." قال المحقق في حاشيته (٥)(٦): " في ح: أو أن؟ الظاهر أن قوله: " وإن " بالواو في الموضوعين تحريف، وأن الصواب: " أو إن " كما في (ح).

٧- جاء في ص ٣٩ س ٨ في عرضه لحجتي الكوفيين في أن لام التعليل هي الناصبة للفعل ما نصه: " ألا ترى أنه يجوز أن تقول: أَمَرْتُكَ تُكْرِمَ زَيْدًا، تريد بأن تكرم زيدا. فيتعين أن تكون هي الناصبة." الظاهر أن قوله: " تكرم " تحريف، وأن الصواب: " بتكرم "؛ لأنهم ذهبوا إلى أن لام التعليل هي الناصبة، ورفضوا تقدير " أن "، فيقولون: كما لا يصح أن تقول: " بتكرم " وأن تريد " أن " مقدرة بعد الباء، وكذلك لا يصح أن تقول " لتكرم " مريداً " أن " مضمرة بعد اللام.

٨- جاء في ص ٣٩ س ٤ من تحت وما بعده في جوابه عن كلمات الكوفيين في النصب بلام التعليل ما نصه: " يُسَلِّمُ إِلَى أَنْ (كي) تنصب بنفسها. ولكن لم تكون اللام كذلك واتفاقهما في المعنى يوجب<sup>(٥)</sup> اتحادهما في العمل " قال المحقق في الحاشية (٥): " في ح: لا يوجب. " الظاهر أن قوله: " يُسَلِّمُ إِلَى أَنْ " فيه تحريف وإقحام، وأن الصواب: " نُسَلِّمُ أَنْ (كي)... " والظاهر أيضاً أن قوله: " يوجب " سهو، وأن الصواب ما في (ح): " لا يوجب "؛ لأنه لو كان يوجب ذلك لكان موافقاً لهم، وهو يرد عليهم.

٩- جاء في ص ٤٢س ١ في حديثه عن نصب (يعجز) بعد الواو في (لا يسعني شيء ويعجز عنك) بـ (أن) المضمره، ما نصه: "...والمعنى لا يجتمع في شيء واحد أن يسعني وأن يضيق عنك. أي: أنا وأنت مشتركان فيما يحسن ويقبح ويضيق ويتسع فكيف نفترق في ذلك؟ ولو رفعت لصار المعنى (٢) نفيًا، وآل المعنى إلى أنه لا يسعني شيء ولا يضيق عنك وهذا عكس المعنى". قال المحقق في الحاشية (٢): "في ح: لصار الثاني". الظاهر أن قوله: "المعنى" وهم، وأن الصواب "الثاني" كما في (ح). ومراده: الفعل الثاني، وهو (يعجز عنك).

١٠- جاء في ص ٤٣س ٢ من تحت في ذكره لجواز النصب في نحو قوله: (ما تأتينا فتحدثنا) على معنيين ما نصه: "أحدهما: أن تريد نفيهما على سبيل الإنكار على مدعي الإنكار<sup>(٤)</sup>، أي: أنت ما تأتينا فكيف تحدثنا؟! " قال المحقق في الحاشية (٤): "في ح: على مدعي الحديث". الظاهر أن قوله: "الإنكار" سهو، وأن الصواب "الحديث" كما في (ح).

١١- جاء في ص ٤٥س ٨ في ذكره أن الفعل يرتفع بعد (حتى) على معنيين ما نصه: "أحدهما: أن يكون الفعل الذي بعدها وسببه ماضيين كقولك: سرت حتى أدخلها، إذا كنت قد سرت ودخلت، فكأنك قلت: سرت فدخلتها ماضياً<sup>(٣)</sup>" قال المحقق في الحاشية (٣): "كلمة (ماضياً) سقطت من ح". الظاهر أن كلمة "ماضياً" مقحمة في هذا السياق، وأن الصواب إسقاطها كما في (ح)، لأن معنى المضي مفهوم من الفعل "فدخلتها".

١٢- جاء في ص ٤٦س قبل الأخير في ردّه لإجازة الكوفيين إظهار (أن) مع لام (كي) في النفي ما نصه: "ومن العجب إجازة الكوفيين إظهار (أن) بعدها في قولهم: اللام هي العاملة". الظاهر أن قوله: "في" سهو، وأن الصواب "مع".

١٣- جاء في ص ٦٣س ٤-٥ في حديثه عن عدم المجازاة بـ (كيف) ما نصه: " ولا يصح قياسها على الحرف في عدم الضمير كما تقاس<sup>(١)</sup> بقية الأسماء على (إن) فسي عدم عود الضمير عليها. " قال المحقق في الحاشية (١): " في ح: كما لم تقاس". الظاهر أن قوله: " كما تقاس" لا يؤدي المعنى، وأن الصواب: " كما لم تقس " كما في (ح).

١٤- جاء في ص ٦٤س ٧ ما نصه: " فإن قلت: لا تدن من الأسد يأكلك، لم يجز، لأن تقديره: إلا تدن منه يأكلك، والتباعد منه ليس بسبب في أكله. فإن قيل: لم لم يقدر: إن تدن؟ قيل: يجب أن يكون المقدر من جنس الملقوظ به، كما لا تقدر في الأمر النهي<sup>(٤)</sup>، كذلك لا تقدر في النهي الإيجاب. " قال المحقق في الحاشية (٤): " في ح: النفي". الظاهر أن قوله " النهي" وهم وأن الصواب " النفي " كما في (ح).

١٥- جاء في ص ٦٥س ١ ما نصه: " مسألة: الأمر والنهي ونحوهما لا يُجزم بأنفسهما بل بشرط مقدر... الظاهر أن قوله: " لا يجزم " تحريف، وأن الصواب " لا يجزمان ".

١٦- جاء في ص ٧٢س ١٢ في كلامه عن تحريك واو الجماعة وياء المؤنثة المخاطبة إذا وقعت بعد نون التوكيد ما نصه: "...وليس كذلك قولك: ارْمَنْ و ارْمِنْ، لأن ضمة الميم تدل على الواو، والكسرة تدل على الياء المحذوفة." الظاهر أن العبارة تحتاج إلى تكملة: "... على الواو [المحذوفة]...".

١٧- جاء في ص ٧٢س ٣ من تحت في ذكره لأمر جماعة النساء من (وأى) مؤكداً ما نصه: " أما الواو التي هي فاء الفعل فحذفت لوقوعها بين ياء وكسرة في قولك: (عُنِي)... الظاهر أن قوله " عُنِي " تحريف، وأن الصواب " يَنِي".

١٨- جاء في ص ٧٥س ٦ ما نصه: " وإنما يُحْرَكُ المبني لأمرين: أحدهما: التقاء الساكنين. والآخر: شبهه بالمعرب<sup>(٣)</sup>. " قال المحقق في الحاشية(٣): " وذلك كشبه الفعل المضارع بالاسم[كذا] انظر أسرار العربية ٢٥، وإيضاح علل النحو ٨٦".

١٩- جاء في ص ٨١س ٣ من تحت في كلامه عن (قبل وبعد) ما نصه: "ويضافان إلى المفرد لأن الإبهام يزول به إذا كانا بعضه أو مضافين له من جنسه". الظاهر أن قوله: " أو مضافين له من جنسه " غير واضح، ولم أنته فيه إلى شيء.

٢٠- جاء في ص ٩١س ٦ ما نصه: " وأما (هات) ففعل صريح. يقال هاتا يُهاتِي مهاتاةً مثل رامى وحامى". الظاهر أن قوله: "هاتا" خطأ في الرسم الذي استقر عليه الناس، وأن الصواب: (هاتِي).

٢١- جاء في ص ٩٤س ٥ في حديثه عن (جَيْر) ما نصه: "...وحرَّك بالكسر لالتقاء الساكنين، ولم يكثر استعمالها ففتح كما فتحت (أين)". الظاهر أن قوله: " ففتح " تحريف، وأن الصواب: " ففتح ".

٢٢- جاء في ص ١٠٣س ١ ما نصه: " فإن قيل كان يمكن أن يقول " أبقلت إيقالها. فيلقي كسرة الهمزة على التاء... " الظاهر أن قوله: " إيقالها " بقطع الهمزة هنا وهم، وأن الصواب " أبقلت إيقالها ".

٢٣- جاء في ص ١٠٤س ٦ بيت جرير المشهور في رثاء عبدالله بن الزبير - رضي الله عنه:-

لما أتى خبرُ الزبيرِ تواضعت  
سُورُ المدينة والجبالُ الخُشَعُ

الظاهر أن قوله: " سُورُ يَفَوَّتُ الاستشهاد وأن الصواب " سُورُ".

٢٤- جاء في ص ١٢٧س ١-٢ في حديثه عن حرفية(أن وأن) الموصولتين ما نصه: "... لأن كونها موصولة يخرجها عن حكم الأسماء إذ من

حكم الاسماء التمام، وكونها لا تتم حكم اكثر الحروف فعلم ان الاسمية تثبت بدليل غير هذا. قال المحقق في الحاشية (٢): " (لا)، ساقطة من م. " الظاهر أن (لا) مقحمة في هذا السياق، وأن الصواب ما في (م).

٢٥- جاء في ص ٢٨١س ٢ وما بعده ما نصه: " ولا يتقدم شيء من الصلة على الموصول... وذلك قولك " : سرنى ما صنعت اليوم. إن نصبت: اليوم سرنى جاز تقديمه وتأخير، وإن جعلته ظرفاً لـ (صنعت) لم يجز تقديمه بحال. " الظاهر أن قوله: " اليوم سرنى " لا يؤدي المعنى، وأن الصواب يكون بالتكلمة الآتية: "...اليوم [سرنى]..." .

٢٦- جاء في ص ٣٣١س ٢-١من تحت في حديثه عن حذف أداة الاستفهام ما نصه: " وعلى هذا حملت قراءة من قرأ: [ اتَّخَذْنَاهُمْ سُخْرِيًّا ] <sup>(٤)</sup> بكسر الهمزة. " قال المحقق في الحاشية (٤): " سورة ص: ٦٣/٣٨، وقال في كتاب السبعة ٥٥٦: قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم: (سُخْرِيًّا) كسراً، وروى المفضل عن عاصم: (سُخْرِيًّا) ضمّاً. وقرأ نافع وحزمة والكسائي (سُخْرِيًّا) ضمّاً، وهما لغتان. وانظر حجة القراءات لابن زنجلة ٤٩٢، وقال ابن خالويه في الحجة ٢٣٤: قوله تعالى (سُخْرِيًّا) يقرأ بكسر السين وضمها، فالحجة لمن كسر أنه أخذ من (السُّخْرَةِ) [كذا] والحجة لمن ضم أنه أخذ من (السُّخْرَةِ)، وانظر الإتحاف ٣٨٩ و٤٥٧. ومما يجدر ذكره أن (سُخْرِيًّا) وردت بالقراءتين في (سورة المؤمنون) ١١٠/٢٣ وانظر السبعة ٤٤٨. " الظاهر أن المحقق وهم فظن أن الشاهد في قوله (سُخْرِيًّا). وموضع الشاهد صرح به المؤلف بقوله: " بكسر الهمزة " ، ولا همزة إلا في (اتَّخَذْنَاهُمْ). وتحقيق الشاهد يكون على النحو الآتي: " وقرأ ابن كثير ونافع وابن عامر وعاصم: [الأشْرارِ \* اتَّخَذْنَاهُمْ] بقطع الهمزة. وقرأ أبو عمرو وحزمة والكسائي: [الأشْرارِ \* اتَّخَذْنَاهُمْ] بألف موصولة. " السبعة ٥٥٦. ومراد المؤلف بقوله: " بكسر الهمزة " أي في الابتداء؛ لأنها

أول آية ، فإذا ابتدئ بـ (اتخذناهم) كسرت الهمزة. ووجه الاستشهاد أن من قرأ بكسر الهمزة قَدَرَهْمَزَة الاستفهام محذوفة لدلالة الكلام عليها. وهذا يوافق السياق؛ لأن المؤلف يتكلم عن حذف أداة الاستفهام.

٢٧- جاء في ١٦١س٦ ما نصه: "...لأن علامة التأنيث مفتوح ما قبلها أبداً، فهي كاسم ضمّ إلى اسم<sup>(٦)</sup> فيبقى الصدر بحاله." قال المحقق في الحاشية (٦): "في ح: فيجب أن يبقى الصدر بحاله" الظاهر أن ما في (ح) أولى بالإثبات هنا، ولا سيما أن المحققين عدا النسختين أصلاً.

٢٨- جاء في ص ٦٢س٥ ما نصه: "فإن كان المؤنث بالألف رباعياً مثل (قرقرا) ... تكتب وفق القواعد الرسم التي استقر عليها الناس: "قرقري" وإذا رُسِمَت كذلك في المخطوط يشار إلى ذلك في المقدمة فحسب. ووردت أيضاً في الصفحة نفسها السطر الأخير: "...كما حذف ألف (قرقرا)". ويُنظر التعليق رقم (٢٠).

٢٩- جاء في ص ٦٣س١-٢ في كلامه عن تصغير (خباري) ما نصه: "وأجاز بعضهم حذف ألف التأنيث وقلب ألف المد ياءً وزيادة تاء التأنيث فيقول: حَبِيرَة...". الظاهر أن قوله: "حَبِيرَة" وهم، وأن الصواب: "حَبِيرَة".

٣٠- جاء في ص ٧٣س٩ ما نصه: "فأما في المؤنث فقد قالوا: هذه وهاذي...". كذا. ويُنظر التعليق رقم (٢٨).

٣١- جاء في ص ٨٤س٨ في ذكره لقلب ألف (فاعل) في التكسير واواً ما نصه: "أحدهما: الفرق بين ألف (فاعل) وياء (فَيْعَل) نحو: صَيْرَفَ وَيَيْتَسَ فلو قلت: ضارب لجاز أن يقال الواحد: ضيرب" الظاهر أن قوله: "ضارب" تحريف، وأن الصواب "ضيارب" ؛ لأن مراد المؤلف أنهم لو قلبوا ألف (فاعل) في التكسير ياءً لقالوا بدل (ضوارب): ضيارب وهذا يمكن أن يظن أن واحده (ضَيْرِب) فيلتبس تكسير (فاعل) بتكسير (فَيْعَل).

٣٢- جاء في ص ١٨٨س قبل الأخير ما نصه: " فإن كانت العين واواً نحو: سُورَة، لم تحرك لئلا تتقلب<sup>(٣)</sup> الواو بالضم أو تقلب ألفاً إن فتحت... قال المحقق في الحاشية (٣): " في م: تنقل" الظاهر أن قوله: " تنقلب " تحريف، وقوله: " تنقل " تصحيف، وأن الصواب "تنقل" بالناء.

٣٣- جاء في ص ١٨٩س ٣-٤ ما نصه: "...نحو كَلِيَّة، فالتسكين هو الوجه لما تقدّم في الواو، ولو فتحت العين لأدى القياس إلى قلب اللام ألفاً أو حذفها لالتقاء الساكنين." الظاهر أن قوله: " أو حذفها " تحريف، وأن الصواب " وحذفها ".

٣٤- جاء في ص ١٩٠س ٦-٥ من تحت ما نصه: " فمن ذلك: (ليلة) جُمعت على (ليال)، وكان قياسها: (ليال) مثل (جفان)، أو ليلاً...". الظاهر أن قوله: "ليال" سهو، وأن الصواب " ليالاً".

٣٥- جاء في ص ١٩٨س الأخير ما نصه: "...وتقول: مررت بِرِجْلٍ - فتكسر الجيم- ولا تقول: هذه رِجْلٌ لئلا تخرج من كسر إلى ضم في حشو. وتقول: هذا بُسْر، فتضم، ولا تقول: أكلت من بُسْر- فتكسر- لئلا تخرج من ضم إلى كسر لِإِزْم في حشو... الظاهر أن قول "بِرِجْلٍ" سهو، وأن الصواب "بِرِجْلٍ"؛ لأن الأصل: مررت بِرِجْلٍ، ثم نقلت حركة اللام في الوقف إلى الجيم الساكنة، فأصبحت: بِرِجْلٍ. فلو كانت بِرِجْلٍ. فهذا يعني أن الأصل " مررت بِرِجْلٍ " والجيم هنا ليست ساكنة فلا يصح النقل. والظاهر أيضاً أن قوله: " رِجْلٍ" سهو، وأن الصواب "رِجْلٍ" ويقال فيها ما قيل في التي قبلها إلا أن الحركة المنقولة في هذه ضمة. والظاهر أن قوله: "إلى كسر لازم" لا يؤدي المعنى، وأن الصواب يكون بالتكلمة الآتية: " إلى كسر [غير] لازم؛ لأن الكسر ليس من بنية الكلمة، وللمتحدث عنه مندوحة، فلا يلجأ إليه.

٣٦- جاء في ص ٢٠٠س٤-٥ في حديثه عن علة امتناع الإبدال في الوقف في حالي الرفع والجر ما نصه: "... والياء في الجر تلتبس بياء الجمع أو ضمير المتكلم أو ياء المتكلم (٣) ... " قال المحقق في الحاشية (٣): " في ح: ياء النسب ... ) الظاهر أن قوله: "أو ياء المتكلم" وهم، وأن الصواب كما في (ح): " أو ياء النسب"؛ لأن المصنف قال قبلها: " أو ضمير المتكلم" وضمير المتكلم هو ياء المتكلم في هذا السياق لقوله: " والياء في الجر... " ولا ضمير للمتكلم في الجر إلا الياء.

٣٧- جاء في ص ٢٠٢س٢ في حديثه عن إثبات التاء التي للتأنيث في الأسماء تاء في الوقف عند بعضهم ما نصه: " ومنه قول (١): يا أهل سورة البقرة، فقال مجيب: ما أحفظ منها ولا آيت، ولا يبديل هنا من التوين ألفاً. " قال المحقق في الحاشية (١): " كلمة (قول) ساقطة من (ح). الظاهر أن قوله: " قول" مقحم في هذا السياق، وأن الصواب إسقاطه كما في (ح). والظاهر أيضاً أن قوله: " ولا يبديل هنا من التوين ألفاً" لا تؤدي المعنى، إذ ليس المقصود التوين على إطلاقه، وأن الصواب يكون بالتكملة الآتية: "... من التوين [في النصب] ألفاً." أي على لغة هؤلاء لا نقول في قولنا: " رأيت بقرة " في الوقف: (بقرتا)، وإنما نقول أيضاً: بقرت كما هو الحال في الرفع والجر.

٣٨- جاء في ص ٢٠٣س٣ في حديثه عن لغة من ينقل حركة الهمزة المتطرفة في الوقف ويحذفها ما نصه: " ومنهم من يُلقي حركة الهمزة على ما قبلها ويحذفها فيقول: هذا الوَثُ بغير همزة في الأحوال الثلاث، لكن يَضُم التاء في الرفع، ويفتحها في النصب ويكسرهما في الجر كما كانت الهمزة كذلك. " الظاهر أن قوله: " وفتحها... وبكسرهما" تصحيف، وأن الصواب: "... ويفتحها... وبكسرهما... بالياء؛ لأنه قال قبلها: "يلقي... ويحذفها فيقول... يضم".

٣٩- جاء في ص ٢١٠س٤ ما نصه: " ألا ترى أن الألف في (ما) لو كانت منقلبة لكانت عن واو أو ياء ولو كان كذلك لخرجتا على الأصل

لأنهما في مثل ذلك ساكنان<sup>(٣)</sup>... قال المحقق في الحاشية<sup>(٣)</sup>: " في ح: ساكنتان" الظاهر أن قوله: " ساكنان" تحريف، وأن الصواب "ساكنتان كما في (ح) لقوله: " لخرجتا " .

٤٠- جاء في ص ٢٣٠س٦ ما نصه " أما المكرر نحو وَسْوَسة وصيصية... الظاهر أن قوله: " صيصية " تحريف، وأن الصواب: صيصية " كما في سيبويه ٢/٣٤٧، ٣٨٦ (بولاق).

٤١- جاء في ص ٢٣١س الأخير ما نصه: " وأما إِذْرُون فإفْعُول لأنه مشتق من الذَرْن لأنه ذُرْدِي الزيت وذلك كالذَرْن. " وجاء في ص ٢٣٨س٣ ما نصه: " [مسألة: إِذْرُون: إفعال من الذرن، لأن معناه ذُرْدِي الزيت، ويقال أيضاً: فلان على إِذْرُونه أي على أصله<sup>(٣)</sup>. " قال المحقق في الحاشية<sup>(٣)</sup>: " ما بين المعقوفتين من ح وهو مكرر وليس فيه زيادة إلا الجملة الأخيرة. " الظاهر أن الكلام على (إِذْرُون) حقّه أن يكون في ص ٢٣١؛ لأن المصنف تحدّث في هذا الموضوع عن زيادة الهمزة وساق لذلك أمثلة منها (إِذْرُون) فهو- كما ذكر المحقق- مكرر في ص ٢٣٨، ويشهد له بذلك عدم وروده في النسخة (م)، وكان الأولى أن تضاف في آخر كلامه عنه في ص ٢٣١ الجملة الزائدة، وهي [ويقال أيضاً فلان على إِذْرُونه أي على أصله] مع الإشارة في الحاشية إلى التكرار.

٤٢- جاء في ص ٢٢٣س٢ ما نصه: " وأما أرَوْتان فيحتمل ثلاثة أوجه: اظهرها أنها أفعلان من الرّون وهو الشدّة. ويقال: يوم أرَوْتان أي شديد<sup>(٣)</sup>... " قال المحقق في الحاشية<sup>(٣)</sup>: " قال سيبويه ٢/٣١٧: "وأرَوْتان... وفي سفر السعادة ٤٣/١... يوم أرَوْتان... " قوله: " أرَوْتان " في المواضع الأربعة وهم، والصواب " أرَوْتان؛ " لأن المصنف ذكر أن وزانه إمّا (أفعلان) أو (أفوعال) أو (فوعلان)، وكلها تقتضي الضبط المشار إليه. ويُنظر سيبويه ٢/٣١٧، والممتع ٣٥٦، ٣٥٧، وسفر السعادة ٤٣/١، واللسان (رون).

٤٣- جاء في ص ٢٣٧س ٣-٤ في حديثه عن الهمزة في (إوزة) ما نصه:  
" ...ولا يجوز أن تكون الهمزة والواو أصليين إذ ليس في الأصول  
(وز) <sup>(٦)</sup>... " قال المحقق في الحاشية (٢): " في ح: إذ ليس في  
الأصول كلمة مركبة: همزة، واو، زاي. " الظاهر أن قوله: " وز "   
تحريف، وأن الصواب "أوز"، يشهد بذلك السياق وما في (ح).  
( يُنظر الممتع: ٧٤).

٤٤- جاء في ص ٢٤٠س ٨ ما نصه: " [ مسألة: إصليت: إفعيل من صلّت  
وأصله السرعة] <sup>(٦)</sup>. " قال المحقق في الحاشية (٦): " ما بين  
المعقوفتين ساقط من م ومكرر في ح وقد سبق ذكره. " ما ذكره  
المحقق صحيح فقد ذكرت العبارة في ص ٢٣١ وكان الأولى  
الاقتصار على ما ورد في الحاشية دون تكرار العبارة في النص.

٤٥- جاء في ص ٢٤٢س ٦ ما نصه: " ومنها شَمَالٌ، بزيادة الهمزة ثانية  
وثالثة... " الظاهر أن قوله: "شمال...وثالثة" لا يؤدي المعنى، وأن  
السياق يقتضي تكملة على الشكل الآتي: ".... ومنها [شأمل]  
وشمأل... " (تُنظر حاشية المحقق رقم ٢).

٤٦- جاء في ص ٢٤٦ س قبل الأخير ما نصه: " وزائدة للتكثير كالف  
(قَبَعَثْرِي) وليس للإلحاق إذ ليس في الأسماء <sup>(٧)</sup> سداسي فتعلق به. "  
قال المحقق في الحاشية (٧): " في م: (في الأصل). " الظاهر أن  
الصواب في الجمع بين النسختين، مع عدّ لفظة " الأصل " في (م)  
محرقة، فيكون: " إذ ليس في أصول الأسماء...".

٤٧- جاء في ص ٢٦٨ س ٤ في باب زيادة التاء ما نصه: " وأنتما تقومان  
للمؤنثين. " الظاهر أن قوله: " للمؤنثين " تصحيف، وأن الصواب  
"المؤنثتين".

٤٨ - جاء في الصفحة نفسها س٧ ما نصه: " وقد زيدت التاء أولاً في الأسماء نحو: (تَرْتَب)، وفيه ثلاث لغات: فتح التاء الأولى وضم الثانية، وضم التاء الأولى وفتح الثانية، وضمهما فيلزم مثل ذلك في الثالثة. والثاني أنه الشيء الراتب فاشتقاقه من رَتَبَ أي: ثَبَّتَ واطَّرَدَ." الظاهر أن قوله: "... وضمهما فيلزم مثل ذلك في الثالثة." لا معنى له، وأن قوله: " الثاني " لا أول له، وأن المعنى يظهر بالتكلمة الآتية التي أقدتها من حديثه عن " تنقل " في ص٢٦٩: "... وضمهما [ والتاء الأولى زائدة لأمرين: أحدهما: زيادتها واجبة على اللغة الأولى والثانية لعدم النظرير] فيلزم مثل ذلك في الثالثة. والثاني... " فبهذه التكلمة أو بمثلاً يلتئم السياق الذي أشار المحقق إلى اضطرابه في الحاشية (٥). ومراد المصنف أنه لما كانت زيادة التاء واجبة في اللغة الأولى والثانية لعدم النظرير وجب الحكم بزيادتها في اللغة الثالثة مع وجود النظرير، وهو ( بُرُتْن ) حملاً على زيادتها في اللغتين الأولى والثانية.

٤٩ - جاء في ص٢٦٩ س٢-٣ في حديثه عن زيادة التاء في (تتضب) ما نصه: "... والثاني أن (تتضبا) شجر طويل دقيق الأغصان، فهو من معنى نضوب الماء، فكأن الماء بعد عنه، ومثله الشوط<sup>(١)</sup> [كذا] وهو شجر يُشَبِّهه كأن الماء سُحِطَ عنه." قال المحقق في الحاشية (٢): " في م: الشحوط؟ والشوحط: شجر تصنع منه السهام." الظاهر أن قوله: " الشوط " تحريف، وأن الصواب: "الشوحط" كما في (ح)، ولا حاجة لعلامة الاستفهام التي وضعها المحقق في الحاشية. والظاهر أيضاً أن قوله: " سُحِطَ " وهم، وأن الصواب " سُحِطَ " .

٥٠ - جاء في الصفحة نفسها س٣ من تحت وما بعده في حديثه عن علة زيادة التاء في (تتقل) ما نصه: "... والثاني أنه قريب من معنى التقل وهو البصق، لأن وكَدَ الثعلب وهو التقل يجري في مشيه بسهولة كرقعة البصاق، أو كأنه يقذف جريته كقذفه البصاق<sup>(١)</sup>." قال المحقق في الحاشية (٦): كلمة (البصاق) ساقطة من (ح). الظاهر أن قوله:

البصاق" مقحم في هذا السياق، وأن الصواب إسقاطه كما في (ح)؛ لأن الهاء في قوله: " كقذفه " تعود إلى البصاق المذكور آنفاً.

٥١- جاء في ص ٢٧٠ س ٤ ما نصه: " وأما (التصدير) <sup>(١)</sup> فتأوه زائدة لأنه من المصدر. " قال المحقق في الحاشية (٢): " في ح: وأما التصدير للجبل. " الظاهر أن ما في (ح) هو الصواب، لأن التصدير مصدر (صَدَّر) ولا أحد يشك بزيادة التاء فيه؛ لذلك يكون مراد المصنف (التصدير) اسماً للجبل.

٥٢- جاء في ص ٢٧٤ س ٦ وما بعده في حديثه عن (راق يريق) ما نصه: " فإذا أردت تعديته زدت عليه همزة فقلت: أرقته مثل: بات وأبتته، فإذا قالوا: أهرقته فقد زادوا الهاء، ومنهم من يقول: هَرَقْتُ الماء، فالهاء هنا بدل من الهمزة. فإذا بنيت منه اسمَ الفاعل قلت على الأول فهو مُهْرِيْق، والمفعول مُهْرَاق. فالهمزة محذوفة والهاء تحركت كما كانت في الفعل، ونظيره من الصحيح: أكرم. إذا زدت عليه الهاء قلت: أهُكْرِم فهو مُهْكْرِم والأصل: مؤهكرم. فأما من أبدل الهمزة هاءً فقال: هراق، فاسم الفاعل: مُهْرِيْق وأصله مثل: مُؤْرِيْق. ثم نقلت حركة الياء إلى الراء وسكنت الهاء... " والظاهر أن قوله " مُهْرِيْق " الثانية وهم، وأن الصواب " مُهْرِيْق " بسكون الهاء. الظاهر أيضاً أن قوله: " مُؤْرِيْق " تحريف، وأن الصواب " مُهْرِيْق "؛ لأن مراد المصنف أن كسر الراء في البناءين ( مُهْرِيْق ومُهْرِيْق ) هو من نقل حركة الياء إليها.

٥٣- جاء في ص ٢٧٦ س ٤ من تحت ما نصه: " ومما يوقف عليه بالهاء والنون بعد الواو والياء نحو: مُسْلِمُونَةٌ ومُسْلِمِينَةٌ... " والظاهر أن الواو في قوله: " بالهاء والنون " مقحمة في هذا السياق، وأن الصواب "... بالهاء والنون...".

٥٤- جاء في ص ٢٨١ س ٣ ما نصه: " وأما الإلحاق إذا كان حَشَوًا فيكون بالياء والواو والنون... " ثم مَثَّلَ لإلحاق الواو ثانية وثالثة، وكذلك فعل فيما يحض الياء، ولم يمثِّل لإلحاق النون حَشَوًا.

٥٥- جاء في ص ٢٨٤ س ٥-٦ ما نصه: " فإن قيل لِمَ فرَّقوا بين العَوَض والبدل فيما ذكرت؟ البديل في اللغة من جنس المبدل منه... " الظاهر أن في العبارة سقطًا، وأن تكملتها: "... ذكرت؟ [قيل]: البديل...".

٥٦- جاء في ص ٢٨٥ س ٤ من تحت في حديثه عن بدل الحروف، وأنه على ضربين: مقيس وغير مقيس، وأن المقيس ضربان : لازم مطرد ولازم غير مطرد ما نصه: " وأما ما ليس بلازم ولا مطرد فهو الجائز... " الظاهر أن قوله: " ما ليس بلازم ولا مطرد فهو الجائز " لا يؤدي المعنى، وأن الصواب يكون بالتكلمتين الآتيتين: " وأما ما ليس بلازم [مطرد] ولا [لازم غير] مطرد فهو الجائز... ".

٥٧- جاء في ص ٢٨٩ س ٣ وما بعده في ذكره لتخريج فتح الراء من قول الراجز:

أيوماً لم يقدرَ أم يومٍ قَدِرَ

ما نصه: " وقال أبو الفتح: قَدَرَ الراء متحركة بحركة الهمزة المجاورة لها كما همزوا الواو الساكنة لانضمام ما قبلها نحو: (المؤقدان) و(مؤسى) ثم همزة الألف لسكونها وسكون الميم بعدها. قلت: ولو قيل: إنه ألقى حركة الهمزة على الراء وأبدلها ألفاً ثم عمل ما ذكر كان أوجه لأنه أقل عملاً. و(السوق)، ثم أبدل من الهمزة ألفاً كما قال في المرأة: مَرَاة، وفي الكمأة: كَمَاة. " الظاهر أن العبارة مضطربة، واضطرابها مما حصل فيها من تقديم وتأخير، وأن الصواب "وقال أبو الفتح: قَدَرَ الراء... نحو: (المؤقدان) و(مؤسى) و(السوق) ثم أبدل من الهمزة ألفاً كما قال في المرأة: مَرَاة وفي الكمأة: كَمَاة، ثم همز الألف لسكونها

وسكون الميم بعدها. قلت: ولو قيل: إنه ألقى... لأنه أقل عملاً. (ينظر سر الصناعة ١/٧٩). والظاهر أيضاً أن قوله: "همزة" تحريف، وأن الصواب "هَمْز".

٥٨- جاء في ص ٢٩٣س ٩ في سياق حديثه عن قلب الواو همزة إذا كانت عيناً في (فاعل) ما نصه: "...وكان قياس ذلك أن تقلب ألفاً إلا أن قلبها ألفاً فلم يجمع بين ساكنين". الظاهر أن قوله: "...إلا أن قلبها ألفاً فلم يجمع بين ساكنين" لا معنى له، وأن صواب العبارة بالتكلمة الآتية: "...ألفاً [ يعني الجمع بين ساكنين] فلم يجمع بين ساكنين". فبهذه التكلمة أو بنحوها يلتئم السياق.

٥٩- جاء في ص ٢٩٦س ٤ في كلامه عن إبدال الهمزة من الياء ما نصه: "وأما إبدالها من الياء فقد جاء شاذاً في أَيْدٍ، قالوا: قطع الله أدوه وأدْيِه..." الظاهر أن قوله: "أيد" تحريف؛ لأنه جمع بين البديل وهو الهمزة والمبدل منه وهو الياء، وأن الصواب "أد". والظاهر أن قوله: "أدْيِه" وهم، وأن الصواب "أدْيِه". وقولهم: "أدْيٍ" يكون بإعادة الياء المحذوفة التي هي لام (يد). (ينظر الممتع ص ٣٤٦).

٦٠- جاء في ص ٢٩٨س ٦-٧ ما نصه: "وأما إبدال الهمزة من الهاء فقد جاء ذلك في حروف ليست بالكثيرة، والوجه في إبدالها أن مخرجيهما متقاربان إلا أن الهاء خفية والهمزة أبين منها، فأبدل الخفي من البين" الظاهر أن قوله "فأبدل الخفي من البين" وهم، وأن الصواب: "فأبدل البين من الخفي".

٦١- جاء في ص ٣٠٢س ٨-٩ ما نصه: "وقيل: إن الياء والواو إذا تحركتا صارت كل واحدة منهما بمنزلة حرف مدّ. قالوا: والمفتوحة كواو وألف..." الظاهر أن قوله: "والمفتوحة" تحريف، وأن الصواب: "قالوا: الواو المفتوحة..."

٦٢- جاء في ص ٣٠٧س ٣ ما نصه: " وإنما كان كذلك لأن الهمزة إذا انفردت تقل النطق بها، فإذا انضم إليها أخرى تضاعف النطق، وإذا تصاقبا وسُكَّنت الثانية ازدادت الكلفة بالنطق بها ولا سيما إذا أراد النطق بواحدة بعد أخرى." الظاهر أن قوله: " تصاقبا " تحريف، وأن الصواب " تصاقبتا "؛ وذلك لقوله: " انفردت...بها... إليها أخرى تضاعف " والظاهر أيضاً أن قوله: " أراد " تحريف، وأن الصواب "أريد"؛ وذلك لقوله: " سُكَّنت ".

٦٣- جاء في الصفحة نفسها س الأخير ما نصه: " وإذا صغرتم آدم أو جمعته أبدلت الألف واواً فقلت: أويديم وأوادم، كما تقول: في ضارب: ضَوِيرِب وضَوَارِب...؛" الظاهر أن قوله: " ضارب: ضَوِيرِب" تحريف، وأن الصواب فيهما: "ضاربة: ضَوِيرِبَة"، لأن (فواعل) لا يكون جمعاً لـ (فاعل) وصفاً، وإنما هو جمع (فاعلة). (ينظر سر الصناعة ٥٧٩/٢) ( وشرح الشافية: ١٥٨/٢).

٦٤- جاء في ص ٣٠٩س ٢ ما نصه: " الألف في قولهم: أِدِنِي من فلان بمعنى: أنصفني، بدل من الهمزة... الظاهر أن قوله: " (أِدِنِي) تحريف ، وأن الصواب (أِدِنِي)

٦٥- جاء في الصفحة نفسها س ٨ في ذكره لأصل ألف (أِدِنِي) ما نصه: "والآخر هي بَدَلٌ من الياء في (يد) لأنهم يقولون: يَدِي وأدِّي، وهذه الهمزة بدل من الياء، والمعنى: كن أيداً عليه." الظاهر أن قوله: " يَدِي وأدِّي " وهم؛ وأن الصواب " يَدِي وأدِّي". ( ينظر التاج "يدي") والظاهر أيضاً أن قوله: " أيداً " تحريف؛ لأنه جمع بين البديل وهو الهمزة والمبدل منه وهو الياء، وأن الصواب " يداً ". ومراد المصنف أن معنى قولهم: " أدني " على هذا التأويل: كف يداً عليه. وأغلب الظن أن العبارة لا تؤدي المعنى، وأنها تحتاج إلى التكملة الآتية: " كن يداً [لي] عليه".

٦٦- جاء في الصفحة نفسها س ١٠ ما نصه: قال " المبرد: هي من الأيد والأد وهو القوة...". الظاهر أن قوله: " الأد " تحريف، وأن الصواب "الأد" بالمد ( يُنظر التاج: أيد).

٦٧- جاء في ص ٣١٨ س ٥ من تحت بعد ذكره لشروط قلب الواو ياءً في نحو (حوض وحياض) ما نصه: "... وعلى هذا صحت في (عوان) لأنه واحد ولم تتكسر الفاء، وكذلك صَوَّغَ." الظاهر أن قوله (صَوَّغَ) تحريف، وأن الصواب: "صَوَّاع"؛ لأن المصنف ذكر هنا ألفاظاً وقعت فيها الواو قبل ألف، فذكر (حياض) و(عوان) ثم بعد تعليقه لعدم القلب في (عوان) قال: " وكذلك " وهذا يدل على أن اللفظة التي سيذكرها بعد " كذلك" مساوية لـ (عوان) في الحكم، و(صَوَّاع) كذلك، فهي مفردة كـ(عوان)، وفاؤها مثل فاء (عوان) غير مكسورة. والمؤلف أراد بالأولى التي في قوله تعالى: [عوان بين ذلك] (البقرة: ٦٨)، وبالثانية التي في قوله تعالى: [صَوَّاع الملك] (يوسف: ٧٢).

٦٨- جاء في ص ٣١٩ س الأخير ما نصه: " وقد أبدلت الواو ياءً في (أفعل) مما لامه واو نحو: دَلَوٌ وأدَلٌ وجَزَوٌ وأَجَرٌ...". الظاهر أن قوله: "أفعل" وهم، وأن الصواب " أفعل "؛ لأن (دَلَوٌ وجَزَوٌ) إذ كسرا في العلة فالأصل أن نقول: " أدلَوٌ وأجرَوٌ"، ثم قلبت الواو ياءً لتطرفها إثر كسرة في لفظة عربية معربة، ثم أعلا إعلال المنقوص. (ينظر شذا العرف: ٧٣ جموع القلة).

٦٩- جاء في ص ٣٢٠ س ٣ ما نصه: " ومما جاء من المصادر من ذلك: عَتَيٌّ، والأصل: عَتَوٌ. فأبدلوا من الضمة كسرةً فانقلبت الواو ياءً لسكونها وانكسار ما قبلها، ثم وقعت الواو الثانية بعد ياء وكسرة فأبدلت ياءً وأدغمت الأولى فيها." الظاهر أن قوله: " عَتَيٌّ " بفتح التاء وهم، وأن الصواب " عَتَيٌّ " بكسر التاء.

٧٠- جاء في ص ٢٢٥ س ٢ في حديثه عن اصل البناء في (درية) ما نصه: " أحدهما من الراء وأصلها ذرّوة، فأبدلت الراء واواً ثم أبدلت من الضمة كسرة فانقلبت الواو الأولى ياءً والثانية كذلك ثم أدغم الأول في الثاني. الظاهر أن قوله: " ذرّوة " تحريف، وأن الصواب: ذرّوزة" (يُنظر التاج: ذرّ).

٧١- جاء في الصفحة نفسها س ١ من الحاشية نقلاً عن (البغداديات) ما نصه: " ...أن يكون (ذريّة) فَعْلُولَة من الذرّ، كأنه: ذرّوزة... " الظاهر أن قوله "ذرّوزة" وهم، وأن الصواب: " ذرّوزة " كما أسلفت في التعليق.

٧٢- جاء في ص ٣٤٦ س ٤-٥ في ذكره لإبدال الهاء من الألف ما نصه: "وقالوا الأصل في (مهما): ماما، فأبدلوا من الألف الأولى هاءً في أحد القولين، وقد ذكر في حروف الشرط، وقد جاء في الشرط<sup>(٣)</sup> بعد (مّة) نريد بعد: ما. " قوله: " وقد جاء في الشرط بعد (مّة) نريد بعد: ما " غير واضح، ولم أنته فيه إلى شيء. وقال المحقق في الحاشية (٣): "في ح: في الشعر."

٧٣- جاء في ص ٣٤٨ س ٤ من تحت في الفصل الذي عقده لإبدال الدال ما نصه: " وأما الذال فكقولك من ذرّاً اذرّاً والأصل: اذترّاً ، فقلبت التاء دالاً، والذال دالاً... " الظاهر أن قوله: " اذرّاً " بالذال تصحيف، وأن الصواب: " اذرّاً " بالذال.

٧٤- جاء في ص ٣٦٨ س ٣ من تحت في ذكره لأصل (أشياء) ما نصه: "وفيها قول رابع: أن الواحد شيء ثم جمع على أشياء شاذاً كما قالوا: سَمَحَ وَسَمَحَاءَ فَأَجْرُوا فَعَلَاءَ مجرى فعيل في الجمع كـ (عليم وعلماء). " الظاهر أن قوله " فَعَلَاءَ " وهم، وأن الصواب " فَعَلَاءُ ". (يُنظر شرح الشافية ١١٨/٢).

٧٥- جاء في ص ٣٩٩س قبل الأخير: " قد تُنقل الحركة إلى ما بعدها لضرب من التخفيف أو المجانسة، فمن ذلك قوله تعالى: [ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقَهُ ]، تُقرأ بكسر القاف وإسكان الهاء، وأصل كسر الهاء لأنها هاء الضمير إلا أنهم سكنوا القاف والهاء، وأما الهاء فوقفوا عليها فسكنت، وأما القاف فخففوها كما سكنوا التاء في كَتَفَ: وشبهوا المنفصل بالمتصل...". قوله: " تُقرأ بكسر...، والأصل " لا يؤدي المعنى في هذا السياق، والظاهر أن السياق يحتاج إلى تكملة على النحو الآتي: "... وإسكان الهاء، [ وإسكان القاف وكسر الهاء ]. والأصل... " (يُنظر الكشف ٢/١٤٠-١٤١).

٧٦- جاء في ص ٤٠٨س ١ في حديثه عن جمع (خطيئة) ما نصه: " أحدها أنك لَيِّنْتَ همزت (خطيئة) فبقي مثل عطية، فلما جمعت زدت ألف التكسير، وهمزت الياء الأولى، ووقعت الياء بعدها، فصار اللفظ: خطأي، مثل عذراء وعذاري... وقال الخليل: تجمع خطيئة على خَطَائِي أي بهمزتين مثل: سفائن... "الظاهر أن قوله: " خطأ أي " وهم، وأن الصواب " خَطَائِيء " بهمزتين في الطرف. والظاهر أيضاً أن قوله: " خطأ أي " وهم، وأن الصواب " خَطَائِي " بهمزتين في الطرف. (يُنظر شذا العرف ١١٧ فصل في قلب الهمزة ياءً أو واواً).

٧٧- جاء في ص ٤٠٩س ٨ في كلامه عن جمع شأوية وراوية ما نصه: "...فصار: شَوَائِي". الظاهر أن قوله: " شَوَائِي " وهم، وأن الصواب: " شَوَائِي " (يُنظر التعليق رقم ٢٠).

٧٨- جاء في ص ٤١٢س ٩ ما نصه: " إذا أُذغمت الواو و الياء فيما بعدهما ولم تكن محاورةً للطرف تحصنت من القلب... " الظاهر أن قوله " والياء " تحريف، وأن الصواب " أو الياء " . والظاهر أيضاً أن قوله: " بعدهما " تحريف، وأن الصواب " بعدها "؛ لأن المؤلف قال بعد ذلك: " ولم تكن مجاورةً... تحصنت... ".

٧٩- جاء في ص ٤١٤س ٢ ما نصه: " فإن كانت العين واللام ياءين نحو: حَيِّي وَعَيْي ففیه وجهان: التصحيح الأصل، والإدغام... " واضح أن قوله: " حَيِّي وَعَيْي " وهم، وأن الصواب " حَيِّي وَعَيْي " بفتح الياء الثانية فيهما. والأشبه أن قوله: " التصحيح الأصل " سقط منه، وأن تكملته: " التصحيح [وهو] الأصل".

٨٠- جاء في ص ٤١٥ س ٣ وما بعده في نفس السياق ما نصه: " ...قلت على الوجه الأول: حَيِّيا فجمعت بينهما لأنه موضع يجب فيه تحريك الحرفين. ومع الواو: حَيُّوا وَعَيُّوا، فتحذف الثانية لتقل الضمة عليها." الظاهر أن قوله " حَيُّوا وَعَيُّوا " وهم، وأن الصواب: حَيُّوا وَعَيُّوا " بياء واحدة؛ لأن المؤلف قال بعد ذلك: " فتحذف الثانية... " وكلامه هنا عن الوجه الأول أي وجه التصحيح لا عن الوجه الثاني أي وجه الإدغام.

٨١- جاء في الصفحة نفسها س ٧ في نفس السياق السابق مانصه: "...فتقول على اللغة المشهور: حَيِّي وَعَيْي فتتقل كسرة الياء الأولى إلى الحرف الأول وتُدغم، وإن أُشِرت هناك أُشِرت ههنا(٣)". قال المحقق في الحاشية(٣): " هكذا وردت العبارة في م وح. وكان صوابها: وإن أُشِمت هناك أُشِمت ههنا " الظاهر أن قول المحقق صواب محض، لا يحتاج إلى " كأن " وكان الأولى والأجدر أن يثبت ذلك في النص، ويشير في الحاشية إلى أن (أشرت) في الموضعين تحريف.

٨٢- جاء في الصفحة نفسها س ١١ ضمن السياقين السابقين ما نصه: "...قلت على لغة التصحيح: أَحْيِي وَأَعْيِي، وفي الجمع أَحْيُوا وَأَعْيُوا، فحذفت الياء الثانية لما تقدّم." الظاهر أن قوله: " أَحْيُوا وَأَعْيُوا " وهم، وأن الصواب " أَحْيُوا وَأَعْيُوا " لقول المؤلف بعد ذلك: " فحذفت الياء الثانية". (ينظر التعليق رقم ٨٠).

٨٣- جاء في ص ٤١٨ س ١ وما بعده ما نصه: "فأما الحيوان" فقال المازني: الواو أصل إذ لا موجب لانقلابها عن شيء، وزعم أن هذا الأصل لم يشتق منه فعل بل هو كقولهم: فاض الميت فيضاً وفوضاً، فالياء توحد في التصريف، والواو لم يجئ منها فعل" الظاهر أن قوله "توحد" تصحيف، وأن الصواب "توجد" بالجيم من غير تشديد. والظاهر أن قوله: "فعل" وهم، وأن الصواب "فعل".

٨٤- جاء في ص ٤٣١ س ٤ من تحت وما بعده ما نصه: "وكذلك إن قال: ابن من (علم) مثل: عئسل، لأنك لو فعلت ذلك لقلت: علم، وإن أظهرت النون خالفت باب الإدغام وكذلك إن بنيت منه مثل عمل لأن النون الساكنة تدغم في الميم..." الظاهر أن قوله: "إن بنيت منه مثل عمل" لا يؤدي المعنى، وأن الصواب "إن بنيت مثله من عمل".

٨٥- جاء في ص ٤٣٢ س ١ وما بعده ما نصه: "إذا قيل: ابن من قرأ مثل دخرج أو جعقر قلت: قرأ، فقلبت الهمزة الثانية ألفاً لتقل الجمع بين همزتين، وكانت الألف أولى لسكونها وانفتاح ما قبلها فإن بنيت مثل درهم... وإن بنيت مثل: برثن... وإن بنيت مثل (سفرجل)... قوله: "قرأ" ترسم "قرأ" (ينظر التعليق رقم ٢٠). والظاهر أن في قوله: "فإن بنيت مثل... وإن بنيت مثل... وإن بنيت مثل..." سقطاً، وأن تكلمته: "فإن بنيت [منه] مثل... وإن بنيت [منه] مثل... وإن بنيت [منه] مثل..." ويؤيد ذلك قول المؤلف في الصفحة نفسها س ٣، ٧، ١٢، ١٤: "...بنيت منه مثل...".

٨٦- جاء في الصفحة نفسها س ٧ من تحت وما بعده ما نصه: "فإن بنيت منه مثل: جحمرش قلت: قرأء، فأبدلت الثانية ياءً ثم قلبتها ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها. فإن بنيت منه مثل جحنقل قلت: قرأياً، فقلبت الثانية ياءً ثم ألفاً لما تقدم". الظاهر أن قوله: "قرأء" تحريف، وأن الصواب "قرأء"، لأن المؤلف قال بعد ذلك: "فأبدلت الثانية ياءً ثم

قلبته ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها." والظاهر أيضا أن قوله: " ثم ألفا لما تقدم" مقم في هذا السياق.

٨٧- جاء في ص ٤٣٣س ٢ وما بعده ما نصه: " وإن بنيت من غزا ورمي مثل كتف قلت: غز ورم، فقلت الواو ياء لانكسار ما قبلها فصار مثل: شج وعم... فإن بنيت منهما مثل سقرجل قلبت الأخيرة ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها، ولم تُغَيَّرِ الأولى ولا الثانية للتحصن بالإدغام فتقول: غزوا. فإن بنيت مثل حَجْمَرِش ففيه وجهان:... والثاني: غزواو فتقلب الوسطى ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها. ولم تُغَيَّرِ الأولى لسكون ما قبلها وما بعدها، وإلا تجمع بين إعلالين...." الظاهر أن قوله: " غزوا [ ورميا ] فإن بنيت مثل... " يحتاج إلى التكملة: " غزوا [ ورميا ] فإن بنيت [منه] مثل...". والظاهر أن قوله: " وإلا تجمع" تحريف، وأن الصواب " ولئلا تجمع ".

٨٨- جاء في ص ٤٣٤س ٩ وما بعده: "فإن بنيت من (حبي) مثل عصفور قلت: "حوي" على لفظ النسب، والأصل: حوي بثلاث ياءات، فأدغمت الأولى في الثانية لسكونها، واجتمعت الواو والياء الأخيرة، وشرط القلب فيها موجود فصار اللفظ بها: حوي بياءين مشددين، فقلبت الثانية واو فصار حوي مثل: أموي. فإن بنيت مثلها من أوى، فالأصل أن تقول: ويوي فلام الكلمة ياء فتجتمع الواو والياء، والأولى ساكنة فتصير إلى الياء المشددة. والياء الأولى خفيفة مضمومة فيصير: ويوي، فإن بنيت مثلها من أوى قلت: أوي، ثم تصير إلى لفظ النسب فتقول: أوي. " الفقرة السابقة فيها كلمات تحتاج إلى فضل ضبط، وفيها أمور عدة سأقف عندها. أما ما يحتاج إلى فضل ضبط فقوله: " حوي " : " حوي "، وقوله: " حوي " : " حوي " " أوي " : " أوي ". وأما الأمور الأخرى فهي:

أ- الظاهر أن قوله: " حَيِّبَا " وهم وأن الصواب: " حَيِّيٌّ "؛ إذ لا وجود لألف بالطرف هنا بدليل قوله: " حَيُّوِيَّ " في صورتها الأخيرة أي بعد قلب الياء الثانية واواً.

ب- الظاهر أن قوله: " وُؤُوِيَّ " وهم، وأن الصواب " وُؤُيُوِيَّ "؛ لأن ثاني (وَأَي) همزة لا ياء.

ج- الظاهر أن قوله: " وُؤُوِيَّ " وهم، وأن الصواب " وُؤُوِيَّ "؛ لأن (وُؤُيُوِيَّ) إذا أدغمت ياؤه الأخيرة بالواو التي قبلها بعد قلب الواو ياءً يصير: " وُؤُيِيَّ "، فيصير على لفظ النسب (أي قلب الياء الأولى واواً كما في عَلُوِيَّ): " وُؤُوِيَّ ". ينظر التعليق الآتي (د).

د- الظاهر أن قوله: " فيصير وُؤُوِيَّ " لا يؤدي المعنى، وأن تمام السياق يكون بالتكلمة الآتية: فتصير [ إلى لفظ النسب فنقول ]: وُؤُوِيَّ ".

هـ - الظاهر أن قوله: " فيصير " الوارد في التعليق (د) تصحيف، وأن الصواب " فتصير "؛ ليوافق ما قبله: " فتصير إلى الياء " وما بعده: " ثم تصير... ".

و- الظاهر أن قوله: " أَيْيَّ " وهم، وأن الصواب " أَيْيَّ ".

٨٩- جاء في ص ٤٣٥ س ١ ما نصه: " باب ما يعرف به المقصور من الممدود. قد ذكرنا في أول الكتاب أن المقصور لا يكون إلا في المعرب، فإن سُمي شيء من المبنيات مقصوراً أو ممدوداً فعلى التجوز لوجود مد الصوت فيه أو قصره. " الظاهر أن قوله: " أن المقصور لا يكون إلا في المعرب " لا يؤدي المعنى، وأن تمام السياق لا يكون إلا بالتكلمة الآتية: " أن المقصور [ والممدود ]... "؛ لأن المؤلف قال بعد ذلك: " فإن سمي شيء من المبنيات مقصوراً أو ممدوداً... ". والظاهر أن قوله " لا يكون " تحريف، وأن الصواب: " لا يكونان ".

٩٠- جاء في ص ٤٣٦س ١ ما نصه: " أمثلة ما يعرف به المقصور وهي أربعة: الأول: المصدر وشرطه أن يكون فعله على فعل يفعل فهو: أفعل أو فعل [ أو فعلاَن ]<sup>(١)</sup>... " قال المحقق في الحاشية (٢): "زيادة من ح." والأولى أن توضع التكملة في مكانها الصحيح على النحو الآتي: " فهو: أفعل [ أو فعلاَن ]<sup>(١)</sup> أو فعل...؛ لأن المصنف بدأ بالتمثيل لـ (أفعل)، ثم تلى بالتمثيل لـ (فعلاَن)، ثم مثل لـ (فعل) آخرأ.

٩١- جاء في ص ٤٣٧ س ٦ ما نصه: " والقسم الثاني من أقسام المقصور اسم المفعول وهو كل معتل اللام زائد على ثلاثة أحرف... " قوله: "وهو كل... لا يؤدي المعنى، والأشبه: " ... اسم المفعول من كل معتل اللام...".

٩٢- جاء في الصفحة نفسها بعد قوله السابق ما نصه: " فاسم المفعول منه مقصور نحو: أعطى فهو مُعْطَى، وحلّى هو مُحَلَّى... " الظاهر أن قوله " هو " تحريف، وأن الصواب: " فهو "؛ ليوافق ما قبله: " ... فهو مُعْطَى " وما بعده: " ... فهو معافى " و " ... فهو مُسْتَدْعَى " و " ... فهو مُشْتَرَى".

٩٣- جاء في ص ٤٣٩س ١ ما نصه: " فصل وأما الممدود المعروف من جهة القياس.. اعلم أن الممدود... " لم يوضح لنا المحقق في الحاشية مراده بالنقطتين اللتين وضعهما بعد قوله: " جهة القياس "، والسياق غير ملتئم، والتنامة يحتاج إلى تكملة، لم انته إلى شيء فيها.

٩٤- جاء في ص ٤٤٠س ٤-٥ ما نصه: " ومن المصادر الممدودة ما كان فعله على أكثر من أربعة أحرف وفي أوله همزة وصل، ومن معتل اللام... الأشبه أن السياق يحتاج إلى التكملة الآتية: "... وصل، و[هو] من معتل...".

٩٥- جاء في الصفحة نفسها س٠ او ما بعده: " ومن المصادر الممدودة ما كان صوتاً معتلاً على فُعال نحو: الدعاء... وعلى فِعال: النداء...";  
الظاهر أن العبارة تحتاج إلى التكملة الآتية: "وعلى فِعال [نحو]: النداء... لتوافق ما قبلها.

٩٦- جاء في ص ٤٤١س ٥ من تحت وما بعده ما نصه: " فأما خليفة فقد يجمع على خلفاء، وهو للمذكر وفيه وجهان: أحدهما: أنه لما اختص بالمذكر كان بمنزلة ما لا تاء فيه. والثاني: أنه يجمع على خليف ثم يقال: خلفاء. فعلى هذا هو من الباب." الظاهر أن قوله: ( يجمع ) تحريف، وأن الصواب " يجيء "، فقد ورد في (تاج العروس): ( خلف ) ما نصه: "...كالخليف بغير هاء أنكره غير واحد، وقد حكاه أبو حاتم، وأورده ابن عباس في (المحيط) وابن بري في (الأمالي) وأنشد أبو حاتم لأوس بن حجر:

إن من الحيّ موجوداً خليفته وما خليف أبي وهب بموجود

...وقالوا أيضاً (خلفاء) من أجل أنه يقع على المذكر، وفيه الهاء جمعوه على إسقاط الهاء، فصار مثل ظريف وظرفاء... هذا كلام الجوهري ومثله في (العياب)، وهو نص كلام ابن السكيت . وعلى قول أبي حاتم وابن عباد لا يحتاج إلى هذا التكلف."

٩٧- جاء في ص ٤٤٤ س الأخير: " فإن وقعت الهمزة المتحركة بعد الألف جاز تخفيفها، وتخفيفها هو<sup>(٥)</sup> أن تجعل بين بين. قال المحقق في الحاشية(٥): " في ح: هو. " [كذا].

٩٨- جاء في ص ٤٤٧س ٢-١ من تحت ما نصه: " فالأخفش يُبدلُ الهمزة فيهما ياءً بعد الكسرة واواً بعد الضمة... الأظهر " ...الكسرة، [و] واواً..."

٩٩- جاء في ص ٤٥٣س ٣ في باب الإمالة ما نصه: "...وقد يشبهه المنفصل بالمتصل كقولك للرجل: (من<sup>(١)</sup> ماله)". قال المحقق في الحاشية(١): " زدنا (من) للتوضيح " الأشبه أن (ماله) محرّف عن (مالي)، وقد يكون (مالي) كُتب بياء مردودة، فقرئت هاءً.

١٠٠- جاء في ص ٤٥٥س ٥-٦ في باب الإمالة ما نصه: "...لأن الصوت أخذ في التسفل والتحدّر فاستمر في المستعلي إلى أن بلغ الألف على التسفل". الظاهر أن قوله: " في " تحريف، وأن الصواب "من".

١٠١- جاء في ص ٤٧٥ س ٥ من تحت ما نصه: " فأما قولهم أمّحى الشيء، فجاز إدغامه لأن اللبس مأمون إذا كانت الميم هنا فاء الكلمة... الأشبه " مأمون إذ كانت...".

١٠٢- جاء في ٤٩٤س ٣ في آخر النسخة المصرية ما نصه: " حمداً يكافئ نعمه ويوافي... حمداً لا أبلغ مدحه" لم يبين لنا المحقق مراده بالنقط الثلاث التي وضعها بعد لفظة (يوافي). وتكملة الجملة: " يوافي[مزیده]" وهي من عبارات النساخ المشهورة جداً.

الأغلاط المطبعية في الجزء الأول من (اللباب)

الصفحة	السطر	الغلط	الصواب
١٥	الأخير	ابن الجيش	ابن الحبيشي
٢٥	الحاشية	سقطت الحاشية رقم (١)	(١) نكتت الهيمان ١٧٩
٣٩	٦	...عن الضبط جداً	...عن الضبط حدأ
٤٤	٤ من تحت	...وأما دلالاته	...وأما دلالاته
١٥٧	٥	...له واحتقاراً	...له أو احتقاراً
١٧١	٤ من تحت	الذي يعديه	...الذي يُعدّ به
٢١٢	٤ من تحت	...ويقول العرب...	...ويقول العرب
٢٢٤	٢	والمكسور	والمكسورة
٢٤٠	الحاشية (٢)	أو عمر	أو عمرو
٢٧٣	٣	...تخفيفاً (٥)	تخفيفاً (٢)
٣٢٩	٩	من حيث أن	من حيث إن
٣٧٧	٢	حذفت حروف	حذفت حرف
٣٩٩	٣	واحد	وحده
٤٢٥	٢	الرأي	الرائي
٤٣٥	١	و(مأمورُها)	و(مأمورها)
٤٦٢	١	أنه نصوب	أنه منصوب
٤٦٩	الحاشية (٢)	أهلكته	أهلكته
٤٩٧	٢	فقرب	فيقرب
٤٩٨	الحاشية (١)	البرامي	البرامكة
٥١١	٧	أموها	أمرها

الأغلاط المطبعية في الجزء الثاني من (اللباب)

الصفحة	السطر	الغلط	الصواب
٤٧	٧	من حيث أنها	من حيث إنها
٧٢	١٢	وَأَزْ مِنْ	وَأَرْمَنْ
٧٢	قبل الأخير	اَيْنَانَ	اَيْنَانَ
١٢١	٤ من تحت	بالأصائل	بالأصائل (٣)
١٤٦	الحاشية (١)	الين	العين
١٥٨	٢ من تحت	أَيَّ أَنْ	أَيَّ إِنْ
٢٠٢	٢	البقره ت	البقرت
٢٤٢	الأخير	ضَهْيَاءُ وَضَهْيَاءُ	ضَهْيَاءُ وَضَهْيَاءُ
٢٧١	١	تَذْرَأُ	تَذْرَأُ
٣١٠	١	زيدا	زيدا
٣١٩	٦	سَبَقَتْ	سَبَقَتْ
٣٢١	١	يُسْكُنُ	يُسْكُنُ
٣٢٣	٣	أشياء	أشياء
٣٤٧	١ من تحت	فيروى الأوجه	فيروى بالأوجه
٣٥١	٩	أصيل ل مثل	أصيل مثل
٣٦٨	٥ من تحت	شَيْبَاءُ	شَيْبَاءُ
٤٠٠	الأخير	يَلْدَاهُ	يَلْدَهُ
٤٠١	الأخير	وسكنت	وسكنت
٤١٢	٤ من تحت	صَيَّادُ	صَيَّادُ
٤١٦	٦	وقلبها	وقلبها
٤٣٢	١	جَعْفَرُ	جَعْفَرُ
٤٣٤	٦	أَوْءُوتُ	أَوْءُوتُ
٤٧١	٨	حرف الحد	حرف المد
٤٨١	٥	إلى كتاب	إلى كتابة

# تعليقات ومناقشات



## تقريظ للمفتي ابن عمار

### ظروفه ونصه

الأستاذ الدكتور أبو القاسم سعد الله

التقريظ الذي تقدمه هنا عثرنا عليه في قسم المخطوطات العربية بالمكتبة الوطنية بباريس تحت رقم ٦٨٨٠، وهو بقلم المفتي أحمد بن عمار الجزائري الذي كان قد كتبه لكتاب ألفه الوزير حمودة بن عبد العزيز التونسي<sup>(١)</sup> وتاريخ التقريظ هو ١١٩٦هـ (١٧٨١م). وقد رأينا أن نضع بين يدي القراء هذا التقريظ لما يمثله من أساليب البلاغة الموروثة عن المدرسة الأندلسية في بلاد المغرب، وهي المدرسة التي كان أحمد بن عمار من أواخر فحولها في الجزائر، وقبل إيراد نص التقريظ رأينا، أن نعرف أولاً بابن عمار وزميله ابن عبد العزيز، ثم نعرف ببني تونس (على بن حسين) وابنه الذي تولى السلطة من بعده (حموده باشا).

**أحمد بن عمار:** عاش معظم حياته في النصف الثاني من القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي). ولدينا عنه تواريخ محددة وأخرى ظنية. فنحن لا نعرف متى ولد، ولكننا نغلب أن يكون من مواليد مدينة الجزائر حوالي

---

(١) درسنا حياة أحمد بن عمار في كتاب (تاريخ الجزائر الثقافي)، ج٢، المؤسسة الوطنية للكتابة، الجزائر، ١٩٨٥، وكذلك كتاب (مختارات مجهولة من الشعر العربي)، ط٢، بيروت، ١٩٩٢. وفي بحثنا عن الرحلات الحجازية المنشورة في مصادر تاريخ الجزيرة العربية، ج٢، ط١، الرياض ١٩٧٩ ضمن سلسلة دراسات تاريخ الجزيرة العربية الصادر عن الندوة العالمية التي نظمها قسم التاريخ بكلية الآداب، جامعة الرياض ١٩٧٧.

وفي إجازته لمحمد خليل المرادي المنشورة في كتاب (تجارب في الأدب والرحلة)، الجزائر، ١٩٨٢. أما حمودة بن عبد العزيز فحياته مدروسة إلى حد كبير في المصادر الآتية: (الكتاب الباشي)، تحقيق محمد ماضور، تونس، ١٩٧٠، و (إتخاف أهل الزمان) لأحمد بن أبي الضياف، ج٧، تونس، ١٩٧١، وأحمد عبد السلام (المؤرخون التونسيون)، تونس، ١٩٩٢، انظر باقي المراجع في آخر هذا البحث.

١١١٩هـ (١٧٠٧م) ، وأنه في الغالب قد توفي في الحجاز بعد سنة ١٢٠٦  
(١٧٩١) وأصله من العائلات الأندلسية المهاجرة إلى الجزائر بعد خروج العرب  
والمسلمين من الأندلس، وقد تكون أسرته قد استقرت في مستغانم أو تلمسان  
قبل انتقالها إلى مدينة الجزائر بعد أن أصبحت عاصمة للقطر كله في العهد  
العثماني<sup>(١)</sup>.

أما التواريخ المعروفة من حياة ابن عمار فهي على التوالي: سنة  
١١٥٩ (١٧٤٦) حين كتب تقريراً شهد فيه على دراسة زميله عبد الرزاق بن  
حمادوش على الشيخ أحمد الورززي الذي وفد على الجزائر من المغرب<sup>(٢)</sup>. وسنة  
١١٦٣هـ حين ذكر ابن عمار أنه تبادل الشعر مع شيخه محمد بن محمد المعروف  
بابن علي<sup>(٣)</sup>. وسنة ١١٦٦ (١٧٥٢) حين توجه لأداء فريضة الحج، وقد رافقه ابن  
حمادوش والحسين الورتلاني صاحب الرحلة الشهيرة<sup>(٤)</sup> وهناك تاريخان آخران  
معروفان أيضاً، أولهما سنة ١١٨٠ (١٧٦٦) حين وجدناه متولياً لوظيفة الفتوى  
المالكية، وهي الوظيفة التي بقي فيها إلى سنة ١١٨٤ (١٧٧٠)<sup>(٥)</sup> وقد سجل السفير  
المغربي أحمد الغزال أنه حضر درساً لابن عمار في الجامع الكبير بالعاصمة  
سنة ١١٨٢ (١٧٦٨). وثانيهما سنة ١١٩٥ (١٧٨٠)، حين سجلت المصادر أن  
أحمد بن عمار قد توجه إلى تونس "بقصد الاستيطان بها"<sup>(٦)</sup> يغادرها ربما إلى  
المشرق. والدليل على ذلك أننا لا نجد له تاريخاً لنشاطه في الجزائر بينما نرجح  
من بعض المصادر أنه كان سنة ١٢٠٥ في الحجاز حيث وجدنا توقيعه في هذا

(١) هذا الرأي عبر عنه المرحوم المهدي البوعبدلي رسالة منه بتاريخ ١٩٨٢.

(٢) عن زيارة الورززي إلى الجزائر وظروفها والتفاته بعلمائها، انظر تحقيقنا لرحلة ابن حمادوش (لسان  
المقال)، الجزائر، ١٩٨٣.

(٣) انظر مختارات مجهولة من الشعر العربي، ص ٣٩.

(٤) هي نوبة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، تخمّن محمد بن أبي شبيب، الجزائر، ١٩٠٨.

(٥) البير ديفوكس A.Devoulx المؤسسات الدينية في مدينة الجزائر، الجزائر ١٨٧٨، ص ١١٧.

(٦) إبراهيم السبالة (مباسم الأزهار) مخطوط رقم ٢٦٠، المكتبة الوطنية، تونس.

التاريخ على الإجازة التي أجاز بها الشيخ محمد خليل المرادي صاحب (سلك الدرر) (١).

إن ثقافة أحمد بن عمار ثقافة أدبية ودينية عميقة كما تظهر في مؤلفاته. ويبدو أنه تلقى تعليمه محلياً، ولم يتلقه خارج الجزائر إلا في كهولته وبعد توليه الوظائف. ومن شيوخه الذين نعرفهم بالاسم: محمد بن محمد المعروف بابن علي (٢). وقد كان ابن علي من أصول عثمانية-أوروبية ومن الشعراء المجيدين أيضاً، وقد تولى الفتوى على مذهب الإمام أبي حنيفة (٣). ونعرف من جهة أخرى أن ابن عمار كان يحضر مجالس العلماء الوافدين على الجزائر مثل دروس أحمد الورززي المغربي. أما خارج الجزائر فلا تحدثنا الوثائق إلا على تتلمذه على الشيخ خليل المغربي في مسجد الحسين بالقاهرة (٤). ولا شك أن في كتاب ابن عمار (منتخب الأسانيد) أسماء الشيوخ الذين درس عليهم أو أجازوه (٥). ألف ابن عمار في عدة فنون، ومعظم تأليفه يعتبر في حكم الضائع، فكتابه (سواء النصر في فضلاء العصر)، وديوان شعره، ورحلته الحجازية كلها مفقودة باستثناء (نبذة) من رحلته المسماة (نحلة اللبيب في الرحلة إلى الحبيب) (٦). ومن كتبه المفقودة أيضاً (تاريخ علي باي) (٧) الذي سنتحدث عنه. وقد وجدنا بعض شعر ابن عمار ضمن المختارات التي اختارها بنفسه من أشعار ابن علي. أما كتبه الباقية فليست بذات شأن من الناحية الأدبية والتاريخية، ومنها

- 
- (١) انظر، إجازة ابن عمار للمرادي في كتاب (تجارب في الأدب والرحلة)، مرجع سابق.
  - (٢) ترجمنا له في الجزء الثاني من تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، فصل الشعر، وأيضاً في (مختارات مجهولة)، مرجع سابق.
  - (٣) كانت عائلته تلقب أيضاً بالعلاج، وهو لقب كان يطلق على من دخل الإسلام من الأوربيين.
  - (٤) جاء ذلك في رحلة الورتلاني، مرجع سابق.
  - (٥) عن الكتاب الأخير، انظر عبد الحي الكتاني، (فهرس الفهارس). ج ١/١٢١-١٢٢. وهنا وهناك.
  - (٦) نشر النبذة محمد بن أبي شنب، الجزائر ١٩٠٣.
  - (٧) يقول ابن عمار عن هذا الكتاب وهو يتحدث عن علي باي "ونظمت في سلك هذا الملك السعيد... عقد لبه وتاج مفرق مما فتح الفتح العليم...". انظر (مباسم الأزهار)، مرجع سابق.

رسالته في مسألة وقف، وهي مطبوعة<sup>(١)</sup>، ثم ثبتته المعروف بمنتخب الأسانيد، وهناك نصوص أخرى أشار إلى بعضها عبد الحي الكتاني في فهرسه. ونعتقد أن أحمد بن عمار كان مقصوداً من زملائه ومعاصريه للإجازة والتفريط، ولدينا من ذلك إجازته للشيخ المرادي كما أنه من المعروف أنه أجاز تلميذه إبراهيم السبلي<sup>(٢)</sup>.

**حمودة بن عبد العزيز:** إذا كانت وظائف ابن عمار قد اقتصرت على الفتوى والخطابة فإن وظائف حمودة بن عبد العزيز قد شملت الوظائف السياسية والإدارية، إضافة إلى الكتابة والتعليم. وقد وصفته المصادر التي ترجمت له بأنه كان عارفاً بالسياسية والرياسة، وعلوم المنقول والمعقول، وأنه كان حسن المحاضرة فصيح اللسان عذب المجالس قوي القلم<sup>(٣)</sup>.

ولد حمودة بن عبد العزيز في تونس وتربى في عائلة تونسية مترفها، وقد درس على مشايخ في جامع الزيتونة، ومنهم والده ومحمد بيرم الأول ومحمد الماكودي، وتمكن في الفقه والأدب والتاريخ واللغة، وتعاطى الشعر، وتولى الوظائف الدينية والرسمية كما أشرنا.

وقد قيل أنه تولى التدريس بجامع الزيتونة وتخرج على يديه تلاميذ أصبحوا من علماء الوقت، كما قرأ عليه ولي عهد تونس حمودة بن علي باي (حمودة باشا). وكانت الخطوة الأولى له في سلم العمل الرسمي هي تكليف الباي له ابنه، فعلمه الحساب والتاريخ والنحو والصرف ثم قربه الباي إليه فزوجه ابنته أيضاً، وأسند إليه رئاسة الكتاب، ومنحه لقب وزير قلم الإنشاء. لكن هذا التقريب جعل حمودة بن عبد العزيز مستهدفاً للحساد والطامعين في الوصول

(١) طبعت ضمن رسالة في الرد على الوهابية لإسماعيل التميمي، تونس.

(٢) يبدو أنه أجازته بتونس أثناء زيارة ابن عمار لها. انظر (مبسم الأزهار) مرجع سابق، والسبلي من عائلة صفاقسية معروفة.

(٣) ابن أبي الضياف الإتحاف، ج٧، ص٢٣، عن حياة حمودة بن عبد العزيز، انظر مراجع الهامش الأول..

إلى السلطة. وقد ازداد دالة على تلميذه حمودة باشا منذ توليه السلطة بعد والده. فقد أقره الباشا في وظيفته وعهد إليه بتدريب الوزير يوسف صاحب الطابع على شؤون الدولة. وظل ابن عبد العزيز على هذه الحظوة والإدلال عند الباشا حوالي خمس سنوات، ثم حدثت أمور أدت إلى محاولة اغتياله ثم إلى نبذه ثم وفاته سنة ١٧٨٧.

ألف حمودة بن عبد العزيز عدة كتب، أبرزها (الكتاب الباشي) الذي أُرخ فيه لعهد علي باي<sup>(١)</sup> وديوان شعر<sup>(٢)</sup> ورسالة في القبلة، ثم حاشية على وسطى السنوسي في العقائد وأخرى على كتاب في علم الكلام، وهي التي خصها ابن عمار بالتقريظ الآتي. ولكن هذه التأليف لا تدل على مكانة علمية باهرة. ويبدو أن سمعته كانت قائمة بالأساس على منزلته السياسية وطمع الطامعين في الاستفادة منه. ولكنه انتهى نهايةً مأساوية. فقد قيل إنه سقط في عين البايع وأعين الناس ومات مكروهاً من الجميع.

علي باي وابنه حمودة: حكم علي باي بن حسين تونس بين ١٧٥٩-١٧٨٢. ونحن نذكر ذلك هنا لأن كلاً من أحمد بن عمار وحموده بن عبد العزيز كتب تاريخ حياته ومدحه وعاش في بلاطه. عاش علي باي فترة اضطراب في تونس. ثم التجأ مع أخيه محمد إلى الجزائر. ولا ندري إن كان ابن عمار قد تعرف عليه أثناء لجوئه إلى الجزائر. ومهما كان الأمر فقد رجع الأخوان إلى تونس وحكمها محمد فترة قصيرة (١٧٥٦-١٧٥٩) ثم تولى علي حوالي ربع قرن. وقد عرف عهده بالاستقرار النسبي وتشجيع العمران والتعليم والأدب.

(١) تحقيق محمد ماضور، القسم الأول، تونس، ١٩٧٠، إلى الآن لا نعرف العلاقة بين التاريخ الباشي (أي تاريخ علي باي الباشا) وبين كتاب ابن عمار في تاريخ البايع نفسه، وهو كتاب مفقود فأبي الكتابيين أسبق، وما الفرق بينهما في المحتوى، وهل هناك تداخل أو حتى شك في النسبة.

(٢) كان ابن عبد العزيز كثير الأشعار، وقد ظهر ذلك في (الكتاب الباشي) وكان في بلاط علي باي شعراء آخرون معروفون منهم محمد الوردغي وعلي الغراب، وكان هؤلاء متنافسين أيضاً، ولا ندري ما علاقتهم بالشيخ الزائر أحمد بن عمار. انظر محمد الهادي الغزي، الشعر التونسي في العهد الحسيني.

استوزر علي باي بعض الوجوه التي تبدو غير منسجمة مع بعضها، كما يبدو أن أصحابها طموحون غاية الطموح. ولعل الباي نفسه لم يستطع السيطرة على حاشيته. فبالإضافة إلى حمودة بن عبد العزيز الذي أعطاه قلم الإنشاء ورئاسة الكتاب استوزر الباي أيضاً مصطفى خوجة الذي كان غريباً عن البلاد وتقاليدها. فقد قيل إن هذا الوزير جاء إلى تونس مملوكاً من بلاد القرج (القوقاز) وحين تعرف عليه علي باي أعجبه ذكاؤه وقدرته على العمل. فأولاه خطة خزندار، وزوجه ابنته وحين توفيت زوجته أختها. وكان مصطفى هذا في مرتبة الوزير الأول، وبذلك أصبح غريباً لحمودة بن عبد العزيز، وكلا الرجلين كان شيخاً لابن الباي، وهو حمودة الذي سيتولى بعد والده. ويضاف إلى هذه الشخصيات ظهور الوزير يوسف صاحب الطابع الذي سيلعب دوراً بارزاً في عهد حمودة باشا.

تولى حمودة باشا الحكم بعد والده، و طال عهده في الحكم(١٧٨٢-١٨١٤م)<sup>(١)</sup> ويعتبر عهده في تونس من أكثر العهود استقراراً وإصلاحاً. وتمهنا من عهده السنوات الخمس الأولى فقط. فلقد كان من خلالها تحت تأثير وزراء والده المذكورين، ومنهم حمودة بن عبد العزيز ومصطفى خوجة المتنافسان. ويقال إن خوجة هو الذي كان متهماً بمحاولة اغتيال ابن عبد العزيز. ومهما كان الأمر فإن الباشا قد أمر بتسليم الجاني إلى المجني عليه ليرى رأيه فيه، فحكم عليه حكماً فظيماً وهو تكسير يديه ورجليه وتركه يموت في ساحة القصبه موتاً بطيئاً. وربما هذا هو الذي جعل الناس، والباشا منهم، ينقمون على حمودة بن عبد العزيز فعلته هذه وينبذونه حتى مات هو أيضاً في عزلة وإهانة.

في هذا الجو المشحون بالمؤامرات جاء أحمد بن عمار إلى تونس "بقصد الاستيطان بها" كما يقول تلميذه إبراهيم السائلة. فهل خاب أملاه، وعاد من حيث

---

(١) خصه رشاد الإمام بأطروحته الدكتوراة وعنوانها ( سياسة حمودة باشا في تونس (١٧٨٢-١٨١٤)، تونس ١٩٨٠. وقد تحدث عن بلاط تونس أثناء حكم علي باي وابنه حمودة.

جاء بعد فترة قصيرة، أي قبل وفاة علي باي؟ أو هل بقي حتى تولى حمودة باشا ومرت السنوات الخمس الأولى بسلام ثم غادر تونس بعد النهاية المأساوية لصاحبه؟ إن الوثائق المتوفرة لا تسعفنا بالجواب الآن. فالتاريخ الوحيد الذي نعرفه بعد ذلك هو سنة ١٢٠٥هـ المسجل على إجازة ابن عمار للمراي. وقد قلنا إن الإجازة ربما كتبت بالحجاز لأنها كانت ضمن قطاع طويل من الورق يضم مجموعة من الإجازات التي حصل عليها المرادي من ابن عمار وغيره.

ومهما كان الأمر فإن دراستنا ستساعدنا على فهم نفسية ابن عمار وعلاقته بابن عبد العزيز وبايات تونس والأسلوب الأدبي الذي تميز به.

**نص التقريظ:** يعبر التقريظ عن مدح ابن عمار لتأليف (رسالة) من تأليف حمودة بن عبد العزيز، وهو تأليف لا نعرف له عنواناً، ولكنه لا يخرج عن علم الكلام. ونفهم من النص أن المؤلف هو الذي طلب من ابن عمار تقريظ تأليفه. أما تاريخ التقريظ فهو شهر صفر سنة ١١٩٦هـ (١٧٨١م) وهو تاريخ يشير إلى أنه قد مضى على إقامة ابن عمار في تونس بضعة أشهر فقط، كما يشير إلى أن ابن عبد العزيز كان لا يزال في قمة نفوذه وسمعته في البلاط وبين الناس، وقد أفادنا ابن عمار أيضاً أن علي باي (وهو يسميه الملك) كان مريضاً، ودعا له بالشفاء.

ويمكننا تقسيم النص إلى الفقرات الآتية:

**الفقرة الأولى:** تمثلها الديباجة التقليدية التي استهل بها ابن عمار تقريظه وأظهر فيها براعته وتفننه، وفيها إشارات إلى موضوع الرسالة، والمتأمل في عبارات الديباجة يدرك حتى قبل أن يصل إلى رسالة ابن عبد العزيز - أن موضوعها هو وحدانية الله والحديث عن صفاته التي وصف نفسه "ونجزم بأنك المنفرد بإيجاد الكائنات بالإيجاب ولا وجوب ولا واسطة، والمستبد بخلق العباد وأعمالهم المرضية والساخطة، وبهذا الدين مجاناً للفلاسفة والقدرية الضلال الدناة دنت".

**الفقرة الثانية:** تبدأ من قوله: "أما بعد" وقد أخبر فيها أن حمودة بن عبد العزيز هو الذي أطلعه على الرسالة (التأليف) التي كتبها "لهذا التاريخ" وهو سنة ١١٩٦ هـ ، كما أشرنا. ثم انطلق ابن عمار يمدح الرسالة نفسها بأوصاف الدقة والتحقيق، مشيراً إلى أنها تضمنت أسئلة كلامية وردت على "الحضرة". وقد مَجَّد ابن عمار صاحب الرسالة ووصفه بأوصاف السلطة وبكونه "زين الوزراء والكتاب" ومطمح الطامحين.

**الفقرة الثالثة:** تتضمن أيضاً مدح ابن عمار للرسالة وصاحبها. ويبدأ من قوله: "قرأيتها قد حازت قصب السبق" وبناء على ذلك فإن الرسالة تجعل صاحبها من شيوخ أهل السنة لاعتمادها على علوم شتى سيما أصول الدين وأصول الفقه ودفاعها عن الدين من وجهة نظر أهل السنة. وقد دعا ابن عمار لصاحب الرسالة بالبقاء من أجل إيالة تونس حتى تشق طريقها به بين الدول. وأخبر أن أمثال ابن عبد العزيز لا وجود بهم الدهر إلا نادراً.

**الفقرة الرابعة:** احتوت على القطعة الشعرية ومقدمتها. وكان من عادة ابن عمار أن يمزج تقريره النثري بأبيات من الشعر. وتتألف القطعة من اثني عشر بيتاً من بحر البسيط، وقد التزم ابن عمار بأربعة أحرف في قافيتها، وهي اللام والياء والهاء والألف وتبدأ بقوله:

شمسٌ تجلت فما أسنى تجليها      لاحت على غرة الدنيا تحليها

وقد أثنى فيها أيضاً على الرسالة وصاحبها بعبارات شعرية رقيقة، وقال عن الرسالة بأنها ستنجي من واطب على قراءتها.

**الفقرة الخامسة:** تبدأ من قول ابن عمار: "إيه أيها الساري ولا رفيق...". وهذا الجزء من التقرير ربما يكون أجود ما خطه قلم ابن عمار في هذا الشأن، فقد جاء فيه بمعاني سامية وألفاظ جميلة وصور رائعة وإبداعات من المحسنات

البلاغية، ولكن بأسلوب تميز به في أدبياته، وقد نوه بصاحب الرسالة على أنه من المدافعين عن السنة الشريفة والرادين على الجهلة. واغتم الفرصة ليدعو للباي بالشفاء، ونوه كذلك بولي عهده وبالدولة الحسينية.

ونلاحظ هنا أن عبارة "الدولة" وردت أكثر من مرة في النص وأن عبارة "الأيالة" وردت مرتين فقط. وقد ختم ابن عمار التقرّيز بالدعاء "لشموس هذه الدولة المباركة" وهو يشير بذلك إلى الباي وابنه ووزرائه، ومنهم ابن عبد العزيز نفسه. [وسيكون عملنا هو إيراد النص والتعليق عليه بما نراه مفيداً، كالإشارات التاريخية والأعلام، ونحو ذلك، ونرجو أن نكون بهذا قد وفقنا في تقديم خدمة ولو متواضعة للأدب العربي في بلاد المغرب في عصر كان المعتقد فيه أنه عصر جمود وركود ثقافي، سيما في الجزائر وتونس العثمانيّتين.

## نص التفريظ

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وسلم

نحمدك اللهم يا واجب الوجود، ولا واجب لذاته إلا أنت، وتشكرك ياخالق العالم بالاختيار ومقتضى الحكمة والرحمة والوجود، إذ كنت في أزلك ولا عقول ولا نفوس ولا (اصطقصات)<sup>(١)</sup>، وأنت الآن على ما عليه كنت. وتشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك شهادة حق واطأ الجنان فيها اللسان ما شككت فيها ولا منّت، ونجزم بأنك المنفرد بإيجاد الكائنات بلا إيجاب ولا وجود ولا واسطة، والمستبد بخلق العباد وأعمالهم المرضية والساخطة. وبهذا الدين مجاناً للفلاسفة والقدرية الضلال الدناة دنت<sup>(٢)</sup>.

ونشهد أن سيدنا ونبينا ومولانا محمداً عبدك ورسولك الذي فتقت رتق الكائنات من نوره، ورتبت ظهورها على ظهوره وأدرت المملكة على قطبه ولها به زنت، اللهم صلي وسلم عليه وعلى وآله وأصحابه، مستجلي شمس المنيرة ومنتجعي سحابه، الذين نزهتهم عن صفة القصور والتقصير في نصرته وصننته، وأنزلت عليه في حقهم فيما رحمة من الله لنت، وارض اللهم يا كريم عن التابعين وتابع التابعين لهم بإحسان. وعن العلماء الراسخين الذين شرفتهم بمعرفتك التي كرمت بها نوع الإنسان، وما شوهتهم برذيلة الجهل ولا شنت، واغفر اللهم لي ولوالدي وللمؤمنين والمؤمنات المسلمين والمسلمات ما أسروا وما أعلنوا وما أسررت وما أعلنت.

أما بعد، فقد أطلعني الفاضل النحرير صاحب القلم الأعلى والقدح المعلى في التعبير والتحرير زين الوزراء والكتاب، وروض الرائد الأنف ونجعة المنتاب، والنبية النبيل النظار، مرقى أغراض المستفيدين والمسترشدين في العلوم

(١) ما بين القوسين كلمة لم نستطع قراءتها، وهي تتضمن الحروف "اصطقصات" لم نهتد إلى معناها إن كانت صحيحة.

(٢) قلنا إن موضوع التفريظ هو رسالة في علم الكلام، ونلاحظ ذلك في عبارات ابن عمار في هذه الديباجة.

والمعارف ومطمح الأنظار، والشغوف والتبريز، السيد حمودة بن محمد بن عبد العزيز، صانه الله وأبقاه، وإلى أوج المعالي والكمالات رقاءه، على الرسالة<sup>(١)</sup> المحببة، المنقحة المحررة، التي لهذا التاريخ أملاها، وأولاها من باهر التحقيق والتدقيق ما أولاها وضمنها أجوبة عن أسئلة كلامية<sup>(٢)</sup> وردت - كما ذكر أعزه الله - على الحضرة<sup>(٣)</sup> ذات البهجة والنظرة<sup>(٤)</sup>. فنظرتها بعين الدقة والأوصاف، مجانباً للتعصب والتعسف شيمة سليمي الصدر كاملي الأوصاف، فرأيتها قد حازت قصب السبق في مضمار الإجابة وميدان الإصابة، وانتظمت هي ومؤلفها مع شيوخ أهل السنة<sup>(٥)</sup> ومؤلفاتهم المحررة في تلك العصابة، وشهد له - أدامه الله وأدام النفع به - برسوخ القدم في المعارف وسعة الاطلاع، وكمال التملي من العلوم خصوصاً الأصليين وما يتعلق بها وقوة الاضطلاع، فالله جل جلاله يبقيه زينة لهذه الإيالة السعيدة وهذه الدولة<sup>(٦)</sup> تصول به ويصول بها على الدول وكتابها أعظم صولة، فإن مثله - أعزه الله - لخليق أن يباهي به وأين مثله حتى يباهي به ويفتخر، ولعمري لقد خباه الدهر إلى هذا العصر وادخر، وما أحقه بقول أبي العلاء المعري عند من وفقه الله إلى الإنصاف وأرشده، وكأنما على لسانه أنشده:

وإني وإن كنت الأخير زمانه      لآت بما لم تستطعه الأوائل

وعندما خرّ طرفي لملاحظتها راعياً، وكرّ من ملاحظتها راجعاً، ضربت يدي لمبايعتها بالترئيس فسي يدها، وصدعت بما يميل من عطفها وبطيل من غيدها،

(١) كذا دون عنوان، ولا تعرف من وصفها غير ابن عمار، ولا ابن عبد العزيز حاشية على عقائد السنوسي أيضاً.

(٢) بالإضافة إلى موضوع العقائد العام، أجاب ابن عبد العزيز على ثمان رسائل وردت من علماء قسنطينة، الجزائر، انظر أحمد عبد السلام (المؤرخون التونسيون)، مرجع سابق، ص ٢٩١.

(٣) "الحضرة" قد يكون قصد بها المجلس العلمي لحمودة بن عبد العزيز أو البلاط عموماً، ثم أجاب عنها هو.

(٤) كذا، ولعلها النظرة.

(٥) نفهم من هذا أنها تدور حول العقائد الأشعرية أيضاً.

(٦) أي الدولة التونسية الحسينية، دول علي باي.

ورفعت عقيرتي مقرظاً لمحاسنها ومادحاً، وعلى أغصان روض أجادتها الغناء  
ومجادتها الغراء صادقاً، بقولي:

شمسٌ تجلت فما أسنى تجليها  
أبدت مطالعها أسنى طوالعها<sup>(١)</sup>  
قوى<sup>(٢)</sup> بها عضد التوحيد منشئها  
دلست معالمها على إبايتها<sup>(٣)</sup>  
مواقف يكبر السنظام مدخلها  
بته أبحار أفكار شفعت بها  
قوت القلوب وإحياء النفوس لمن  
صحائف نقح التجريد حاصلها  
اسطع ببرهانها المنخول واسم إلى  
فالله يحرس منشئها ويُسكنه  
يا ليت شعري بماذا من محاسنه  
لا زال ينظم في جيد الإيالة<sup>(٤)</sup> من

لاحت على غرة الدنيا تحليها  
من أين للشمس تجلي في مجالها  
فالسعد يكتبها والفخر يملئها  
ومن إشارتها لاحت معالمها  
وهي النجاة لمن أضحي يواليها  
تملي علينا فما أحلى أماليها  
(بيغي)<sup>(٥)</sup> مقاصدها والحق يعليها  
يلبي الزمان ولا يستطيع يبلها  
شمس المعارف في اسمي تجليها  
من جنة الخلد في أعلى أعاليها  
أنتي (وإن عمرت)<sup>(٦)</sup> أوقات ممليها  
در المحاسن ما يحكي لآليها

إيه، أيها الساري ولا رفيق إلا التوفيق، ويا أيها الشاري خذ أحرار النفوس،  
فكسل لذاك الطبع الرقيق رقيق. هكذا هكذا، وفي عين الشاني القذا. اطلع شمس  
معارفك وعوارفك في أفلاك البراعة والاتقان. وزين سماء رياستك من فضائك  
وفواضلك بأبهي من النجوم الزاهرة والزيبرقان، وعيش بأنوارها أعين عُمش  
الجهالات والعشي، ووش بأنوائها رياض المحاسن والمحامد أبدع وشي، جادل  
عن الملة الحنيفية بلسانها، وجالد بسيف السنة ودافع بإحسانها، وخذ من جاني  
الجهل الصائل بالثأر، واصدع بتحقيقاتك وتدقيقاتك فذلك شعار وهذا دثار،  
واقخر وجر رداء العز والسؤود فأنت زينة المصر بل العصر، واهصر أغصان

(١) في الأصل (طولعها).

(٢) في الأصل (قوى).

(٣) كذا مرسومة تقريباً في الأصل، وما زال اللفظ والمعنى والوزن غير دقيق في نظرنا.

(٤) ما بين القوسين كلمة اجتهدنا في تخريبها على ذلك النحو (بيغي) لأنها غير واضحة في الأصل.

(٥) ما بين القوسين تعبير قرأناه على النحو المذكور ولكنه غير واضح في الأصل.

(٦) الإيالة هي الولاية أو الإقليم الإداري في العهد العثماني، وكانت الكلمة شائعة بالنسبة للجزائر وتونس.

الرياسة بالدولة الحسينية<sup>(١)</sup> واجن ثمارها فانت أهل لذلك الهصر، وشفى الله الملك السعيد<sup>(٢)</sup> وحيأ ابنه الأمير السيد حمودة الحميد<sup>(٣)</sup> فقد رميا منك الكتابة ببديعها، وسقيا روض الوزارة منك بمطر نيسانها وغيث ربيعها، فأخصبت بك مروجها بعد الاجداب، وحييت رسومها الماحلة بغرر تلك الآداب، والله جل جلاله يبقي شمس هذه الدولة المباركة الميمونة معرزة ببدرك، ويطلعها منك على تلك المناقب الثواقب حتى تقدرك حق قدرك، ويحفظ كمالك على المستفيدين والمسترشدين حتى تتملى صدورهم وتتشف أسماعهم بينات فكرك ونفثات صدرك إن شاء الله تعالى.

---

(١) نسبة إل الحسين بن علي مؤسس العائلة وقد حكم بين ١١١٧-١١٥٣ (١٧٠٧-١٧٤٠). وقد استمرت العائلة

في حكم تونس إلى سنة ١٩٥٧ حين اختارت تونس النظام الجمهوري بعد الاستقلال.

(٢) هو علي باي (الباشا) الذي حكم بين ١٧٥٩-١٧٨٢.

(٣) كان حمودة عندئذ وليا للعهد. وحكم بين ١٧٨-٢ ١٨١٤، كما أشرنا سابقاً.

والسلام على حضرتكم العلية وسيادتكم الباهرة الجليلة، ما انعقد بين المتناسين وداد، ونبذوا زخرف الواشين فجروا على السداد<sup>(١)</sup>، ورحمة الله وبركاته، ما تعاقبت سكنات الكون وحركاته. وكتب غبار نعال العلماء والأشراف، ومثار الإضاعة والإسراف، غريق الأوزار، أقل الخلائق أحمد بن عمار لطف الله به<sup>(٢)</sup>. بتاريخ أواسط صفر الخير من شهر سنة ستة وتسعين ومائة وألف.

---

(١) لعل في هذه العبارات إشارة إلى وجود التحاسد وتوتر الجو بين ابن عبد العزيز وزملائه، وربما كان ابن عمار يخشى أن يشمل ذلك أيضاً ومن ثمة الإشارة إلى "زخرف الواشين".

(٢) كان ختم ابن عمار عندما كان مفتياً يحمل هذه العبارة: "الوائق بالجبار عبده أحمد بن عمار" وروى أبو راس الناصر الذي لقي ابن عمار شخصياً وتلمذ عليه أنه كان يضع على ختمه هذه العبارة "سليل الأشراف الصالحين، وخالصة مجد التقى والدين" انظر: أبو راس الناصر (فتح الإله)، تحقيق محمد عبد الكريم، الجزائر، ١٩٨٠.

## مراجع البحث

- ١- أحمد بن أبي الضياف، إتحاف أهل الزمان، ج٧، تحقيق: أحمد عبد السلام، تونس، ١٩٧١.
- ٢- أحمد بن عمار، (نبذة) من رحلته نحلة اللبيب نشرها محمد بن أبي شنب، الجزائر، ١٩٠٣.
- ٣- إبراهيم السيادة، مباسم الأزهار ودوحة الأفكار، مخطوط رقم ٢٦٠، المكتبة الوطنية، تونس.
- ٤- أحمد عبد السلام، المؤرخون التونسيون في القرون ١٩، ١٨، ١٧، تعريب أحمد عبد السلام، وعبد الرزاق الحليوي، تونس ١٩٩٣.
- ٥- إسماعيل التميمي، الرد على الوهابية، تونس، (فيه رسالة مسألة وقف لابن عمار).
- ٦- أبو راس الناصر، فتح الإله ومنتته، ك٢٢٦٣، الخزانة العامة- الرباط، تحقيق محمد بن عبد الكريم، الجزائر، ١٩٩٠.
- ٧- أبو القاسم سعد الله، "الرحلات الجزائرية الحجازية" في أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج١، ط٣، بيروت، ١٩٩١.
- ٨- أبو القاسم سعد الله، تجارب في الأدب والرحلة عن (إجازة ابن عمار لمحمد المرادي)، الجزائر، ١٩٨٢.
- ٩- الحسين الورتلاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، (رحلة)، تحقيق محمد بن أبي شنب، الجزائر، ١٩٠٨.

- ١٠- حمودة بن عبد العزيز، الكتاب الباشي، تحقيق محمد ماضور، تونس، ١٩٧٠.
- ١١- رشاد الإمام، سياسة حمودة باشا في تونس ١٧٨٢-١٨١٤، تونس، ١٩٨٠.
- ١٢- عبد الحي الكتاني، فهرس الفهارس والإثبات، جزآن، تحقيق إحسان عباس، بيروت، ١٩٨٢.
- ١٣- عبد الرزاق بن حمادوش، لسان المقال في النبأ عن الحساب والنسب والآل (رحلة)، تحقيق أبو القاسم سعد الله، الجزائر، ١٩٨٣.
- ١٤- كارل بروكلمان، ذيل تاريخ الأدب العربي، ٦٨٨، SUP II.
- ١٥- محمد بيرم، التعريف بنسب الأسرة البييرية بتونس، تاريخ تيمور ١٤٣٤، دار الكتب القومية، القاهرة.
- ١٦- محمد بيرم الرابع، الجواهر السنينة في شعر الديار التونسية، تحقيق الهادي حمودة الغزي، تونس ١٩٧٣.
- ١٧- محمد الحاج صادق، المولد عند ابن عمار (بالفرنسية)، دمشق، ١٩٥٧.
- ١٨- محمد مخلوف، شجرة النور الزكية، القاهرة، ١٩٢٩.
- ١٩- محمد النيفر، عنوان الأريب، جزآن، تونس، ١٣٥١.
- ٢٠- محمد الوزير السراج، الحلل السندسية، تحقيق محمد الحبيب الهيلة، أجزاء، تونس، ١٩٧٠.

- ٢١- الهادي حمودة الغزي، الأدب التونسي في العهد الحسيني،  
تونس، ١٩٧٤.
- ٢٢- محمود مقديش، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار،  
تحقيق على الزواري ومحمد محفوظ، جزآن، بيروت، ١٩٨٨.
- ٢٣- المهدي، البوعبدلي، مراسلة بتاريخ ٧ يناير ١٩٨٢.
- ٢٤- Devoux, Albert, Les edifices religieux a Alger, Alger, ١٨٧٨.



# أخبار جمعية

## المؤتمرات والندوات والمحاضرات

انطلاقاً من حرص مجمع اللغة العربية الأردني على المشاركة الفاعلة في المؤتمرات والندوات العلمية والأدبية التي تعقد في داخل الأردن وخارجه، فقد شارك الأستاذ الدكتور عبد الكريم خليفة رئيس المجمع في المؤتمر الثاني لمجمع اللغة العربية بدمشق في الفترة من ٢٠-٢٣ تشرين الأول ٢٠٠٣م، وكان موضوعه " اللغة العربية في مواجهة المخاطر". وأقيم في اليوم الأول من أيام المؤتمر حفل تذكاري لمؤسس مجمع اللغة العربية بدمشق المرحوم الأستاذ العلامة محمد كرد علي بمناسبة مرور خمسين سنة على وفاته، وألقى الأستاذ الرئيس في الحفل كلمة بعنوان: " من مواقف الأستاذ الرئيس محمد كرد علي"، وكذلك شارك الأستاذ الرئيس في المؤتمر ببحث عنوانه: " عالمية اللغة العربية ومكانتها بين لغات العالم". وقد أصدر المؤتمر الثاني لمجمع اللغة العربية بدمشق التوصيات الآتية:

- ١- مناشدة الدول العربية إصدار تشريعات ملزمة لحماية اللغة العربية من خطر استعمال اللهجات العامية واللغات الأجنبية في الإعلام والإعلان والإشهار، وترتيب عقوبات على المخالفين الذي لا يباليون بجعل العربية غريبة في دارها.
- ٢- دعوة الدول العربية إلى رسم سياسة لغوية واضحة تتفق مع النصوص الواردة في دساتيرها، التي تنص على أن اللغة العربية لغتها الرسمية، مما يرتب عليها تعميم استعمالها في مختلف ميادين مناشطها فتكون لغة التعليم بجميع مراحلها وأنواعه، ولغة الإدارة والقضاء والاقتصاد والإعلام وسائر وجوه الحياة الأخرى.
- ٣- دعوة الدول العربية، وخاصة وزارات التربية فيها، إلى إيلاء تعليم اللغة العربية في مدارسها العناية الفائقة وتحسين طرائق تدريسها قراءةً وكتابةً، وتعويد التلامذة والطلاب المطالعة المفيدة التي تنير الفكر وترهف الحسّ وتغذي الناشئة، مع اتباع الأساليب المشوقة، وإكساب الناشئة المهارة اللغوية وأساليب التعليم الذاتي وإجراء

التدريبات اللازمة لاكتسابها، مع دعوتها لتحديد مجالات القصور في أساليب تعليم اللغة العربية وسبل الارتقاء بالواقع.

٤- دعوة مجامع اللغة العربية ووزارات التربية في الدول العربية إلى وضع الدراسات المتعلقة بتطوير مناهج تدريس اللغة العربية، وخاصة الصرف والنحو والإملاء، وتأليف مرجع ميسر لهذه القواعد مع الاستفادة مما وصلت إليه نظريات علم اللغة وفروعه الخاصة.

٥- دعوة الدول العربية، وبخاصة وزارات التربية، إلى تدريس المواد العلمية في المراحل الابتدائية والإعدادية والثانوية باللغة العربية دون سواها، وذلك دون إهمال تعليم الطلاب في المراحل العليا من التعليم العام لغة أجنبية أو أكثر، للحاجة إليها في التخصص والتواصل مع الآخر.

٦- مناشدة الدول العربية التي شرعت في تعريب تدريس المواد العلمية في معاهدها وجامعاتها، استكمالها وتوفير مستلزماته كيما يكون التعريب عامل تقدم علمي لها وسيلاً لاستيعاب طلاب العلم استيعاباً صحيحاً، مع تحويل البحث العلمي إلى اللغة العربية تحقيقاً لتوطين العلم وفتح السبيل إلى الكشف والإبداع في العلم.

٧- مناشدة الدول العربية التي لم تشرع في تعريب التدريس العلمي في مرحلة التعليم العالي، مباشرته من دون تأخير مع توفير متطلباته الأساسية: المدرّس الكفّي والكتاب المؤلّف بالعربية أو المترجم إليها، والمصطلح العلمي الصحيح.

٨- الاستفادة من المنجزات التي تحققت في البلدان الآخذة بالتعريب، وذلك بعقد اتفاقات تعاون ثنائية بين الجامعات والمؤسسات العلمية العربية الراغبة في التعريب والجامعات والمؤسسات المعربة في البلدان العربية.

٩- الاستفادة من الجهود والمنجزات التي حققتها المجامع اللغوية والعلمية والجامعات والمركز العربي للتعريب والترجمة والتأليف والنشر

بدمشق، ومركز تنسيق التعريب بالرباط والهيئات والمؤسسات الثقافية العاملة في ميدان المصطلح والترجمة وتصنيف المعاجم العامة والمتخصصة والموسوعات العلمية.

١٠- دعوة الدول العربية، ووزارات التربية والتعليم إلى تنفيذ المقررات التي اتخذتها المؤتمرات الوزارية ( وزراء التربية، وزراء التعليم العالي، وزراء الثقافة) والتوصيات التي أصدرتها الندوات والملتقيات والاجتماعات التي دعت إلى انعقادها بشأن التعريب والترجمة والمصطلح، والعمل على إنفاذ الخطة الشاملة للثقافة العربية والخطة القومية للترجمة والخطة القومية للتعريب، هذه الخطط التي وضعت بإشرافها.

١١- دعوة الدول العربية لاتخاذ الإجراءات اللازمة لحماية الهوية الثقافية واللغة العربية من أخطار الغزو الثقافي الجامح، والعولمة الزاحفة التي تسخر لتحقيق أغراضها جميع أدوات الاتصال والإعلام الحديثة، وتسعى جاهدة لاختراق ثقافتنا ولغتنا.

١٢- دعوة جامعة الدول العربية والدول العربية إلى المساعدة على نشر اللغة العربية السليمة في مواطن الاغتراب وبلدان الشعوب الإسلامية المتعطشة إليها، وتعزيز استعمالها في هيئة الأمم المتحدة والمنظمات الدولية، وذلك بتقديم العون البشري والمادي والفني لها مع دعوة ممثلي الأقطار العربية إلى الالتزام باللغة العربية.

إن جهوداً مخلصه ومستمرة تبذل في هذا السبيل، تُمكن اللغة العربية من تحقيق عالميتها وبلوغ مرتبة متقدمة بين لغات العالم.

١٣- دعوة مجامع اللغة العربية إلى الاهتمام بإعداد المعجم التاريخي للغة العربية الذي يرصد اللغة من أقدم عصورها حتى اليوم، لما في ذلك من خير للعربية وكشف عن جوهرها الذي لا تضاهيها به لغة أخرى.

١٤- توفير الآليات الضرورية لتحقيق الزيادة المطلوبة في المحتوى العربي للشبكة العالمية (الانترنت) عن طريق التحول نحو الرقمية وإصدار التشريعات الحافزة لقيام صناعات في المحتوى العربي للشبكة وتعليم المعلوماتية والاتصالات بالعربية واعتماد مبادرات

على مستوى كل دولة عربية، وعلى المستوى القومي تهدف إلى تحقيق الآليات اللازمة لذلك التطور وإلى إيجاد الحلول للعقبات التقنية التي تعوق ذلك.

١٥- السعي لإنشاء مرصد عربي للمصطلحات ، يشجع التعاون في البحث المصطلحي النظري والتطبيقي، ورصد المولدات وجمع البيانات المصطلحية والمعجمية ومعالجتها و تخزينها وتحليلها وتبادلها ونشرها، وتطوير التدريب المصطلحي، والمساعدة على اعتماد سياسة تخطيط مصطلحي في إطار الخطط الثقافية التي أقرتها الهيئات المختصة، إضافة إلى إقامة علاقات خارجية، والمشاركة في المشروعات المصطلحية الدولية.

١٦- دعوة مجامع اللغة العربية إلى متابعة جهودها في تحقيق التراث ونشره، للكشف عن كنوز حضارتنا العربية الإسلامية التي رفدت الحضارة البشرية بالعلم والمعرفة، ودعوة المجامع اللغوية الجديدة إلى انتهاج النهج نفسه، وإقامة أشكال مختلفة من التنسيق والتعاون بين المجامع في هذا المجال.

١٧- تشجيع مراكز الترجمة والتعريب، بيوت الحكمة المعاصرة، على أداء مهامها على الوجه الأكمل، وذلك بالعناية باختيار الكتب المراد ترجمتها واختيار المترجمين والمراجعين الأكفاء في شتى فروع المعرفة، والاستعانة بقواعد المعطيات الاصطلاحية والتجهيزات الحاسوبية، وربطها بشبكة اتصالات تساعد على تواصل الأفراد والجمعيات والهيئات، مع التشجيع على إنشاء جمعيات للمترجمين، تساعد على حماية حقوقهم وجمع شملهم خدمة للثقافة العربية وتحقيق التواصل مع الثقافات الأخرى.

١٨- ينوّه المؤتمر بالجهود التي بذلتها المجامع اللغوية والعلمية العربية في مجالات حماية اللغة العربية ووضع المصطلحات وتوحيدها، وفي تحقيق التراث العربي ونشره.

## مجمعيون في ذمة الله

فقد المجمع خلال هذا العام (٢٠٠٣م) الأستاذ الدكتور إحسان عباس، الذي انتقل إلى جوار ربه يوم ٢٩ جمادى الأولى ١٤٢٤هـ الموافق ٢٩ تموز ٢٠٠٣م.

ولد إحسان رشيد عباس في قرية عين غزال بمنطقة يافا في فلسطين في اليوم الثاني من كانون الأول ١٩٢٠، وبدأ دراسته الابتدائية في مدرسة القرية وأتم دراسته الثانوية في مدرستي حيفا وعكا ثم في الكلية العربية بالقدس الشريف، وعمل مدرساً في مدرسة صفد الثانوية، ثم سافر إلى مصر بمنحة من إدارة المعارف بفلسطين، والتحق بقسم اللغة العربية بجامعة القاهرة وفيها تخرج سنة ١٩٤٩م، وعمل مدرساً بجامعة الخرطوم، ثم في الجامعة الأميركية في بيروت، واستقر في الثمانينات في عمان إلى أن وافاه الأجل المحتوم.

وشارك الدكتور إحسان عباس في ضروب مختلفة من النشاط الثقافي، وتجاوز كتبه الستين كتاباً بين مؤلف ومحقق و مترجم، وتتعدى بحوثه الثمانين بحثاً بين دراسة ومراجعة. ويمتاز نتاجه الأدبي بتنوع في الموضوعات داخل حقل الدراسات العربية والإسلامية.

وقد اكتسب الدكتور إحسان عباس تقدير الجهات العلمية المختلفة ولذلك اختير عضواً في مجمع اللغة العربية بدمشق وفي المجمع العلمي العراقي ومجمع اللغة العربية بمصر والمجمع الهندي العلمي وعضواً مؤازراً في مجمع اللغة العربية الأردني.

رحم الله الفقيد وأسكنه فسيح جنانه.

كما فقد المجمع الأستاذ الدكتور صالح أحمد العلي رئيس المجمع العلمي العراقي، عضو الشرف في مجمع اللغة العربية الأردني.

ولد الفقيد في الموصل سنة ١٩١٨م، وفيها أنهى دراسته الابتدائية والمتوسطة، ثم التحق بدار المعلمين العالية ببغداد ودرس فيها أربع سنوات، حصل في نهايتها على شهادة الليسانس في العلوم الاجتماعية بمرتبة الشرف سنة ١٩٤٣، وبعد سنتين حصل على شهادة الليسانس في التاريخ بمرتبة الشرف من جامعة القاهرة، ثم التحق بجامعة أكسفورد في بريطانيا ودرس فيها أربع سنوات نال في نهايتها شهادة الدكتوراه في الفلسفة سنة ١٩٤٩م. عمل مدرساً في جامعة بغداد وتولى رئاسة قسم التاريخ فيها عدة سنوات، ثم عين رئيساً للمجمع العلمي العراقي منذ سنة ١٩٧٨م.

أغنى الفقيد المكتبة العربية بالعديد من المؤلفات والدراسات التاريخية والجغرافية وفي الإدارة والاقتصاد والحضارة الإسلامية.

رحم الله الفقيد وأسكنه فسيح جنانه

إنا لله وإنا إليه راجعون.

## رسائل الدكتوراه والماجستير

حرصاً من المجمع على التعاون والتنسيق مع المؤسسات العلمية والأكاديمية، وعلى رأسها الجامعة الأردنية، فقد تمت في قاعة الندوات والمحاضرات في المجمع مناقشة الرسائل الآتية المقدمة إلى الجامعة الأردنية:

- رسالة دكتوراه بعنوان "بنية الأفعال العربية في معاجم الأفعال، دراسة صوتية ضرفية" مقدمة من الطالبة ريم المعاينة.  
وتألفت لجنة المناقشة من الدكتور جعفر العباينة (المشرف) رئيساً، وعضوية: الأستاذ الدكتور نهاد الموسى، والأستاذ الدكتور إسماعيل العميرة، والأستاذ الدكتور حسن الشاعر وذلك يوم الأحد ٢٠٠٣/٧/٢٠م.
- رسالة دكتوراه بعنوان "شعر الأطفال في الأردن: ١٩٥٠ - ٢٠٠٠" مقدمة من الطالب: رائد علي أبو مريم.  
وتألفت لجنة المناقشة من الأستاذ الدكتور محمود السمرة (المشرف) رئيساً، وعضوية: الأستاذ الدكتور سمير قطامي، والأستاذ الدكتور إبراهيم خليل والأستاذ الدكتور محمد المجالي وذلك يوم ٢٠٠٣/٧/٢٤م.
- رسالة دكتوراه بعنوان "محمود درويش نائراً" مقدمة من الطالبة: تهاني علي.  
وتألفت لجنة المناقشة من الأستاذ الدكتور محمود السمرة (المشرف) رئيساً، وعضوية: الأستاذ الدكتور عبد الجليل عبد المهدي، والأستاذ الدكتور صلاح جرار والأستاذ الدكتور محمد إبراهيم حور وذلك يوم ٢٠٠٣/٨/١٠م.

- رسالة الدكتوراه بعنوان: "التفكير الصوتي عند مكّي بن أبي طالب القيسي" مقدمة من الطالب: علاء الدين الغرابية.
- وتألفت لجنة المناقشة من الدكتور جعفر عباينة (المشرف) رئيساً، وعضوية: الأستاذ الدكتور إسماعيل عمايرة والأستاذ الدكتور زكريا أبو حمدة والأستاذ الدكتور سمير شريف استثنائية وذلك يوم ١١/٨/٢٠٠٣م.
- رسالة دكتوراه بعنوان: "الظاهر اللغوي في علوم العربية في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة" مقدمة من الطالب: ناصر آل مبارك.
- وتألفت لجنة المناقشة من الدكتور جعفر عباينة (المشرف) رئيساً وعضوية: الأستاذ الدكتور نهاد الموسى والأستاذ الدكتور محمد حسن عواد والأستاذ الدكتور عبد الحميد السيد. وذلك يوم ١٨/٨/٢٠٠٣م.
- رسالة دكتوراه بعنوان: "الحال بين واقع التنظير وحقيقة الاستعمال" مقدمة من الطالبة: سائدة العيص.
- وتألفت لجنة المناقشة من الأستاذ الدكتور إسماعيل عمايرة (المشرف) رئيساً، وعضوية: الأستاذ الدكتور نهاد الموسى والأستاذ الدكتور محمد حسن عواد والأستاذ الدكتور حسن الشاعر وذلك يوم ١٦/١١/٢٠٠٣م.
- رسالة دكتوراه بعنوان: "عناصر تحقيق الدلالة في العربية، دراسة لسانية" مقدمة من الطالب: صايل رشيد.
- تألفت لجنة المناقشة من الأستاذ الدكتور نهاد الموسى (المشرف) رئيساً، وعضوية: الأستاذ الدكتور محمد بركات أبو علي والأستاذ الدكتور محمد حسن عواد والأستاذ الدكتور يوسف أبو العدوس وذلك يوم ٢٠/١١/٢٠٠٣م.

- رسالة دكتوراة بعنوان "التناص في النقد العربي القديم" مقدمة من الطالبة: فاطمة البريكي.

وتألفت لجنة المناقشة من الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد (المشرف) رئيساً، وعضوية: الأستاذ الدكتور محمود السمرة والأستاذ الدكتور صلاح جرار والأستاذ الدكتور خليل الشيخ وذلك يوم ٢٠٠٣/١٢/٣ م.

### رسائل الماجستير

- رسالة ماجستير بعنوان: "رسم الشخصية في روايات غالب هلسا" مقدمة من الطالبة: ريم خميس الزير

وتألفت لجنة المناقشة من الدكتور إبراهيم خليل (المشرف) رئيساً، وعضوية: الدكتور سمير قطامي والدكتورة امتنان الصمادي الدكتور نبيل حداد وذلك يوم ٢٠٠٣/٧/٧.

- رسالة ماجستير بعنوان: "السرود الغرائبي والعجائبي في الرواية والقصة القصيرة في الأردن" مقدمة من الطالبة: سناء الشعلان

وتألفت لجنة المناقشة من الدكتور إبراهيم خليل (المشرف) رئيساً، وعضوية: الدكتور إبراهيم السعافين والدكتور سمير قطامي والدكتور نبيل حداد وذلك يوم ٢٠٠٣/٨/١٢ م.

- رسالة ماجستير بعنوان: "نماذج إنسانية في السرد العربي القديم" مقدمة من الطالب: سيف محمد المحروقي.

وتألفت لجنة المناقشة من الأستاذ الدكتور عبد الجليل عبد المهدي (المشرف) رئيساً، وعضوية: الأستاذ الدكتور إبراهيم السعافين والدكتور ياسين عايش والدكتور ابتسام الصفار وذلك يوم ٢٠٠٣/٨/١٧ م.

- رسالة ماجستير بعنوان: "سورة المؤمنین دراسة أسلوبية" مقدمة من الطالب: معتصم محمد الصمادي.
- وتألفت لجنة المناقشة من الأستاذ الدكتور محمد بركات أبو علي (المشرف) رئيساً، وعضوية: الدكتور عبد الكريم الحباري والدكتور محمد علي أبو حمدة والأستاذ الدكتور عبد القادر الرباعي وذلك يوم ٢١/٨/٢٠٠٣م.
- رسالة ماجستير بعنوان "صورة الهاشميين في الشعر الأردني المعاصر" مقدمة من الطالب: بشير الحجاجة.
- وتألفت لجنة المناقشة من الدكتور هاني العمدة (المشرف) رئيساً، وعضوية: الدكتور سمير القطامي والدكتور إبراهيم خليل والدكتور زياد الزعبي وذلك ٣١/٨/٢٠٠٣م.
- رسالة ماجستير بعنوان: "المصدر بين التنظير والاستعمال" مقدمة من الطالبة: حنان جبر.
- وتألفت لجنة المناقشة من الأستاذ الدكتور إسماعيل عمايرة (المشرف) رئيساً، وعضوية: الأستاذ الدكتور محمود حسني مغالة والأستاذ الدكتور عبدالله عنبر والأستاذ الدكتور عبد الكريم مجاهد وذلك يوم ١٢/١١/٢٠٠٣.
- رسالة ماجستير بعنوان "النظرية التوليدية التحويلية في الفكر اللساني العربي الحديث" مقدمة من الطالبة: بدرية فرحي.
- وتألفت لجنة المناقشة من الأستاذ الدكتور نهاد الموسى (المشرف) رئيساً، وعضوية: الدكتور وليد سيف والدكتور إبراهيم خليل والأستاذ الدكتور فوزي الشايب وذلك يوم ٢٤/١٢/٢٠٠٣م.



مرکز تحقیقات کامپیوتر علوم اسلامی

## إلى الأخوة الكتاب :

يرجى مراعاة ما يلي :

- ١ - أن تقتصر البحوث على اللغة العربية ، والتراث العربي الإسلامي : العلمي والأدبي والفني ، وشؤون التعريب ، ومراجعة الكتب المحققة وما إليها ، والمناقشات والتعليقات المتعلقة بهذا وأمثاله .
- ٢ - أن يتأكد الكاتب من سلامة اللغة ، وحسن الترتيب ، والتوثيق قبل إرسال بحثه للنشر .
- ٣ - أن تتسم البحوث النقدية بأسلوب النقد العلمي الهادئ ، الخالي من الانفعالات الحادة التي قد تسيء إلى المؤلف أو الباحث .
- ٤ - أن تكون البحوث المرسلة للنشر في نسختها الأصلية ، وخاصة بالمجلة .

رئيس التحرير



ISSN 0258 - 1094



مركز بحوث الدراسات العربية  
**JOURNAL**

**Of The Jordan Academy Of Arabic**



No 65

Vol XXVII